صفحات مضيئة من التاريخ الإسلامي

د. سعيد مغاوري محمد

المسلمون والآخر
في وثائق البرديات العربية



المسلمون والآخر
في وثائق البرديات العربية



دار العالم العربي

٢ شارع امتداد رمسيس (١) ـ مدينة نصر ـ القاهرة

تليفاكس: ٢٤٠٢٤٦١٢ـ٢٤٠٥١٤٩٨ـ٢٤٠٥١٤٩٨

e. mail: af _ madkour @ yahoo . com

الطبعة الأولى: يناير ٢٠١٤ م/ ربيع أول ١٤٣٥ هـ

رقم الإيداع: ١٩١٢٠ / ٢٠١٢

الترقيم الدولي: ٤ ـ ١٢٤ ـ ٤٩٥ ـ ٩٧٧ ـ ٩٧٨

صفحات جديدة من التاريخ الإسلامي

المسلمون والآخر

في وثائق البرديات العربية

تأليف

أ. د. سعيد مغاوري محمد

أستاذ الآثار والحضارة الإسلامية

وعميد كلية السياحة والفنادق بجامعة المنوفية



بيانات الفهرسة المكتبية

(إعداد: إدارة الشؤون الفنية بدار الكتب المصرية)

محمد، سعيد مغاوري.

المسلمون والآخر

في وثائق البرديات العربية/

تأليف سعيد مغاوري محمد .ـ

ط ١ .ـ القاهرة: دار العالم العربي، ٢٠١٤.

٢٤٠ ص؛ ٢٤ سم ..

(صفحات جديدة من التاريخ الإسلامي)

تدمك: ٤ ـ ١٢٤ ـ ٤٩٥ ـ ٩٧٧ ـ ٩٧٨.

١ . التاريخ الإسلامي.

٢ . المسلمون والمسيحيون.

٣ . المسلمون واليهود.

٤ . الوثائق العربية.

أ. العنوان.

ديوي ٩٥٣

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾

صدق الله العظيم..[سورة الأنعام: ٥٩].

اهـــداء

إلى حفيدىَّ ياسين وإنجى محمود السيد ابنَىْ ابنتى إيما على قدومهما لهذه الحياة الدنيا، سائلًا المولى عز وجل أن يجعل مستقبلهما ومستقبل شباب هذه الأمة خيرًا وأفضل من حاضرهم، فهما وأمثالهما أمل مصرنا الحبيبة فى الغد المشرق بمشيئته تعالى.. والله الموفق.

الدكتور

سعيد مغاورى محمد



تمهيد

وثائق البرديات العربية نصوص تاريخية بالغة الأهمية فى مجال التاريخ والآثار والحضارة والفكر والفنون واللغة والنظم والدراسات الإسلامية؛ نظرًا لأنها تضرب فى عمق التاريخ ولا يمكن أن يتطرق إليها أدنى شك، كُتبت زمن الخلافة الراشده مرورًا بالعهدين الأموى ثم العباسى[1]. فقد استطاع القائد المظفر عمرو بن العاص بعد أن أتم الله عليه فتح مصر سنة ٢٠هـ/ ٦٤٠م تطوير مصانع ورق البردى التى كانت منتشرة فى العديد من مدن وقرى مصر فى الوجهين القبلى والبحرى[2]، وذلك بهدف إمداد حاضرة الخلافة فى العهد الراشدى بنوع خاص من مواد الكتابة اشتهرت مصر بزراعته وصناعته ورقًا من آلاف السنين، وهو ورق البردى الذى كان ومازال يُصنع من نبات البردى الذى تكثر زراعته على شواطئ الترع والمصارف المنتشرة

---

(١) العهد الراشدى (عهد الخلفاء الراشدين رضوان الله تعالى عليهم ـ أبو بكر الصديق، عمر بن الخطاب، عثمان بن عفان، على بن أبى طالب) من عام ١١ ـ عام ٤٠هـ/ ٦٣٢ ـ ٦٦١م العهد الأموى.
(خلفاء بنى أمية حيث مقر الخلافة فى مدينة دمشق) ٤٠ ـ ١٣٢هـ/ ٦٦١ـ٧٥٠م.
العهد العباسى (خلفاء بنى العباس حيث مقر الخلافة فى مدينة بغداد) ٤٠ ـ ١٣٢هـ/ ٦٦١ ـ ٧٥٠م
(أ) العصر الذهبى ١٣٢ ـ ١٩٣هـ/ ٧٥٠ـ ٨٠٩م.
(ب) عصر الدويلات ١٩٣ ـ ٩٥٦هـ/ ٨٠٩ـ ١٢٥٨م.

(٢) روى أبو المحاسن (بن تغرى بردى) فى كتابه «النجوم الزاهرة فى مصر والقاهرة» أن عمرو بن العاص بعد أن استقر فى مصر أرسل رسالة إلى الخليفة عمر بن الخطاب يستأذنه فى إنفاق ثلث خراج مصر لتطهير ترعها ومصارفها والنهوض بزراعتها ومن أهمها بالطبع زراعة نبات البردى ـ لمد حاضرة الخلافة فى المدينة المنورة بمادة كتابة مهمة فى ذلك الوقت وهو «ورق البردى» حيث كانت مواد الكتابة آنذاك بسيطة وبدائية مثل الأحجار وأكتاف الإبل والرق وشقف الفخار وسعف النخل... وغيرها.
أبو المحاسن (بن تغرى بردى): النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة ـ طبع وزارة الثقافة بمصر سنة ١٩٦٣.

على امتداد ضفتَّيْ نهر النيل فى مصر[1]، ولقد فطن عمرو بن العاص إلى أهمية هذا النوع من الورق[2] فرغب فى تجهيزه وتصديره لحاضرة الخلافة فى المدينة المنورة؛ لإنجاز مكاتبات الدولة ومراسلات الخليفة عمر بن الخطاب للعمال والولاه فى مصر والشام والعراق وفارس والجزيرة العربية...... وغيرها.

ولعل الدليل على شيوع وانتشار ورق البردى فى العديد من حواضر الدول الإسلامية زمن الخلافة الراشدة فى المدينة المنورة ثم دمشق فى العهد الأموى ـ ثم بغداد فى العهد العباسى ـ تلك الفهارس الضخمة لسجلات وثائق البرديات العربية فى المكتبة الوطنية بالنمسا (ڤيينا) حيث توجد أكبر وأضخم مجموعة أوراق بردى عربى على الإطلاق والتى يطلق عليها مجموعة الأرشيدوق راينر (PER)[3]، ولقد

---

(١) هناك العديد من مدن وقرى مصر التى اشتهرت منذ القدم حتى اليوم بزراعة وصناعة ورق البردى، منها الفسطاط والفيوم وأهناسيا والبهنسا والأشمونين وأسوان والنوبة والإسكندرية وغيرها ـ وخاصة تلك التى تقع على ضفاف وشواطئ نهر النيل.

Grohmann A: From the world of Arabic Popyri. Cairo 1934 p.7.

(٢) لم تدخل صناعة الورق (الكاغد) الذى نكتب فيه حتى اليوم إلا فى العهد العباسى حيث إن هذا الورق اختراع صينى تم على يد الصينى (تسى لن) سنة ١٠٥م حيث كان يصنع من مواد مستهلكة مثل القماش (الكهنة) وشباك الصيد الممزقة بالإضافة للقطن ونشارة الخشب.. وغيرها ثم تُجمع فى أفران ويصنع منها عجينة يتم بعد ذلك فردها وعمل أنواع مختلفة من الورق حسب حالة المواد التى يتم تجميعها، ولقد دخلت هذه الصناعة للعالم العربى والإسلامى زمن الخلافة العباسية، ورويدًا رويدًا انسحب ورق البردى عن عرشه الذى تربع عليه آلاف السنين زمن قدماء المصريين وظل طوال الثلاثة القرون الأولى للهجرة (١ـ٣ هـ/ ٧ـ٩م) المادة الأولى فى الكتابة، ثم مع بداية القرن ٤هـ/ ١٠م تم استخدام الورق الكاغد مادة أولى فى الكتابة وحتى اليوم فى العالم أجمع انظر فى ذلك: ابن النديم (أحمد بن اسحاق) ت٣٨٣هـ/ ٩٩٧م.

الفهرست ـ طبع ليبزج ـ بألمانيا سنة ١٨٧١ م ص١٩٨.

ابن خلدون (عبد الرحمن بن محمد) ت٨٠٨هـ/ ١٤٠٦م. المقدمة ـ طبع المطبعة البهية بالأزهر بالقاهرة ١٢٨٣ هـ ـ نسخة عربية ـ طبع دار الكتاب اللبنانى ـ بيروت سنة ١٩٥٦م ص ٩٦٢.

د. سعيد مغاورى: البرديات العربية فى مصر الإسلامية ـ طبع القاهرة ١٩٩٦م ص ١٠٣.

(٣) عن رحلة انتقال الآلاف من وثائق البرديات العربية إلى العديد من المتاحف والمكتبات والجامعات فى أوربا والولايات المتحدة الأمريكية وروسيا.. وغيرها انظر: د. عبد العزيز الدالى: البرديات العربية ـ مكتبة الخانجى بالقاهرة سنة ١٤٠٤ هـ/ ١٩٨٣م.

وعن أوراق البردى فى المكتبة الوطنية بالنمسا وأعدادها التقريبية وعن انتقالها من مصر وتهريبها للنمسا انظر:

د. عائشة عبد الرحمن: ذخائر البردى فى مكتبة فيينا (ألبرتينا).

وصل عددها إلى حوالى (٤٠,٠٠٠) أربعين ألف وثيقة ـ يرجع بعضها لعهد الخلفاء الراشدين وآخرها يُنسب للعهدين المملوكى ثم العثمانى ـ وبعضها منفَّذ على ورق الكاغد، أغلب هذه الوثائق لم ينشر حتى اليوم.

وما تم نشره منها لا يتعدى بضع مئات، ولقد كشفت النصوص ـ التى تم نشرها بداية من سنة ١٨٢٥م ـ على يد المستشرق الفرنسى الشهير البارون سلفستر دى ساس Silvester de Sacy، الذى تمكن من نشر نصوص برديتين عربيتين فى مجلة العلماء بباريس سنة ١٨٢٥ (١)، ثم بعد ذلك توالى نشر نصوص البرديات العربية فى المجموعات العالمية(٢) ـ عن معلومات بالغة الأهمية عن سير الدولة الإسلامية بداية من عهد الخلفاء الراشدين حتى نهاية عهد خلفاء بنى العباس. أعداد كبيرة من نصوص هذه البرديات أوضحت متانة العلاقة بين العرب وأهل الذمة، كما كشفت عن عدالة الولاة مع من خالفنا فى العقيدة ـ حتى أن أعدادًا كبيرة من أهل الذمة (يهود ونصارى ومجوس.. وغيرهم) (٣)، ارتضوا أن ينفذ عقود بيعهم وشرائهم وزواجهم وسائر معاملاتهم وفق شريعة الإسلام. كما أن أعدادًا كبيرة من أسماء الشهود التى وردت فى نصوص هذه البرديات الخاصة بمعاملات أهل الذمة كانوا من العرب المسلمين. أيضًا وردت معلومات مهمة عن ثقة حكام وولاة أمور المسلمين فى عدد من أهل الذمة فاستُخدموا محافظين وكتبة ومدققى حسابات وجامعى جزية وخراج فى أعمال (دواوين الدولة).. وغيرها من الأعمال التى تتطلب مهارة وحذقًا وأمانة ودقة، الأمر الذى جعل من مهارتهم وأمانتهم محل ثقة الخلفاء والولاة فاستخدموا فى العديد من قطاعات الدولة وخاصة القطاع الإدارى والمالى وغيره.

ومن هذا المنطلق فإن هذه الدراسة التى بين يدى القارئ الكريم توضح مدى

طبع باللغة العربية بعناية المستشرق الروسى شرباتوف ـ موسكو سنة ١٩٦٦م.

(1) Silvestre De Saey: Journal De Savants Paris. 1825.

(٢) عن مجموعات البرديات العربية فى العالم وأعدادها التقريبية وما تم نشره منها، انظر:
د. سعيد مغاورى: المرجع السابق ص٢١٧ ـ ص٢٤٠.

(٣) تعامل العرب والمسلمون مع جميع هذه الطوائف والأديان والملل ـ فاليهود هم أتباع سيدنا موسى عليه السلام وكانوا منتشرين فى العديد من الأماكن فى الحجاز واليمن والشام ومصر وغيرها ـ وكذلك النصارى فى مصر والشام واليمن، أما المجوس فهم عبدة النار فى فارس، ولقد وردت نصوص فى الوثائق التاريخية تثبت هذا التعامل، منها نصوص البرديات العربية.

احترام المسلمين عبر تاريخهم الطويل ـ ممثلين فى قادتهم وولاتهم وعمالهم وسائر قطاعات الدولة (للآخر) سواء أكان من أصحاب الرسالات (يهود، نصارى) أم ممن لا يدين بديانة، فلقد كشفت نصوص هذه الوثائق التاريخية المهمة احترام الإسلام وخلفائه وولاته وعماله وسائر المنتسبين إليه لآدمية الإنسان واحترام مشاعره وعدم أذيته وعدم الاعتداء على حرماته وأمواله وأعراضه، بل حفظ حقوقه، حتى وصل الأمر فى كثير من الأحيان إلى الاستعانة بخبرات (الآخر) فى أعمال الدولة للثقة المتبادلة بينهم. لذلك فإن هذه الدراسة تكشف عن حميمية العلاقة بين المسلمين والآخر منذ القرون الأولى للهجرة، كما أن الوثائق التاريخية تفند مزاعم بعض المستشرقين والسياسيين الغربيين فى العصر الحديث ـ بعد أحداث سبتمبر ٢٠٠١م ـ الذين يحاولون ربط الإرهاب بالعرب والمسلمين[١].

وهذا فى الواقع مخالف تمامًا لطبيعة وسلوك العرب والمسلمين أصحاب الحضارة الرائدة فى العالم. ودليلنا على ذلك تلك الوثائق التى ننشرها عبر هذه الدراسة.. ويكفى للتدليل على ذلك ولإقناع الغرب والآخر بأن هذه النصوص الوثائقية النادرة محفوظة لديهم وفى مكتباتهم وجامعاتهم فى أوروبا والولايات المتحدة الأمريكية وروسيا.. وغيرها؛ حيث إن أغلبهم يحترم الوثيقة Document ويحترم ويثق فيما تحمله من معلومات. لذلك كله رغبت فى إعداد هذه الدراسة عن (المسلمين والآخر فى نصوص البرديات العربية) لتكون شاهدًا ودليلًا وبرهانًا أكيدًا على إنصاف أهل الذمة والآخر، وكذلك الحوار الحضارى والتفاهم الواعى بين المسلمين والآخر منذ القرون الأولى للهجرة، وهى كذلك ترد وتفند أى مزاعم باطلة عن سوء العلاقة بين

---

(١) جدير بالذكر أنه بعد أحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١م تعالى العديد من الأصوات فى أوربا والولايات المتحدة الأمريكية لتشويه صورة العرب والمسلمين ومحاولة تصويرهم بالإرهابيين والدمويين ومتعطشى العنف والبطش.. وغيرها من الأوصاف الذميمة، والتى مازال العديد من الجاليات العربية والإسلامية فى بعض المجتمعات الغربية تعانى تشويه هذه الصورة وخاصة الأبناء والبنات والطلاب والدارسين فى المدارس والمعاهد والجامعات الأوروبية والأمريكية والروسية.. وغيرها.
هذه الأجواء جميعها لا تشجع على وجود حوار وتفاهم حضارى مع الآخر سواء أكان من أصحاب الديانات أم ممن لا يؤمن بعقيدة دينية، وهى أن العرب والمسلمين لم يكونوا يومًا ما أرباب قتل أو أصحاب سفك دماء أو عصابات بطش وغدر وخسة وخيانة، بل إنها أمة عريقة النسب تستمد نورها من كتاب الله تعالى وسنة نبيه المصطفى ﷺ، ودليلنا على ذلك سنورده من نصوص وثائقية تاريخية أغلبها محفوظ فى مكتبات الغرب وتحت أيديهم.

المسلمين والآخر منذ صدر الإسلام والقرون الأولى للهجرة. جدير بالذكر أن غالبية نصوص البرديات العربية قد نشرها عدد كبير من المستشرقين فى أوروبا وأمريكا وروسيا.. وغيرها.

وهى الآن تملأ أرفف مكتبات وجامعات ومتاحف هذه الدول، ولقد آن الأوان للنظر فى هذه البرديات التى خرجت من بين أيدينا منذ أكثر من مائتى عام، واستنباط المعلومات والبيانات والإحصاءات التى تثبت مدى عدالة المسلمين تجاه الآخر منذ مطلع الدعوة الإسلامية.

ولقد وُفقت بفضل الله تعالى أثناء زياراتى وترددى وزياراتى على عدد من المكتبات والمتاحف ومعاهد البرديات فى أوروبا وأمريكا فى الاطلاع على عدد كبير من الوثائق النادرة التى تُنسب للعصر الإسلامى وخاصة الفترة المبكرة، كذلك وُفقت فى الحصول على صور من هذه الوثائق يُنشر بعضها فى هذه الدراسة لأول مرة، جميعها تكشف عن سياسة المسلمين حكامًا وشعوبًا مع (الآخر) من أهل الذمة (يهود ونصارى.... وغيرهم)، فقد حملت نصوص البرديات العربية معلومات مهمة عن عدالة العرب وإنصافهم لأهل الذمة وحرصهم على الفصل فى قضاياهم وحمايتهم والسهر على راحتهم وعدم البطش بهم.. فما أحرانا أن نقتفى أثر سلفنا الصالح رضوان اله تعالى عليهم، وأن نسير على هديهم فى تعاملنا مع الآخر.

أيضًا هذه الدراسة تكشف وتفند المزاعم الباطلة التى يحاول الترويج لها نفر من المعتصمين من المستشرقين وغيرهم، ويحاولون إلصاق تهم وأباطيل زائفة فى حق المسلمين فى العصر الحديث؛ فإن المسلمين عبر تاريخهم الطويل حتى اليوم لم يكونوا أرباب قتل أو دماء أو عنف أو إرهاب مثلما يحاول ترويجه بعض الغلاة فى أوروبا وأمريكا وروسيا.. وغيرها.

والله الموفق

حدائق الزيتون ـ القاهرة
فى غرة رجب ١٤٢٨ هـ
الموافق ١٥ من يوليو ٢٠٠٧م



القسم الأول

أولًا: المسلمون والآخر
ثانيًا: الآخر
ثالثًا: السفارات النبوية
رابعًا: «الآخر» زمن الخلافة الراشدة
خامسًا: «الآخر» فى نصوص البرديات العربية

أولا: المسلمون والآخر

تحت هذا العنوان يختلف الباحثون: فهناك المنصفون سواء أكانوا من المستشرقين أم غيرهم، وهناك المتشددون الذين يحاولون الصيد فى المياه العكرة ويحاولون جاهدين النيل من تراث وحضارة الإسلام عبر تاريخه الطويل، وهؤلاء ليس لديهم أدنى سند أو دليل قاطع يثبت دعاواهم وافتراءاتهم الباطلة التى يرددونها عبر وسائل الإعلام المرئى أو المسموع أو المطبوع[1]. أما أصحاب الفريق الأول وهم المستشرقون المنصفون فهؤلاء استطاعوا بعد فترة من البحث والتدقيق والتأمل معرفة حقيقة الإسلام ودعوته الخالدة ونظامه الراقى، فعبروا عن ذلك بعبارات بليغة وهادفة سيرد ذكرها فى موضعه.

ويكفى للتدليل على حضارة الإسلام ونظمه واحترامه للآخر دعوة الخالق تبارك وتعالى الناس جميعًا إلى التعاون والتحاب ـ فى قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَـٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَـٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾[2]، وقوله تعالى فى موضع آخر: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾[3].

ومن ناحية أخرى فإنه ليس هناك أدنى شك فى ظهور نفر غير قليل من المتعصبين ضد الإسلام والمسلمين منذ القدم، ولقد زادت أعداد هؤلاء بعد أحداث ١١ من

---

(١) جريدة الشرق الأوسط التى تصدر فى لندن بإنجلترا العدد رقم (٤٠٠٥) صدر يوم الأربعاء ١٧ من ربيع الثانى ١٤١٠هـ/ الموافق ١٥ من نوفمبر ١٩٨٩م (صفحة البريد).

(٢) القرآن الكريم ـ سورة الحجرات ـ آية رقم (١٣).

(٣) القرآن الكريم ـ سورة النساء ـ آية رقم (١).

سبتمبر فى نيويورك بالولايات المتحدة الأمريكية، ولا أجد مبررًا واضحًا لزيادة هذا العداء المسموم المحموم الذى ربما لا يخدم البشرية بل يزيد الالتهاب ويضاعف آلامها، ويؤدى بالتالى إلى مضاعفة بؤر التوتر فى هذه المنطقة الملتهبة منذ القدم. وهناك العشرات من أقوال عدد كبير من كبار الساسة المعاصرين والسابقين فى أوروبا وأمريكا يُستشف منها التوجس والريبة من المسلمين، لعل أبرزها تصريحات رئيس وزراء إيطاليا بيرلسكونى عن الإسلام والمسلمين، وعلى الرغم من اعتذاره لاحقًا فإن ذلك الحديث والتصريح الذى صرح به منذ فترة ليست بطويلة يعكس مدى عدم معرفته بالإسلام وحضارته الخالدة. وأيضًا هناك عدد من رجال الدين المسيحى ـ وللأسف الشديد ـ نجدهم بين الحين والآخر يصرحون بتصريحات لا تخدم الطرفين (المسلمين والآخر) فقد أوردت صحيفة الشرق الأوسط الدولية فى العدد رقم (٤٠٠٥) إلى جانب عدد آخر من الصحف الدولية فى الوطن العربى وخارجه، ومنها أيضًا وسائل إعلام أخرى بعبارة وردت على لسان الممثل البابوى فى الأمم المتحدة (ريناتو مارتينو) فى كلمته التى ألقاها فى لجنة الشئون الاجتماعية التابعة للأمم المتحدة فى الولايات المتحدة الأمريكية بنيويورك، وذلك عند مناقشة عدد من القضايا مثل التمييز العنصرى والمخدرات وغيرها فقال متهمًا الإسلام بالعنصرية: «وفى بعض المجتمعات يوضع قانون دين معين مثل الشريعة الإسلامية يطبق على كل المواطنين بغض النظر عن معتقداتهم الدينية»[1]، هذا بالإضافة لعبارات أخرى ليس هذا مجالها.

---

(١) جريدة الشرق الأوسط: العدد السابق ١٥/ ١١/ ١٩٨٩م صفحة البريد النصرانية Christianity أو الديانة المسيحية، (الآخر) المسيحى ديانة مسيحية أنزلت على سيدنا عيسى عليه السلام، مكملة لرسالة سيدنا موسى عليه السلام، ومتممة لما جاء فى التوراة من تعاليم، وهى موجهة إلى بنى إسرائيل داعية إلى التهذيب الوجدانى والرقى العاطفى والنفسى ـ تنتشر فى معظم بقاع العالم ـ فانتشرت الكاثوليكية فى إيطاليا وبلجيكا وفرنسا وإسبانيا والبرتغال أما الكنيسة الأرثوذكسية الشرقية فمعظم انتشارها فى روسيا والبلقان واليونان ومقرها الأصلى فى القسطنطينية ويتبعها عدد من الكنائس الشرقية المستقلة، أما البروتستانتية فمركز انتشارها فى ألمانيا وإنجلترا والدانمارك وهولندا وسويسرا والنرويج والولايات المتحدة الأمريكية.. وغيرها.

للاستزادة انظر:

١ـ د. محمد جابر الحينى: فى العقائد والأديان ـ طبع هيئة الكتاب بمصر سنة ١٩٧١م.

٢ـ محمد أبو زهرة: محاضرات فى النصرانية ـ ط ٣ ـ دار الفكر العربى بالقاهرة.

أما من ناحية الآخر (اليهودى)[1] فحدث ولا حرج من حيث الممارسات شبه اليومية تجاه العرب والمسلمين فى فلسطين المحتلة وآخرها (الجدار العازل) الذى لا يخدم أى قضية بل يضاعف الألم ويزيد الحواجز والموانع ويعمِّق الخلافات. ولأجل الموضوعية وإحقاق الحق والإنصاف وإيجاد مناخ مناسب للحوار الحضارى بين المسلمين والآخر، وجب تعريف كلا الطرفين حتى تتضح الحقيقة وينعم الجميع بمناخ الأمن والأمان.

ومن هذا المنطلق أيضًا يشتمل القسم الثانى من هذه الدراسة موضوعات تتعلق بالجانب الحضارى الإسلامى تجاه الآخر من حيث عدم التفريق فى المعاملة وعدم أذيتهم أو البطش بهم، وذلك فى ضوء عدد من الوثائق التاريخية، وفى ضوء نماذج مختارة من العمارة والتخطيط المعمارى فى مطلع القرن ١ هـ/ ٧م عندما أسس عمرو بن العاص مدينته الإسلامية الأولى فى مصر وأفريقيا ـ وذلك إلى جوار عدد من العمائر البيزنطية كحصن بابليون وعدد آخر من كنائش مصر القديمة ومعبد بن عزرا وغيرها من المنشآت المعمارية التى مازالت قائمة حتى اليوم، شاهدًا على عدم بطش العرب والمسلمين بهذه العمائر حيث لم يتعرضوا لها بالهدم أو الضرر ـ بل بالصيانة والترميم، كما سيأتى فى حينه ـ وهى تعد شاهدًا على عظمة الحضارة والفكر الإسلامى.

---

(١) اليهودية، ديانة العبرانيين المنحدرين من سيدنا إبراهيم عليه السلام والمعروفين بالأسباط من بنى إسرائيل الذين أرسل الله تعالى إليهم موسى عليه السلام مؤيَّدًا بالتوراة ليكون لهم نبيًا. وبعد موته عليه السلام ـ تفرق اليهود بفرق ومعتقدات عديدة منهم (الفريسيون ـ أى المتشددون ويسمون أيضًا بالأحبار أو الربانيين، وهم متصوفة رهبانيون لا يتزوجون..)، ومنهم أيضًا (السامريون ـ وهم طائفة من المتهودين الذين دخلوا اليهودية من غير بنى إسرائيل..) ومنهم كذلك (القراءون وهم قلة من اليهود ظهروا عقب تدهور الفريسيين وورثوا أتباعهم لا يعترفون إلا بالعهد القديم ولا يخضعون للتلمود ولا يعترفون به بدعوى حريتهم فى شرح التوراة).. وغيرها من المذاهب ـ انظر فى ذلك:

د. أحمد شلبى:مقارنة الأديان (اليهودية) الطبعة الرابعة. دار النهضة المصرية بالقاهرة سنة ١٩٧٤م.

جوستاف لوبون: اليهود فى تاريخ الحضارات الأولى ـ ترجمة عادل زعيتر ـ طبع عيسى البابى الحلبى بالقاهرة.

ومن المراجع الأجنبية انظر:

Berry: Religions Of the World. London, Reinach: History of Religions.

المسلمون

أصحاب رسالة خالدة أنزلت على قلب خاتم الرسل والأنبياء سيدنا محمد بن عبدالله صلوات الله وسلامه عليه، وكان بدء الدعوة المباركة فى مكة المكرمة بنزول الوحى الكريم، وفى وقت كانت البشرية فيه تغط فى سُبات عميق وجهل مطبق[١] وتخبط فى شتى نواحى الحياة.

فأرادت مشيئة الله تبارك وتعالى أن يهدى البشرية إلى الحق والصواب ببعثه هذا النبى الأمى الخاتم، بنزول كتابه الكريم. ومما يدعو إلى التأمل والبحث والتدقيق أن هذا النبى الأمى الذى لم يتربع أمام معلم يأتى بأحاديث وتعاليم وهدى لا نجد فى البشرية منذ أن خلقها الله تعالى بقدرته ومشيئته مثيلًا لها. ومما يلفت الأنظار أيضًا أن أول آية قرآنية كريمة نزلت على قلب خاتم الرسل والأنبياء تدعو للقراءة والتعلم، بل إن هذه الآية الكريمة وردت فى سورة تحمل اسم القراءة (سورة اقرأ) أو (سورة العلق)[٢]، ويلاحَظ أن هذه السورة قد بدأت بالدعوة إلى العلم والقراءة والتعلم، ثم ختمت بالصلاة والعبادة وذلك ليقترن العلم والبحث والقراءة والتدبر

---

(١) يُطَلق على العصر الذى سبق دعوة الإسلام (العصر الجاهلى) حيث كان التخبط والتشرذم والصراعات والجهل المطبق بين نواحى الحياة، فكانت الدماء تسال وتُزهَقَ الأرواح من أجل ناقة أو دابة، وتستمر الحروب أعوامًا طويلة مثل حرب داحس والغبراء التى امتدت عقودًا من الزمن، ولقد حدثت هذه الحرب بين قبيلة بنى عبس وقبيلتى بنى ذبيان وبنى غطفان وكانت مناوشات وصراعات استمرت زهاء أربعين سنة من سنة ٥٦٨ إلى سنة ٦٠٨م. وهناك صراع آخر يسمى (حرب البسوس) واستمرت أيضًا حوالى (٤٠ سنة) ومكان بدايتها فى العشر سنوات الأخيرة من القرن الخامس الميلادى إلى انسحاب عدى بن ربيعة المعروف بمهلهل فيما يقرب من سنة ٥٢٥م، وقد ضرب العرب المثل بحرب البسوس فقالوا (أشأم من سراب) ـ انظر فى ذلك: د. السيد عبد العزيز سالم: تاريخ العرب قبل الإسلام ـ طبع الهيئة العامة لقصور الثقافة بمصر سنة ٢٠٠٠ ص ٣٧٨ ـ ٣٨٢.

أيضًا كانت تزهق أرواح البنات (وأد البنات) خشية العار والفضيحة للقبيلة، وغيرها من مظاهر الجاهلية المظلمة، أما فى الشعوب الأخرى غير العربية فكانت الصراعات والحروب والقتال والتناحر لسبب أو لغير سبب تدمر الأخضر واليابس، ودليلنا على ذلك الصراع الرهيب بين الفرس والروم وهما أقوى قوتين فى ذلك الوقت، ولقد ورد ذكرهما فى القرآن الكريم فى سورة (الروم) ـ فى قوله تعالى: (ألم، غلبت الروم فى أدنى وهم من بعد غَلبهم سيغلبون). سورة الروم الآيات من (١، ٣) انظر فى تفسير ذلك ما كتبه الأستاذ: محمد على الصابونى: «صفوة التفاسير» المجلد الأول ـ طبع دار القرآن الكريم ـ بيروت ـ لبنان ١٤٠٢هـ/ ١٩٨١م ص٥٨٠.

(٢) القرآن الكريم: سورة العلق ـ رقم (٩٦).

بالعمل فى تناسق وتناغم قلما نجد مثله فى تاريخ وحضارة البشرية حتى هذه الساعة.

وأرى أنه من المناسب جدًّا ونحن نتحدث عن المسلمين وحضارتهم الخالدة أن نذكر طرفًا مما قال منصفو الغرب من مستشرقين وعلماء وباحثين، ويلاحظ أنهم لم يتحدثوا بهذه الأحاديث بضغط من العرب والمسلمين، ولكن ذكروها بعد بحث وتدبر ودراسة متأنية لتاريخ العرب والمسلمين ودراسة القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، وتجردوا من مشاعر الغضب والحقد الدفين، وبعد وقت طال أم قصر استغرق فى التأمل والدرس والبحث عبّروا عن مشاعرهم تجاه المسلمين وتجاه تاريخهم العريق وحضارتهم الرائدة فأوردوها فى بحوثهم ودراساتهم وتقاريرهم العلمية، وهى فى واقع الأمر تمثل النظرة الصحيحة (للآخر)[1] تجاه المسلمين.

ومن هذا المنطلق فإننى عندما أذكر طرفًا من هذه الأحاديث فهى فقط للاستشهاد والاستدلال برأى الآخر الذى لا يدين بدينى ولا يتحدث بلغتى ليكون علامة مميزة (للآخر) المتعصب الذى يحاول النيل من تاريخ وحضارة ونظم المسلمين ويحاول

---

(١) هناك (آخر) لا يؤمن بديانة سماوية مثل (البوذية) وهى منتشرة فى عدد كبير من شعوب الأرض وخاصة فى آسيا أسسها (سد هارتا جوتاما) الملقب (بيوذا) سنة ٥٦٠ـ٤٨٠ ق.م، وكلمة (بوذا) تعنى العالم، وتنقسم البوذية إلى قسمين يشغلان جزءًا كبيرًا من ديانة الكرة الأرضية.

(أ) المذهب الشمالى: وكتبه مدونة باللغة السنكسريتية، وهو مذهب سائد فى الصين واليابان والتبت ونيبال وإندونيسيا.

(ب) المذهب الجنوبى: وكتبه مدونة باللغة البالية، وهو مذهب منتشر فى بلاد بورما وسيلان وسيام... وغيرها.

Encyclopedia Britannica, Vol. 3,p. 369-414. Pres. 1976.

وهناك أيضًا (السيخ ـ Sikhism) ظهرت فى الهند فى نهاية القرن الخامس عشر وبداية القرن السادس عشر الميلادى، ونزح بعضهم إلى ماليزيا وسنغافورة وشرق أفريقيا وإنجلترا وكندا وأمريكا وغيرها انظر:

J.D. Cunningham: History of the Sikhs 2nd ed. 1953.

أيضا هناك مذاهب وديانات أخرى تضم العديد من الأتباع والمريدين مثل (العلمانية، الشيوعية، الهندوسية، الوجودية، الماسونية، المارونية، الدرزية، الروتارى.. وغيرها).

انظر فى ذلك: الموسوعة الميسرة فى الأديان والمذاهب المعاصرة ـ طبع الندوة العالمية للشباب الإسلامى ـ الرياض ـ السعودية ـ ط٢ ـ ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م.

الربط بين أحداث فردية لا تمثل المسلمين إطلاقًا ويسعى جاهدًا لتشويه صورة المسلمين فى الغرب عبر وسائل الإعلام المختلفة.

أقوال بعض المستشرقين عن الإسلام وحضارته

هناك عدد كبير من المستشرقين القدامى والمعاصرين الذين عكفوا لسنوات طويلة على دراسة تاريخ وحضارة المسلمين عبر تاريخهم الطويل، وسجلوا انطباعاتهم عن هذه الحضارة فى دراساتهم وبحوثهم العلمية بشتى لغات العالم.

ونظرًا لكثرة هذه البحوث والدراسات فقد اخترت نماذج منها، مستشهدًا بها عن رؤية ونظرية (الآخر) المنصف للإسلام وحضارته.

١ـ المستشرق جرترود هارتمان

ذكر هذا المستشرق عبارات مطولة ومفصلة عن تاريخ وحضارة المسلمين وقدرتهم العلمية على الابتكار واقتباسهم من علوم وفنون وآداب الحضارات السابقة كالإغريق والفرس... وغيرهم. فقال هذه العبارة:

«من المدنيات القديمة التى استفاد منها العرب مدنية الإغريق، فأخذ العرب عنهم الطب والفلسفة والجغرافيا والفلك.. وقد ترجم العرب هذه العلوم إلى لغتهم، ثم أضافوا إليها أبحاثًا جديدة لم يكن الأقدمون قد وصلوا إليها، ومن ذلك أنهم أنشئوا علم الجبر وطبقوه على الهندسة، واستخدموا الكسور العشرية لأول مرة، وابتدعوا فى الطبيعة نظريات جديدة لانكسار الضوء واكتشفوا فى الكيمياء خواص الأحماض وابتكروا مركبات جديدة كحمض الكبريت، وحضّروا الزئبق، وأنشئوا علم الجراحة، وابتدعوا آلاته وعملياته، وابتكروا جبر العظام، وكتبوا فى أنواع الحمى ووصفوا المواد ذات الخصائص الطبية، وكانوا أسبق الشعوب إلى إنشاء المستشفيات والصيدليات، وسبقوا أهل أوروبا فى إقامة المدارس والمكتبات والجامعات، وفنهم الإسلامى الخالد لا تزال تشهد به آثارهم فى قصر الحمراء بغرناطة وجامع قرطبة، ومساجدهم بالقاهرة والقيروان ودمشق والهند، وهو فن لا يحاكى صورة الإنسان، بل يستمد روحه من الحياة النباتية، والأشكال الهندسية والمناظر الطبيعية، وكما ازدهرت العلوم التجريبية فى ظل الحضارة الإسلامية، ازدهرت كذلك علوم الوسائل والمقاصد

كالنحو والبيان والبديع والتفسير والحديث والفقه، والعلوم الإنسانية كالتاريخ وعلم الاجتماع.... وغيره من العلوم»[1].

٢ـ المستشرق جورج سارتون G. Sarton

أورد هذا المستشرق عبارات تشير إلى مدى نبوغ العرب والمسلمين فى المشرق فى العصور الوسطى، وألمح إلى ضرورة الأخذ من فنون وآداب وعلوم المسلمين، وأشاد بفضل اللغة العربية فى نقل العلوم والمعارف إلى شتى أجناس الأرض ومدى الاستفادة القصوى التى أخذ منها علماء الغرب من علوم وفنون وآداب المسلمين فى شتى عصور التاريخ، وهى إن دلت على شىء فإنما تدل على إنصاف نفر كثير من علماء الغرب ومفكريهم لجهود علماء المسلمين، وهى شهادات نعتز ونفخر بها من (الآخر) المنصف ـ فقد كتب جورج سارتون يقول:

«حقق المسلمون عباقرة الشرق أعظم المآثر فى القرون الوسطى، فكُتبت أعظم المؤلفات قيمة وأكثرها أصالةً وأغزرها مادةً باللغة العربية، وكانت من منتصف القرن الثامن حتى نهاية القرن الحادى عشر لغة العلم الارتقائية للجنس البشرى، حتى لقد كان ينبغى لأى كان إذا أراد أن يلم بثقافة عصره، وبأحدث صوره، أن يتعلم اللغة العربية، وقد فعل ذلك كثيرون من غير المتكلمين بها..»[2].

٣ـ المستشرقة زيجريد هونكه

لهذه المستشرقة جهود طيبة وملموسة فى إبراز جوانب مضيئة من الحضارة الإسلامية، وهى من المستشرقات الأوربيات اللاتى بذلن من أعمارهن أوقاتًا طويلة فى البحث والدرس والاستقصاء، هذا فضلا عن التنقل والترحال فى بلدان العالم العربى والإسلامى لمشاهدة الآثار والفنون والعمارة الإسلامية، هذا بالإضافة للاطلاع على المخطوطات وكتب التراث القديم، ومن ذلك كله خرجت بدراسات جادة عن الإسلام وحضارته الخالدة فكتبت تقول:

---

(١) جروترود هارتمان: العالم الذى نعيش فيه ـ ترجمة محمود حامد شوكت. طبع القاهرة سنة ١٩٤٩م ص١١٨.

(٢) انظر: أثر العرب والإسلام فى النهضة الأوروبية ـ تأليف مجموعة من الباحثين ـ طبع هيئة اليونسكو ـ القاهرة.

«إن أوروبا مدينة للعرب وللحضارة العربية، وإن الدَّيْن الذى فى عنق أوروبا وسائر القارات الأخرى للعرب كبير جدًّا، وكان يجب على أوروبا أن تعترف بهذا الصنيع منذ زمن بعيد، ولكن التعصب واختلاف العقائد أعمى عيوننا، وترك غشاوة.. إنها سبة أن يعلم أهل العلم من الأوروبيين أن العرب أصحاب نهضة علمية لم تعرفها الإنسانية من قبل، وأن هذه النهضة فاقت كثيرًا ما تركه اليونان والرومان، ولا يقرُّون هذا. إن العرب ظلوا ثمانية قرون طوال يشعُّون على العالم علمًا وفنًا وحضارة، كما أخذوا بيد أوروبا وأخرجوها من الظلمات إلى النور، ونشروا لواء المدنية أنَّى ذهبوا فى أقاصى البلاد ودانيها، سواء فى آسيا أو أفريقيا أو أوروبا، ثم تنكر أوروبا على العرب الاعتراف بهذا الفضل!!»(١).

٤ـ تقرير جامعة كامبردج ببريطانيا

هذا التقرير العلمى المهم صدر عن جامعة كامبردج ببريطانيا، ونُشر فى كتاب «تاريخ الإسلام» وهو يؤكد حقيقة عدالة الإسلام واستيعابه ورعايته لغير المسلمين من أهل الذمة (يهود ونصارى) وحرصه على حمايتهم والفصل فى قضاياهم، هذا بالإضافة لترابط المسلمين ووحدتهم ووقوفهم صفًا واحدًا فى النوازل، أيضًا استيعاب المسلمين لحضارات وثقافات الشعوب الأخرى قبل الإسلام، كذلك احترام المسلمين لكل من خالفهم فى العقيدة، ونقرأ فى التقرير هذه العبارات المهمة:

«إن الإسلام دين ومجتمع ومدنية وحضارة فى وقت واحد، وإذا كان من الصحيح أن بلدانًا عدة من بين تلك الأراضى التى انتشر فيها الإسلام كانت لها مدنيات وحضارات قديمة ذات شأن، وأن حضارة الإسلام قد تشربت ما سبقها وتمثلته بطرق متنوعة، فإنه ينبغى ألا يفوتنا أن الإسلام فى تمثله ما وجده من تراث حضارى متباين قد أمده بخصائص عامة جامعة وبوجهة مشتركة فى مجالات الصلة بالله وبالناس وبالعالم.

وهكذا أكد الإسلام الوحدة الجامعة للمركب الحضارى «دار الإسلام» رغم

(١) د. عبد الحليم المنتصر: الفكر العلمى والإسلامى والحضارة الإنسانية بحث فى كتاب (الإسلام والحضارة) ـ الطبعة الثانية ـ المجلد (١) ـ الندوة العالمية للشباب الإسلامى ـ الرياض ـ ١٤٠٥هـ ـ ص٣٧٠، ٣٧١.

التنوع فى اللغات أو التراث التاريخى أو السلالات العِرقية، وقد كان تاريخ الشعوب والبلدان الإسلامية مثالًا فريدًا لترابط الجانبين الروحى والمادى فى حضارة تقوم على أساس الدين، وقد توجد معها ثقافات دنيوية أخرى لكنها تمتصها..»[١].

٥ـ المستشرق جوستاف لوبون

من أبرز المستشرقين الفرنسيين الذين عنوا بدراسة تاريخ وحضارة المسلمين، وأبدى ارتياحه الشديد لإنجازات المسلمين الحضارية ليس فى قُطر معين أو فترة زمنية محددة ـ بل عبر عن آرائه وأفكاره بصراحة مطلقة فكتب يقول:

«لقد سار المسلمون فى طريق العلوم بتطبيقات عميقة، وفى كل مدينة كانوا يأخذونها، كان أول عمل يقومون به هو إقامة مسجد ثم مدرسة، وقد أدى ذلك إلى إقامة مؤسسات رائعة للتعليم فى عدد هائل من المدن.. ولقد وضع المسلمون العلم على طريق الدقة والتجربة والاكتشاق المتطلع إلى المستقبل عن طريق الفرضيات بحماس منقطع النظير، فى الوقت الذى أصدروا فيه الكتب والأبحاث وبنوا المدارس التى كانت تنشر أعمالهم الفكرية فى أرجاء المعمورة كافة، وبهذا فتحوا لأوروبا الطريق أمام نهضتها، ومن ثم فإنه يمكن بحق إضفاء لقب «أستاذ أوروبا» على القوة النامية الجديدة؛ حيث إنه تم من خلالها اكتشاف كنوز علوم الإغريق والرومان القديمة وتطويرها وإعادتها إلى أوروبا حين بدأت تخرج من آثار العصور الوسطى...»[٢].

٦ـ المستشرق جوليفيه كارتلو Jolivet Cartelot

يقرر هذا المستشرق الفرنسى الشهير فى عبارات موجزة مكانة الحضارة الإسلامية وعراقتها وتفوقها على سائر الحضارات السابقة؛ لما تميزت به من تناسق وتناغم وتجانس بين المادة والروح، وإيمانها برب السموات والأرض. وأشار إلى اقتباس الغرب من حضارة المسلمين فى شتى علوم الحياة فذكر فى كتابه المعروف «قانون التاريخ» هذه العبارة:

---

(1) Cambridge University: History Of Islam- London. P. 369.

(٢) حكيم امتياز خان: منجزات الحضارة الإسلامية فى مجال العلوم والفنون ـ بحث فى كتاب (الإسلام والحضارة) ـ الندوة العالمية للشباب الإسلامى ـ الرياض ـ ١٤٠٥هـ ص٣٧٠، ٣٧١.

«كان التقدم العربى بعد وفاة الرسول ﷺ عظيمًا جرى على أسرع ما يكون، وكان الزمان مستعدًا لانتشار الإسلام، فنشأت المدنية الإسلامية نشأة باهرة، وقامت فى كل مكان مع الفتوحات بذكاء غريب، ظهر أثره فى الفنون والآداب والشعر والعلوم، وقبض العرب بأيديهم خلال عدة قرون على مشعل النور العقلى، وتمثلوا جميع المعارف البشرية التى لها مساس بالفلسفة والفلك والكيمياء والطب والعلوم الروحية، فأصبحوا سادة الفكر مبدعين ومخترعين، لا بالمعنى المعروف بل بما أحرزوا فى أساليب العلم التى استخدموها بقريحة وقّادة للغاية.

وكانت المدنية العربية قصيرة العمر إلا أنها باهرة الأثر، وليس لنا إلا إبداء الأسف على اضمحلالها، وإن أوروبا لمدينة للحضارة العربية بما كُتب لها من ارتقاء من القرن العاشر إلى القرن الرابع عشر الميلادى، وعنها أخذت الفكرة الفلسفية العلمية التى سرت سريانًا بطيئًا ناقصًا فى القرون الوسطى، وإن أوروبا لتتجلى لنا منحطة جاهلة أمام المدنية العربية وأمام العلم العربى والآداب العربية، وقد انقضت أربعة قرون لا حضارة فيها غير الحضارة العربية وعلماؤها حملة لوائها الخفاق...»[1].

٧ـ المستشرق كريستوفر داوسون C. Dawson

لعله من باب المصادفة أن يقرر هذا المستشرق ما قرره المستشرق السابق ذكره جوليفيه كارتلو عن مكانة الحضارة الإسلامية واستمرارها لأكثر من أربعة قرون من الزمان، فقد كانت السائدة والرائدة فى مجال العلوم والفنون... وغيرها، وعن الحضارة الإسلامية اقتبست أوروبا حضارتها، وهى لذلك مدينة للعرب وللمسلمين بالشىء الكثير، ولقد خص كريستوفر داوسون الحضارة العباسية بالتحديد ربما نظرًا لتخصصه ووقته الذى قضاه فى دراسة تاريخ وحضارة الدولة العباسية فى مرحلتيها الأولى والثانية وهى حضارة ممتدة لعقود طويلة من الزمان، هذا بالإضافة لاتساع رقعتها فى العالم، ونقرأ له هذه العبارة: «**كانت الحضارة العباسية ولسانها العربية ودينها الإسلام مكملة بمظهرها العقلى للحضارات القديمة التى مثلتها مملكة العباسيين الواسعة، ويصح ذلك على الخصوص بما نشأ من الفلسفة العربية والعلوم العربية اللذين ارتقيا فى ذلك العصر وأثرّا تأثيرًا عظيمًا فى أهل القرون الوسطى عامة، ولقد كانت الحركة العلمية فى العالم لأكثر من أربعة قرون بأيدى الشعوب**

---

(1) Jolivet Cartelot: La Lia de - History - Paris.

الإسلامية، وعن العرب أخذت أوروبا الغربية أصولها العلمية، ويرجع الفضل فى المجالين العلمى والفلسفى فى العالم إلى العرب وإلى الإسلام نفسه»[1].

٨ـ المفكر الهندى البروفيسور تارا Tara

لهذا المفكر والفيلسوف الهندى بحوث ودراسات فى شتى علوم المعرفة، منها دراسته التى تحمل عنوان: «تأثير الإسلام على حضارة الهند» فقد اعترف البروفيسور «تارا» بمكانة الشريعة الإسلامية واحترامها للإنسان ذكرًا كان أو أنثى أو حتى غير المسلمين، وأبرز جوانب مضيئة من الحضارة والفكر الإسلامى، وكما هو معلوم فإن المسلمين فى الهند وشبه القارة الهندية يتعرضون بين الحين والآخر لضغوط سياسية وألوان من التمييز العنصرى والتضييق عليهم فى تولى المناصب القيادية فى الهند، هذا بالإضافة للاعتداءات المتكررة على أماكن ودور عبادتهم، ولعل أبرزها اعتداء بعض متطرفى السيخ على المسجد البابرى منذ سنوات قليلة فى ولاية أوتار براديش، ولكن البروفيسور (تارا) يتحدى الجميع ويذكر هذه العبارة المخلصة:

«إن للعقلية الإسلامية وللشريعة الإسلامية تأثيرًا فى أخلاق الأمم اجتماعيًا وتشريعيًا فى أوروبا وأمريكا وفى الهند الوثنية بعد الفتح الإسلامى، تراه وتلمسه فى الاتجاه إلى التوحيد، ونزعات الاحترام للمرأة وحقوقها والاعتراف بمبدإ المساواة بين طبقات البشر، إلى غير ذلك مما سبق إليه الإسلام وامتازت به شريعته ومدنيته..»[2].

٩ـ المستشرقة أ. هـ. كريستى

تحدثت المستشرقة أ. هـ كريستى حديثًا مطولًا عن انتقال فنون وصناعات المسلمين إلى أوروبا عن طريق الأندلس وسواحل إيطاليا عبر الرحلات التجارية فكتبت تقول فى كتاب شهير شارك فيه نخبة من كبار المستشرقين الأوروبيين وهو كتاب «تراث الإسلام»:

«والمسلمون هم الذين أسسوا أول المصانع الأوروبية فى إسبانيا وصقلية، ومنها

---

(١) وردت هذه العبارة فى كتابه «أصول أوروبا والمدنية الأوروبية» صدر فى فرنسا باللغة الفرنسية تحت عنوان: «Dawson.K: les Origins de L'Europe «et la civilization ene Europe - Paris

(٢) محمد عبدالله السمان: الفقة الحضارى لدى فقهاء المسلمين مجلد (١) بحث نشر فى كتاب (الإسلام والحضارة) ـ الرياض ١٩٨٩م ـ ص٤٠٤.

انتقلت هذه الصناعة إلى إيطاليا أول الدول الغربية التى تتجاوب مع التيار العربى الإسلامى، وذلك بحكم العلاقات التجارية التى كانت قائمة بينها وبين بلاد الشرق من ناحية، وبحكم الجوار للأندلس من ناحية أخرى، ثم بحكم الطبيعة الفنية التى كانت غالبة عليها من ناحية ثالثة. ومن أجل هذا ظهرت مسحة شرقية غالبة على الكتب المجلدة فى مصانع التجليد الإيطالية إبان القرن الخامس عشر للميلاد، حينما كانت مدينة البندقية آخذة فى أساليب الفن الإسلامى تتشبع بها وتشعها فى الخارج.. والواقع أن التأثر بالتجليد الإسلامى لم يقف عند الأشكال الزخرفية التى أخذها الفرنجة عن العرب والمسلمين، وإنما يتجلى فى مظهرين آخرين هما: وجود اللسان الذى يُطوى لحماية الأطراف الأمامية من الكتاب، وتذهيب ما على جلود الكتب من زخارف ورسوم...»[1].

١٠ـ البروفيسور سارى

يتحدث هذا المستشرق عن مهارة المسلمين فى مجال الفنون التطبيقية واختراعاتهم وتفوقهم فى صناعة الكتاب تأليفًا وتجليدًا فى العصور الوسطى، ليس فى قُطر معين بل فى العديد من بلدان العالم العربى والإسلامى سواء فى المشرق أو المغرب العربى. ويؤكد استفادة العديد من بلدان أوروبا من فنون وحِرف وصناعات العرب والمسلمين فكتب يقول فى كتابه المعروف «Islamic Book - Binding» والذى طُبع فى لندن سنة ١٩٢٣م:

«استطاع فنانو المسلمين أن يتفوقوا على ما صنعه المسيحيون والمانوية والزرداشتية فى هذا المضمار، وفى العراق «بلاد ما بين النهرين» والأندلس «إسبانيا» بوجه خاص، كان هناك اهتمام خاص بتجليد الكتب، وفى إسبانيا كانت مالقه قبل كل شىء مستودعًا للنفيس الفاخر من الأعمال الجلدية، وكان لجمّاعى الكتب وأمراء المسلمين العظام ـ الذين شجعوا على إقامة المكتبات العظيمة ـ دور لا يُجحد فى هذا التطور منقطع النظير الذى حدث فى صناعة الكتاب فى العصور الوسطى»[2].

---

(١) أ. هـ. كريستى: تراث الإسلام. تأليف مجموعة من المستشرقين ـ جمعية البروفيسور ألفرد غليوم ـ طبع ونشر لجنة التأليف والترجمة والنشر بالقاهرة ١٩٣٦ جـ٢ ص٨٨.

(2) sarrc. I: Islamic book bindings. London. Kegan paul & co. Sarri.i: Islamic Book bindings - London. 1923. Pp 13-23.

وتحت هذه النقطة أيضًا كتب المستشرق دى جروليه عن تفوق المسلمين فى مجال صناعة الكتاب على دول أوروبا، فكتب يقول: «**ومنذ نهاية القرن الحادى عشر وأوائل القرن الثانى عشر كانت صقلية تستورد الورق من بلاد العرب، ثم استوردته من جنوه حوالى سنة ١١٥٠م**»[١].

١١ـ المستشرق سفندال

استوقفتنى كثيرًا عبارات وكلمات هذا المستشرق الحجة فى مجال الفنون والحِرف والصناعات، فكتب فى كتابه الشهير «**تاريخ الكتاب من أقدم العصور إلى الوقت الحاضر**» ـ بإنصاف شديد عن المكانة الكبيرة التى تربع عليها فنانو المسلمين وعلماؤهم فى مجال صناعة الكتاب واستيعاب اللغة العربية للغات وعلوم الأمم السابقة، ثم انتقال هذه العلوم إلى أوروبا فى العصور الوسطى ـ فكتب فى ذلك يقول: «**أول الفنون التى تعلمها الإيطاليون قبل كل شىء من أساتذتهم المسلمين...**» إلى أن قال:

«**كان للعرب فضل على تراث الإنسانية وما أنتجته قرائح الإغريق من آثار علمية وأدبية وفلسفية، وكما كانت اللغة العربية هى الوعاء الذى انتقلت فيه الثقافة اليونانية القديمة إلى أمم الغرب فى العصور الوسطى، كذلك كان للأمة العربية الفضل فى إدخال صناعة الورق إلى أوروبا منذ القرن الثانى عشر للميلاد، فقد نقل العرب هذه الصناعة إلى صقلية وإسبانيا، ومنها انتقلت إلى إيطاليا وفرنسا..**»[٢].

ويؤيد هذا الحديث أيضًا ما أورده **معجم أكسفورد البريطانى** فى اللغة عندما تحدث عن صناعة الورق، وعن انتقال هذه الصناعة من العرب إلى أوروبا فكتب يقول: «**إن لفظة ream الإنجليزية مشتقة من اللفظة الفرنسية القديمة raime، وأن هذه اللفظة مشتقة من كلمة resma الإسبانية المأخوذة بدورها من كلمة (رزمة) العربية التى مازالت تُستعمل حتى اليوم**»[٣].

---

(١) آريك دى جروليه: تاريخ الكتاب ـ ترجمة خليل صابات ـ طبع مكتبة نهضة مصر بالقاهرة ـ سنة ١٩٥٩م ص٢٧.

(٢) سفندال: تاريخ الكتاب من أقدم العصور إلى الوقت الحاضر ـ ترجمة محمد صلاح الدين حلمى ـ طبع المؤسسة القومية للنشر والتوزيع بالقاهرة سنة ١٩٥٨م ص١٣٣.

(3) The Oxford English dictionary vll. 205.

١٢ـ البارون كارادينو

انبهر العديد من علماء ومؤرخي ومستشرقى أوروبا بجهود علماء المسلمين فى شتى الفنون والعلوم والآداب، مثل جهود العلماء: **الخوارزمى**[١]، **وابن الهيثم**[٢]، **والبيرونى**[٣] **وابن النفيس، وابن سينا، والكندى، وجابر بن حيان، والبوزجانى، والصوفى، والطوسى، والكاشى، والإنطاكى، والبغدادى، والخازن، والقزوينى، والغافقى، وابن البيطار، والدميرى، والجاحظ، والزهراوى، وابن طفيل، والفارابى، وابن العوام، وابن يونس، وابن حمزة، والجلدكى، والمقدسى، والإدريسى، وابن مسكويه، وابن خلدون، وإخوان الصفا، وابن البطريق، والدينورى، والمقريزى**[٤].. **وغيرهم**.

كانت لهؤلاء جميعًا وغيرهم كثير العديد من المؤلفات والمصنفات فى شتى العلوم والفنون والصناعات والآداب ـ ما يعجز المرء عن وصفه ـ فى وقت كانت فيه أوروبا تَغُطُ فى سبات عميق، وعنهم أخذ علماء الغرب فنونهم وعلومهم وآدابهم وسائر إنتاجهم العلمى والتقنى، ويلاحَظ أن علماء المسلمين الذين وردت أسماء بعضهم سابقًا ينتسبون إلى عدد كبير من مدن العالم العربى والإسلامى فهناك على سبيل المثال الطوسى نسبة لمدينة طوس فى آسيا والأنطاكى نسبة لمدينة أنطاكية والبغدادى نسبة لمدينة بغداد والقزوينى نسبة لبحيرة قزوين والمقدسى نسبة لمدينة القدس الشريف... وغيرها من مدن العالم العربى والإسلامى فى آسيا وأفريقيا وأوروبا.

---

(١) هو أبو عبدالله الخوارزمى ـ توفى سنة ٩٩٧م ـ من أهل خراسان وأول من ألّف موسوعة بالعربية وهى «مفاتيح العلوم».

(٢) هو أبو على الحسن بن الهيثم ٩٦٥ ـ ١٠٣٩م ـ فلكى ورياضى من أهل البصرة ـ قصد القاهرة ـ وخدم الخليفة الفاطمى الحاكم بأمر الله واشتهر بكتابة «المناظر» فى البصريات.

(٣) هو أبو الريحان البيرونى ـ توفى سنة ١٠٤٨م ـ وهو مؤرخ ورياضى من علماء الإسلام المشهورين ـ فارسى الأصل ـ صديق ابن سينا ـ من أبرز مؤلفاته «الآثار الباقية عن القرون الخالية» وكمتابه «تاريخ الهند» وغيرها من الدراسات.

(٤) انظر فى هذا الخصوص ما كتبه الدكتور عبد الحليم منتصر فى دراسته التى تحمل عنوان: جهود العرب والمسلمين فى العلوم الطبيعية ضمن بحوث كتاب «أثر العرب والإسلام فى النهضة الأوربية». طبع الهيئة المصرية العامة للكتاب بالقاهرة سنة ١٩٨٧م ص١٧٥.

نعود مرة أخرى إلى ما كتبه البارون كارادينو عن مهارة المسلمين فى مجال العلوم الرياضية.. فكتب يقول:

«إن كلمة الجيبرا هى الترجمة اللاتينية لكلمة «الجبر» العربية، وتعنى تحويل الأعداد المركبة إلى لغة الرموز البسيطة، وبهذا يكشف ما يدين به العالم للعرب بهذا الاختراع، كذلك فإن الأعداد المستعملة هى أعداد عربية ليس فقط بالاسم ولكن أيضًا فى الحقيقة، وفضلا عن ذلك فإن إدراك العرب لقيمة الرمز الهندى للصفر قد وضع أساس كل التكنولوجيا الحديثة التى تعتمد على الكمبيوتر»[1].

وهذا أيضًا المستشرق «دينو» قد توسع فى هذا المجال فكتب يقول: **«باستعمال الأصفار صار العرب مؤسسى علم الحساب الذى يستخم فى الحياة اليومية، كما وضعوا الجبر على أسس علمية دقيقة وطوروه تطويرًا كبيرًا، كذلك وضعوا أساس علم الهندسة التحليلية، كما أنهم أصبحوا بلا منازع مؤسسى علم «هندسة المثلثات البحتة والكروية»، كما كان الاسطرلاب من ابتكار العالم «الرزقالى العربى» الذى عاش فى إسبانيا فى الفترة من ٢٩ـ١٠ـ١٠٨٧م، كذلك فإن نظام العد العشرى فى الحساب والذى يسمى باللاتينية ـ الخورزم ـ هو الترجمة اللاتينية لاسم مخترعة «الخوارزمى»**.

لقد أحيا العرب الحياة الفكرية السامية ودراسة العلوم فى الوقت الذى كان فيه الغرب المسيحى يحارب بعضه بعضًا بصورة بربرية.. [2].

١٣ـ وثيقة المجمع الكنسى فى الفاتيكان سنة ١٩٧٠م

صدرت هذه الوثيقة من مكتب «شئون غير المسيحيين» فى الفاتيكان سنة ١٩٧٠م تحمل عنوان: **«اتجاهات نحو الشرق من أجل حوار بين المسلمين والنصارى»** وللمرة الأولى نجد أن هذه الوثيقة تدعو قارئها إلى ضرورة إخراج الصورة القديمة المتوارثة عن الماضى وتصحيح الصورة التى يحملها متشددو النصارى تجاه العرب والمسلمين. أيضًا قدمت الوثيقة إقرارًا بالظلم التاريخى الذى تعرض له المسلمون

---

(١) د. عبد الحليم منتصر:الفكر العلمى الإسلامى والحضارة ودور الإنسانية ـ بحث فى كتاب (الإسلام والحضارة) المجلد الأول ص٥٥٤.

(٢) حكيم امتياز حسين: المرجع السابق ص٧٣٥.

من قِبل بعض متطرفى النصارى، كما قدمت الوثيقة لومًا وتأنيبًا على واضعى مناهج التعليم المسيحى الذين يحاولون تشويه صورة المسلمين فى مناهج التعليم المقدمة للطلاب والدارسين فى أوروبا، أيضًا انتقدت الوثيقة المفاهيم المسيحية الخاطئة بما مثّلت له بالجبرية الاعتقادية والتزمت والتعصب.

وأكدت الوثيقة الاعتقاد بوحدانية الخالق، كما لفتت الأنظار إلى دهشة الحاضرين بجامعة الأزهر بالقاهرة، وذلك عندما أعلن الكاردينال **(كوينج)** هذه الوحدانية فى الجامع الأزهر خلال مؤتمر رسمى عُقد فى شهر مارس سنة ١٩٦٩م بالقاهرة.

ومن ناحية أخرى فإن الفاتيكان قد وجَّه الدعوة للمسيحيين سنة ١٩٦٧م بأن يقدموا للمسلمين أطيب التمنيات بمناسبة حلول شهر رمضان المبارك. جدير بالذكر أيضًا الإشارة إلى الزيارة التاريخية التى قام بها **الكاردينال (بيجنيرونى)**[(١)] ـ رئيس مجلس الفاتيكان لشئون غير المسيحيين والتى تمت فى ٢٤ إبريل سنة ١٩٧٤م للملك فيصل بن عبد العزيز ـ عاهل المملكة العربية السعودية ـ رحمه الله تعالى ـ وذلك لمكانته الدينية فى العالم الإسلامى حيث توجد أبرز معالم الإسلام فى مكة المكرمة والمدينة المنورة. وقد علقت صحيفة لوموند الفرنسية فى اليوم التالى للزيارة التاريخية. وألمحت إلى الرسالة التى حملها الكاردينال من البابا بولس السادس بابا الفاتيكان آنذاك إلى جلالة الملك فيصل بن عبد العزيز ـ رحمه الله تعالى ـ حيث عبرت الرسالة عن تحيات البابا والعالم المسيحى للعالم الإسلامى وأن العالمين المسيحى والإسلامى يعبدون إلهًا واحدًا، وإلى ضرورة التعايش السلمى بين شعوب الأرض إخوة متحابين وجيران متلازمين.

١٤ـ كلمات موجزة لبعض المستشرقين عن «حضارة الإسلام»

(أ) **المستشرق الإيطالى «فرانشيسكو جابرييلى»** كتب يقول فى عبارة موجزة **«وُلد الإسلام فى منطقة صحراوية من العالم القديم، ولكنه سرعان ما تجاوزها وأصبح**

---

(١) محمد فريد عبد الخالق: أساسيات فى موضوع الإسلام والحضارة ودور الشباب ـ بحث ضمن سلسلة بحوث (الإسلام والحضارة) طبع الندوة العالية للشباب الإسلامى ـ الرياض ـ المجلد الأول ص١٥٥، ١٥٦.

عقيدة تشعُّ منها قوة عجيبة أنتجت حضارة تدعو إلى الإعجاب رغم اختلاف البيئات والمستويات الثقافية التى ازدهرت فيها...»[١].

(ب) الكاتب الأيرلندى برنارد شو[٢] وهو من الكتاب الأوربيين المشهورين كتب يقول:

«إنى أرى فى الإسلام دين أوروبا فى القرن العشرين»، ثم يقول أيضًا: «أعتقد أن رجلًا كمحمد ﷺ لو تسلم زمام الحكم فى العالم بأجمعه لتم النجاح فى حكمه، ولقاده إلى الخير وحل مشكلاته على وجهٍ يكفل للعالم السلام والسعادة المنشودة».

(جـ) المستشرق ت.س. مرجليوث كتب فى بحثه (محمد) هذه العبارة:

«إن الذين كتبوا فى سيرة محمد لا ينتهى ذكر أسمائهم، إنهم يرون من الشرف للكاتب أن ينال المجد بتبوئه مجلسًا بين الذين كتبوا عن سيرة هذا الرسول..»[٣].

(د) ألفونس دينيه، وهو فنان ومصور اعتنق الإسلام وكتب يقول:

«العقيدة المحمدية لا تقف عقبة فى سبيل التفكير.. وقد يكون الإنسان مسلمًا صحيح الإسلام وفى الوقت نفسه حر التفكير...».

ثم يقول فى كتابه الذى ألَّفه فى السيرة النبوية فكتب يقول: «... الدين الإسلامى لم يتخذ فيه الإله شكلًا بشريًا وما إلى ذلك من الأشكال. إن «يهوا» إله اليهود الذى يمثلون به الطهارة ويجعلونه فى مظاهر متهالكة مبتذلة. وكذلك نرى الإله فى نسخ الأناجيل المصورة، أما الإله فى الإسلام فقد حدَّثنا عنه القرآن الكريم، وحدَّثنا الرسول محمد ﷺ، ولم يجرؤ مصور أو نحات أن تجرى به ريشته أو ينحته إزميل، ذلك لأن الله سبحانه وتعالى لا صورة له ولا حدود ولا شبيه له أو مثيل، وهو الواحد الأحد الفرد الصمد الذى لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوًا أحد»[٤].

---

(١) فيصل حسون: التحديات الحضارية المعاصرة للأمة الإسلامية ـ الرياض ـ السعودية ص٢٠١.

(٢) فيصل حسون: المرجع السابق ص٢٠٠ـ٢٠١.

(٣) ت.س. مرجليوث: محمد ـ ضمن سلسلة عظماء الإسلام، طبع سنة ١٩٠٥م.

(٤) ألفونس آتيين دينيه ـ هو مصور وفنان عالمى له العديد من الإنتاج فى مجال الفنون واللوحات المصورة ـ اعتنق الإسلام وأطلق على نفسه اسم (ناصر الدين)، ودافع عن الإسلام والمسلمين.
انظر: د. محمد عبدة يمانى «علموا أولادكم محبة رسول الله ﷺ» طبع الشركة السعودية للأبحاث والتسويق ـ جدة ـ الطبعة الرابعة ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م ص٧٠.

(هـ) **توماس أرنولد**.. كتب عن أساليب الدعاة فى العالم الإسلامى فى نشر دعوة الإسلام فقال: «**إذا ما دخل الداعية المسلم، تاجرًا كان أو معلمًا أو جنديًا أو عاملًا، قرية وثنية، فسرعان ما يلفت النظر بكثرة وضوئه وانتظام أوقات صلاته والعبادة التى يبدو فيها كما لو كان يخاطب كائنًا خفيًا، إن ما يتحلى به من سمو عقلى وخلقى ليفرض احترامه والثقة به على الأهالى الوثنيين، الذين يبدى لهم فى الوقت نفسه استعداده ورغبته فى مدِّهم بمزاياه ومعارفه السامية**»[1].

(و) **المستشرق بليدن** .. كتب هذا المستشرق يقول عن عدم التفرقة بين البشر فى الإسلام، هذه العبارة البليغة: «... **وفى الحق يظهر أن الإسلام لم يعامل الفرد الأسود قط على أنه طبقة منحطة، كما كانت الحال لسوء الحظ فى كثير من الأحيان فى العالم المسيحى**»[2].

(ز) **عالم الاجتماع الفرنسى «بير بيرشون»**

وهو أستاذ علم الاجتماع بمعهد الدراسات السياسية بالجامعات الفرنسية، ذكر فى بعض بحوثه ودراساته أن «صراع الثقافات والأديان» مصطلح تم اختلاقه بوصفه ستارًا لصراع المصالح بين الدول الكبرى، وأن فى فرنسا جالية مسلمة تقدر بنحو ٤ ملايين مسلم أى ٧٪ من عدد سكان فرنسا، ويمثل المسلمون ثانى أكبر جالية دينية بعد الجالية الكاثوليكية، حيث هاجروا من عدة دول مثل الجزائر والمغرب وتونس وتركيا ومصر... وغيرها. **ويحترم الفرنسيون الدين الإسلامى وشعائره ومعتقداته بصورة كبيرة**[3].

(حـ) **المستشرق الألمانى (هونار بارخ)** رئيس معهد الدراسات الإسلامية ومعهد اللغات الشرقية بجامعة بون كتب يقول: «**عند زيارتى للمكسيك سنة ١٩٦٥م تأملت الفن المعمارى المعرب المدجن الذى انتقل من إسبانيا إلى أمريكا اللاتينية ووجدت**

---

(١) توماس أرنولد: الدعوة إلى الإسلام.

(٢) د. سليمان محمد الطماوى: الفكر الحضارى لدى عمر بن الخطاب ـ فى أصول السياسة والإدارة الحديثة بحث فى كتاب (الإسلام والحضارة) ـ الرياض ـ ١٤٠٥هـ ص٣٨٩.

(٣) ورد هذا الحديث فى صحيفة الأهرام القاهرية صباح الأحد ٢٣ من المحرم ١٤٢٥هـ، الموافق ١٤ من مارس ٢٠٠٤ ـ العدد رقم ٤٢٨٣٢ ـ بواسطة الصحفية (دينا كمال) فى صفحة (دنيا الثقافة) ص٢٤.

الأثر العربى المتمثل فى الفندق والقيصرية، فخُيّل إلىَّ وأنا أسير بين تلك العمارات ذات الطابع الإسلامى، أننى فى شمال أفريقيا العربية المسلمة..»[1].

١٥ـ بعض كلمات رؤساء دول العالم عن «الإسلام وحضارته»

أردت أن أختتم هذا الجزء من الدراسة بذكر بعض الكلمات التى وردت على ألسنة عدد من رؤساء وأمراء ومسئولى العالم فى الغرب عن الإسلام وحضارته العريقة، وذلك لتكون شاهدًا وإنصافًا من (الآخر) للمسلمين إلى جانب ما أورده وذكره بعض المستشرقين الأوربيين الذين عكفوا لسنوات طويلة على دراسة وتمحيص سيرة العرب والمسلمين عبر تاريخهم الطويل والذين سبق ذكر بعضهم.

جميع هذه الأقوال تدعونا حقيقة إلى نبذ الخلافات والصراعات وطرح الأحقاد والضغائن والوقوف صفًا واحدًا تجاه مواجهة قوى الغدر والبطش والجهل والتطرف من الجانبين لمواجهتهم بالحجة والمنطق بل محاورتهم وإقناعهم بأن المسلمين لم يكونوا يومًا ما أرباب قتل أو دماء أو عنف أو بطش أو غدر أو خيانة ـ بل إنهم تربوا على آداب سامية راقية مستمدة من تشريع السماء بالوحى المنزل على قلب خاتم الرسل والأنبياء محمد بن عبدالله صلوات الله وسلامه عليه، وهى حقيقة واقعة لا لبس فيها ولا مراء، والدليل على ذلك ما تم ذكره من جوانب مضيئة من حضارة المسلمين بأقلام بعض المستشرقين، ومن ناحية أخرى فإن فى أقوال بعض زعماء العالم الذين تحدثوا فيها عن التخبط الذى لازم شعوبهم وأدركوا أن الاستقرار والتقدم لا يكون فى البطش والعنف والدم ولكن فى وجود حياة كريمة آمنة بين البشر وبأن العودة إلى الدين ـ سواء أكان مسيحيًا أم إسلاميًا ـ أصبح بالغ الأهمية للبشرية.

(أ) الرئيس الأمريكى (ولسون) ١٩١٣ـ١٩٢١م

إن اختصار المسألة بأسرها هو ما يلى:

«إن حضارتنا لا تستطيع الاستمرار فى البقاء من الناحية المادية إلا إذا استمرت

---

(١) هونار بارخ: تأثير الفكر الإسلامى فى أوروبا ـ بحث ألقاه فى الملتقى السادس للفكر الإسلامى سنة ١٩٧٢م بالجزائر ص ٣٦، ٣٧.

روحانيتها.. هذا هو التحدى النهائى لكنائسنا ومنظماتنا السياسية والرأسمالية عندنا، ولكل فرد يخاف الله أو يحب بلده..»[1].

(ب) جون فوستر دالاس

وزير خارجية الولايات المتحدة الأمريكية ١٩٥٢ ـ ١٩٥٩م كتب يقول:

«إن هناك شيئًا ما يسير بشكل خاطئ فى أمتنا، وإلا لما أصبحنا فى هذا الحرج وفى هذه الحالة النفسية.. لا يجدر بنا أن نأخذ موقفًا دفاعيًا وأن يتملكنا الذعر، إن ذلك أمر جديد فى تاريخنا.. إن الأمر لا يتعلق بالماديات، فلدينا أعظم إنتاج عالمى فى الأشياء المادية، إن ما ينقصنا هو إيمان صحيح وقوى، فبدونه يكون كل ما لدينا قليلًا، وهذا النقص لا يعوضه السياسيون مهما بلغت قدرتهم، أو الدبلوماسيون مهما كانت فطنتهم، أو العلماء مهما كثرت اختراعاتهم، أو القنابل مهما بلغت قوتها.. فمتى شعر الناس بالحاجة إلى الاعتماد على الأشياء المادية كانت النتائج سيئة.. يجب أن نفهم بوضوح أن مجتمعًا حرًا ليس معناه مجتمعًا يسعى كل فرد فيه لنفسه، بل إنه مجتمع متناسق.. فإن الناس كى يعيشوا إخوانًا فى رعاية الله..»[2].

(جـ) كلمة الأمير تشارلز ولى عهد بريطانيا

أُلقيت هذه الكلمة لولى عهد بريطانيا الأمير تشارلز عند زيارته لمركز أكسفورد للدراسات الإسلامية يوم ٢٧ من أكتوبر سنة ١٩٩٣م، وردت فيها هذه العبارات التى تكشف عن جوهر الإسلام وشريعته الغراء وحضارته الخالدة، وعن أهمية الاستفادة منها من قِبل علماء الغرب ونبذ الأحقاد والضغائن والعيش فى سلام وأمان، فكتب يقول:

«... إذا كان هناك قدر كبير من سوء الفهم فى الغرب بطبيعة الإسلام، فإن هناك أيضًا قدرًا مساويًا من الجهل بالفضل الذى تدين به ثقافتنا وحضارتنا للعالم الإسلامى... لقد شجع الإسلام البحث والتنقيب وحافظ عليهما.. كما أن كثيرًا من

---

(١) د. على عبد الحميد محمود: الحضارة والإسلام بحث فى كتاب (الإسلام والحضارة) الرياض ـ ١٤٠٥هـ، جـ١ ص٤٥٣.

(٢) جون فوستر دالاس: حرب أو سلام ـ د. على عبد الحليم: المرجع السابق جـ١ ص٤٥٤ ـ ٤٥٦.

المزايا التى تفخر بها أوروبا العصرية جاءت أصلًا من إسبانيا أثناء الحكم الإسلامى، فالدبلوماسية وحرية التجارة والحدود المفتوحة وأساليب البحث الأكاديمى وعلم الإنسان والأنساب وآداب السلوك وتطوير الأزياء والطب البديل والمستشفيات جاءت كلها من تلك المدنية العظيمة، وعلاوة على ذلك فإن الإسلام يمكن أن يعلمنا طريقة للتفاهم والعيش فى العالم.. ويكمن فى جوهر الإسلام حفاظه على نظرة متكاملة للكون، ويرفض الفصل بين الإنسان والطبيعة والدين والعلم والعقل والمادة، وحافظ على نظرة غيبية وموحدة للبشر والعالم من حولهم... إن المبدإ الموجه وروح الشريعة الإسلامية المستمدين من القرآن الكريم ينصَّان على الإنصاف والرحمة.. علينا أن نتعلم وأن يفهم بعضنا بعضًا. وأن نُظهر الثقة والاحترام المتبادل والتسامح.. ولا نبعث من جديد مجابهات الماضى.. وأن يطلع بعضنا البعض على تجاربنا ونشرح موقفنا بعضنا البعض ونتفاهم ونتسامح.. أن نفهم أهمية المصالح والتدبر وأن نفتح عقولنا وقلوبنا لبعضنا البعض»[1].

(د) الرئيس الفرنسى جاك شيراك

قال الرئيس الفرنسى هذه الكلمة عندما كان يشغل منصب عمدة باريس أثناء حملته الانتخابية فى سنة ١٩٩٥م:

«إن الإسلام يُعَدُّ من الديانات العظيمة التى تضىء العالم أجمع.. وإن ممارسة الشعائر الدينية الإسلامية فى إطار القوانين الفرنسية لا ينبغى أن تثير أى مخاوف»[2].

---

(١) تولى مركز أكسفورد للدراسات الإسلامية طبع هذه الكلمة بلغتين عربية وإنجليزية سنة ١٩٩٣ فى دراسة خاصة صادرة فى أكسفورد بإنجلترا.

(٢) نقل الصحفى المصرى شريف الشوباشى ـ مراسل جريدة الأهرام المصرية من باريس ـ هذه الكلمة، ونشرها فى جريدة الأهرام ـ العدد رقم (٣٩٥٤٧) ـ السنة ١١٩ يوم الجمعة ١٧ من مارس سنة ١٩٩٥ ص٤.



ثانيا: الآخــر

تحت هذا العنوان تكثر التعريفات، ولقد لفت نظرى تعريف محدد قاطع ذكره لى زميلى فى جامعة المنيا ـ كلية دار العلوم ـ عندما سألته تعريفًا موجزًا للآخر فقال لى **(الآخر هو ليس أنا المسلم)** [1].

فالآخر إذًا هو من ليس على دينى ولا يعتقد اعتقادى، ولكن هذا لا يمنع من أن الآخر هو (أنا) فى الإنسانية والبشرية، يريد أيضًا أن يحيا حياة طيبة ويكون آمنًا فى بيته وفى سوقه وفى عمله ـ بل آمنًا مطمئنًا بين **الآخر (المسلم)** إذا انتقل إليه كسائح أو كعامل أو لأى سبب من الأسباب، إذ إن الآخر يختلف معى فقط فى «العقيدة والدين»، بل إن الآخر هو (أنا) فى سائر أمور الحياة الأخرى من حيث الاستقرار والأمن والأمان والعمل والاجتهاد والرزق والبحث والدرس والفهم والطموح وتحقيق الذات وخدمة البشرية، وغيرها من الأمور. ومن هذا المنطلق فإن هذا الفهم ينطبق تمامًا على ما ذكره فضيلة الإمام **الشيخ محمد متولى الشعراوى** فى بعض أحاديثه الدينيه للتليفزيون المصرى عندما فسر قوله تعالى فى سورة الرحمن: ﴿وَٱلْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ﴾[2] فقال رحمه الله تعالى: هذه الآية الكريمة تحمل ثلاث كلمات فقط ومن العجب أن تحمل فى معناها مشكلة ضخمة من مشكلات البشرية جمعاء وهى مشكلة (البطالة) التى تؤدى بالتالى إلى التطرف والعديد من المشكلات الاقتصادية ومنها الاحتكار وغلاء الأسعار وما يترتب على ذلك من تضخم ومشكلات

---

(١) هو الزميل العزيز الأستاذ الدكتور أحمد عارف حجازى أستاذ اللغة العربية والنحو، ومدير مركز تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها بكلية دار العلوم ـ جامعة المنيا.

(٢) القرآن الكريم ـ سورة الرحمن ـ آية رقم (١٠).

اقتصادية قد تعصف بسياسات كثير من الدول. فإن هذه الكلمات الثلاث تحمل حلًا جذريًا لهذه المشكلات جميعًا، فقال رحمه الله تعالى: الأرض ما هى الأرض؟ ومن الذى وضعها؟ ومن هم الأنام؟

فالأرض وضعها الله تعالى للبشرية كلها ـ بمعنى آخر أن الأرض كل الأرض وضعها الله تعالى للأنام كل الأنام أى البشرية كل البشرية.

فإذا ضاق بالإنسان مكان عليه الانتقال إلى مكان آخر من الأرض ربما يجد فيه متسعًا ومتنفسًا ورزقًا، إذ لا حكر لبشر على قطعة أرض، بل يجب السماح للبشر جميعًا بالتنقل والترحال واكتشاف آفاق جديدة للعمل والرزق والاكتساب وبذل الجهود وإبراز الطموحات وغيرها من الأمور المتعلقة بالحياة وإسعاد البشرية جمعاء.

(أ) نظرة الإسلام (للآخر) فى ضوء القرآن الكريم

نظر الإسلام **(للآخر)** نظرة عناية ورحمة ورأفة وعطف، وحرص على هدايته وإرشاده إلى الطريق المستقيم، بل أمر أتباعه المسلمين بالعناية **(بالآخر)** بالقول والعمل وعدم الهمز واللمز بهم، بل إن هناك سورة قرآنية كريمة.. تحمل هذا الاسم فى قوله تعالى: ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ﴾[1] أى ذلك الذى يعيب فى أخيه أو جاره سواء أكان مسلمًا أم غير مسلم. أيضًا حث القرآن الكريم المسلمين على معاملة (الآخر) معاملة طيبة منها قوله تعالى: ﴿وقولوا للناس حسنا﴾.

كذلك حث الإسلام أتباعه المؤمنين على العطف والبر مع (الآخر)، ونجد ذلك واضحًا فى قوله تعالى: ﴿لَّا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ﴾[2].

ونجد فى كلمات القرآن الكريم جانبًا من العطف والشفقة والرحمة بالآخر عند دعوته للإيمان بالله، ونرى ذلك فى قوله تعالى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾[3].

---

(١) القرآن الكريم ـ سورة الهمزة ـ آية رقم (١).

(٢) القرآن الكريم ـ سورة الممتحنة ـ آية رقم (٨).

(٣) القرآن الكريم ـ سورة آل عمران ـ آية رقم (٦٤).

بل إن القرآن الكريم حرص على توجيه أتباعه (المسلمين) بعدم ظلم (الآخر) وبعدم بغضهم، بل العدل بينهم وإنصافهم ونستشف ذلك من قوله تعالى فى سورة المائدة: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُواْ ۚ ٱعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾[1].

ولقد حثَّ القرآن الكريم على لسان سيدنا شعيب على الوفاء بالكيل والميزان وعدم بخس الناس أشياءهم وعدم الإفساد فى الأرض بعد إصلاحها، فقال تعالى: ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ فَأَوْفُواْ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُواْ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُواْ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾[2].

أيضًا حثَّ القرآن الكريم أتباعه المؤمنين على نجدة (الآخر) وإنقاذه وإسعافه إذا طلب ذلك، فنقرأ فى قوله تعالى مخاطبًا نبيه الكريم محمدًا ﷺ فى سورة التوبة:

﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ ﴾[3].

بل إنه تعالى أمر نبيه الكريم ﷺ بالعفو والصفح عن المسيئين من الآخر، ونقرأ ذلك فى قوله تعالى: ﴿ وَقِيلِهِۦ يَٰرَبِّ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ قَوْمٌ لَّا يُؤْمِنُونَ (٨٨) فَٱصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَٰمٌ ۚ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴾[4].

وبأسلوب راقٍ وبدعوة مخلصة وبحرص بالغ ومراعاة للشعور يستفهم القرآن الكريم من أهل الكتاب عن عدم الإيمان بالله تعالى وعدم الإقرار بوحدانيته، بل ولماذا إلباس الحق بالباطل وكتمه على الرغم من معرفتهم بأن هذا مخالف للواقع

(١) القرآن الكريم ـ سورة المائدة ـ آية رقم (٨).
(٢) القرآن الكريم ـ سورة الأعراف ـ آية رقم (٨٥).
(٣) القرآن الكريم ـ سورة التوبة ـ آية رقم (٦).
(٤) القرآن الكريم ـ سورة الزخرف ـ آية رقم (٨٨ ـ ٨٩).

والحقيقة فنقرأ قوله تعالى فى سورة آل عمران: ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَلْبِسُونَ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ وَتَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[1].

من ناحية أخرى لم يبخس الإسلام جهود (الآخر) فى الدنيا حيث سيجازَون على أعمالهم فى الدنيا ويستوفون حقهم فيها، ونقرأ ذلك فى قوله تعالى فى سورة آل عمران:

﴿وَمَا يَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَلَن يُكْفَرُوهُ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُتَّقِينَ﴾[2].

وفى تفسير هذه الآية القرآنية الكريمة يقول صاحب «صفوة التفاسير»[3]: أى ما عملوا من عمل صالح فى حياتهم الدنيا فلن يضيع عند الله تعالى، ومن ناحية أخرى يلاحَظ أن الله تبارك وتعالى قد وجَّه نبيه الكريم محمد ﷺ بضرورة مخاطبة (الآخر) بالحكمة والموعظة الحسنة، وهى بالتالى دعوة صريحة لجميع أتباع هذا النبى الخاتم باتباع المنهج الربانى الكريم نفسه بضرورة دعوة (الآخر) إلى الإيمان بالله تعالى بأسلوب مهذب وبالحكمة وبالموعظة الحسنة وبعدم الغلظة معهم أو أذيتهم بفحش القول أو استخدام أسلوب التهديد أو النهر أو العنف والبطش وغيره من الأساليب التى تنفر فى دين الله ولا تساعد على نشره، ونقرأ ذلك فى سورة النحل فى قوله تعالى:

﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا۟ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ ۖ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّٰبِرِينَ﴾[4].

واختتم هذه الأقوال وما أكثرها فى كتاب الله تعالى بهذا الأمر الكريم والتوجيه السديد من الحق تبارك وتعالى عند مجادلة أهل الكتاب (الآخر) بأن يكون جدالًا

(١) القرآن الكريم ـ سورة آل عمران ـ آية رقم (٧١).

(٢) القرآن الكريم ـ سورة آل عمران ـ آية رقم (١١٥).

(٣) محمد على الصابونى: صفوة التفاسير ـ المجلد الأول ـ طبع دار القرآن ـ بيروت ـ لبنان ١٤٠٢هـ/ ١٩٨١م، ص٢٢٤.

(٤) القرآن الكريم ـ سورة النحل ـ آية رقم (١٢٥، ١٢٦).

بالحسنى ﴿بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾، فنقرأ قوله تعالى فى سورة العنكبوت: ﴿وَلَا تُجَادِلُوٓاْ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنْهُمْ ۖ وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمْ وَٰحِدٌ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ﴾[1].

٢ـ نظرة الإسلام (للآخر) فى ضوء الأحاديث النبوية الشريفة

أفردت كتب الحديث النبوى الشريف العديد من الأحاديث النبوية التى تحث على حسن معاملة (**الآخر**) سواء كان ذميًا كتابيًا (**يهود أو نصارى**) أو كان مشركًا أو حتى ممن كان لا يؤمن بدين.. أو غيره.

فقد ورد فى كتاب (**الجنائز**) من مختصر صحيح الإمام البخارى[2] للألبانى هذا الحديث الشريف الذى يكشف عن مدى رعاية هذا الرسول الكريم (**للآخر**) من أهل الذمة (**اليهود**) لما وقف ﷺ عندما مرت جنازة بين يديه فقيل له إنها جنازة يهودى ـ فقال لصحابته ﷺ، «**أليست نفسًا**» فقد روى عبد الرحمن بن أبى ليل قال: كان سهل بن حنيف وقيس بن سعيد قاعدين بالقادسية، فمروا عليهما بجنازة، فقاما، فقيل لهما: إنها من أهل الأرض (أى من أهل الذمة) فقالا: إن النبى ﷺ وقف لجنازة يهودى. وفى رواية عنه قال: كنت مع قيس وسهل رضى الله عنهما فقالا: كنا مع النبى ﷺ مرت به جنازة فقام، فقيل له إنها جنازة يهودى، **فقال أليست نفسًا؟**

أول وثيقة دستورية تحدد العلاقات بين أمة الإسلام وبين غيرها من الأمم الأخرى

هذه الوثيقة النادرة أوردها ابن هشام فى كتابه «السيرة النبوية» توضح مدى علاقة المسلمين بغيرهم من الأمم الأخرى، وتحدد شروطًا وواجبات وتوضح العلاقات بين المسلمين وغيرهم، وذلك بعد هجرته ﷺ إلى المدينة. ونظرًا لطول الوثيقة أخذ منها هذه السطور:

(بسم الله الرحمن الرحيم ـ هذا كتاب من محمد النبى الأمى بين المؤمنين والمسلمين من قريش ويثرب ومن تبعهم فلحق بهم وجاهد معهم أنهم أمة واحدة من

---

(١) القرآن الكريم ـ سورة العنكبوت ـ آية رقم (٤٦).

(٢) محمد ناصر الدين الألبانى: مختصر صحيح الإمام البخارى الطبعة الأولى ـ المكتب الإسلامى ـ بيروت ـ لبنان ١٣٩٩ هـ، ص ٣١٠ «باب الجنائز».

دون الناس، **المهاجرون من قريش على ربعتهم ـ حالهم التى أتى الإسلام وهم عليها ـ يتعاقون بينهم وهم يفدون عانيهم ـ أسيرهم ـ بالمعروف والقسط**.. إلى أن يقول:

وأن يهود بنى عوف أمة مع المؤمنين، لليهود دينهم وللمسلمين دينهم مواليهم وأنفسهم إلا من ظلم وأثم فإنه لا يولغ يهلك إلا نفسه وأهل بيته.. [1].

وهى كما رأينا وثيقة نادرة تكشف عن مدى عناية هذا الرسول الكريم بالعهود والمواثيق ويؤكد احترامها والحفاظ على أرواح الناس وتأمينهم للعيش فى حياة كريمة آمنة مطمئنة.

أيضًا روى عن رسول الله ﷺ أحاديث شريفة عديدة تحث على التساوى بين الناس فى الحقوق والواجبات، وأنه لا فضل لعربى على أعجمى إلا بالتقوى والعمل الصالح، كما ورد فى الحديث الشريف الذى رواه الإمام البخارى ومسلم فى صحيحيهما بأنه ﷺ قال:

«لا فضل لعربى على عجمى، ولا لعجمى على عربى، ولا لأحمر على أسود، إلا بالتقوى»[2].

وفى حديث آخر رواه الديلمى عن أنس رضى الله عنه قال:

«إن الله قد أذهب عنكم عبية الجاهلية (إى كِبرَها ونخوتها) وفَخَرها بالآباء، مؤمن تقى وفاجر شقى، أنتم بنو آدم، وآدم من تراب، ليدعنَّ رجال فخرهم بأقوام إنما هم فحم من فحم جهنم، أو ليكونُنَّ أهون على الله من الجعلان (جمع جعل وهى دويبة سوداء حقيرة) التى تدفع بأنفها النتن..»[3].

وفى إشارة موجزة وكلمات محددة يحدد الرسول الكريم مكانة الخلق كلهم عند الله تعالى فى الرزق والحياة والمعيشة على كوكب الأرض فيقول ﷺ: **«الخلق كلهم عيال الله وأحبهم إلى الله أنفعهم لعياله..»**[4]، وعن احترام الإسلام (للآخر) وحرصه على مصلحته ومنفعته يحدثنا الرسول الكريم فى حديثه الشريف. فيقول **«من زرع**

---

(١) ابن هشام (أبو محمد بن عبد الملك): كتاب سيرة النبى ـ تحقيق: مصطفى السقا، وإبراهيم الإبيارى وعبد الحفيظ شلبى ـ طبع القاهرة سنة ١٩٣٦ـ١٩٥٥م ـ جـ٢، ص٣٢٠ـ٣٢٣.

(٢) رواه الإمام أحمد فى مسنده.

(٣) رواه الديلمى عن أنس رضى الله عنه.

(٤) رواه البزار فى مسنده عن أنس رضى الله عنه.

زرعًا أو غرس غرسًا فأكل منه إنسان أو سبع أو طائر فهو صدقه»..[1]، وكان ﷺ إذا بعث سرية أو جيشًا تقدم إليه بالوصية والتعليمات المشددة بعدم البطش والتمثيل بجثث العدو والنهى عن قتل النساء أو الأطفال والصبية، فقال ﷺ:

«اغزو باسم الله، وفى سبيل الله، تقاتلون من كفر بالله، لا تغلوا، ولا تغدروا، ولا تمثلوا ولا تقتلوا إمراة ولا وليدها..»[2].

وقوله ﷺ: **«من انتهب نهبة فليس منا»**.

وكان ﷺ يمنع فى السبى التفريق بين الوالدة وولدها ويقول: **«من فرَّق والدة وولدها فرق الله بينه وبين أحبته يوم القيامة»**[3].

والخدم والعبيد الذين لا حول لهم ولا قوة وأحيانًا كثيرة كانوا يظلون على دينهم وعقيدتهم النصرانية أو اليهودية.. أو غيرها. نجد أن رسول الله ﷺ يوصى بهم أصحابه وأتباعه إلى يوم القيامة برعايتهم والعناية بهم وعدم تكليفهم بالأعمال الشاقة وتسخيرهم وإذلالهم. بل إنه ﷺ جعلهم فى مرتبة الإخوان فقال: **«هم إخوانكم وخولكم جعلهم الله تحت أيديكم، فمن كان أخوه تحت يده فليطعمه معا يطعم، وليلبسه مما يلبس ولا تكلفوهم ما يغلبهم فإن كلفتموهم فأعينوهم عليه...**[4]، جدير بالذكر أيضًا أن التاريخ الإسلامى قد سجل أن النبى ﷺ «قتل مسلمًا بذمى»[5]، وفى هذا إشارة واضحة لمكانة (الآخر) فى حياة المسلمين واحترام آدميته وخصوصياته وتأمين حياته وسبل معيشته فى الدولة الإسلامية.

---

(١) يحيى بن آدم: كتاب الخراج، ص٧٧ـ٨٧.

(٢) ابن القيم الجوزية: زاد المعاد فى هدى خير العباد، جـ٢، ص٩٠ طبع مكتبة صبيح ـ بالقاهرة.

(٣) ابن عبد ربه: العقد الفريد، طبع لجنة التأليف والنشر بالقاهرة جـ١، ص١٥٥.

(٤) د. أبو زيد شلبى: تاريخ الحضارة الإسلامية والفكر الإسلامى ـ مكتبة وهبة بالقاهرة ـ الطبعة الثانية ١٣٨٣هـ، ١٩٦٤م، ص٢٨٠ـ٢٨١.

(٥) روح المعانى جـ٦، ص١٤٨.

د. أحمد عبد الرحمن إبراهيم: قيم المجتمع هل هى ثابتة أم قابلة للتغير ـ بحث ضمن سلسلة بحوث الندوة العالمية للشباب الإسلامى (الإسلام والحضارة) ـ جـ١، ص٣٥٢ ـ طبع الرياض بالسعودية ـ ط٢، ١٤٠١هـ.

ثالثًا: السفارات النبوية

بلغ من حرص الرسول الكريم ﷺ على تبليغ دعوة الإيمان وتوحيد الله عز وجل لإنقاذ البشرية من ظلام الجهل والتخلف وعبادة الأوثان والشرك بالله، حد إرسال خطاباته الشريفة إلى الحكام والملوك والأمراء المجاورين للجزيرة العربية يدعوهم فيها إلى الله عز وجل؛ مبتغيًا هدايتهم جميعًا؛ هادفًا إلى إسعاد البشرية جمعاء وإنقاذ (الآخر) من العذاب الأليم الذى ينتظره إذا أصر على كفره وشركه بالله وحده.

فقد بدأ رسول الله ﷺ مكاتبة الملوك من الفرس والعجم وكذلك ولاتُهم ونوابُهم للمرة الأولى من المدينة المنورة فى ذى الحجة سنة ٦هـ منصرفة من الحديبية وإنفاذه لها مع رسله رضوان الله تعالى عليهم فى شهر المحرم من مستهل سنة ٧هـ. [(١)].

والمتأمل فى هذه الرسائل الكريمة يلاحظ أنها تمثل جانبًا مهمًا من عالمية الدعوة الإسلامية، عملًا بقوله تعالى فى محكم التنزيل:

﴿ قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾ [(٢)].

---

(١) انظر ذلك بالتفصيل فى كتب:

ـ ابن سعد: الطبقات الكبرى مجلد١، جـ٣، ص ٢٥٨ ـ ٢٦٠ (ذكر بعثة رسول الله ﷺ بكتبه إلى الملوك يدعوهم إلى الإسلام).

ـ ابن هشام: السيرة النبوية جـ٢، ص٦٠٦ ـ ٦٠٨ (خروج رسول الله ﷺ إلى الملوك).

ـ الطبرى: تاريخ الرسل والملوك ـ جـ٢، ٦٤٤ ـ ٧٥٧ (حوادث سنة ٦هـ).

ـ المقريزى: إقناع الأسماع ص٣٠٧ـ٣٠٩ (حوادث سنة ٦ هـ).

ـ ابن كثير: البداية والنهاية، جـ٣، ص٢٦٢ـ٢٦٨ (ذكر بعث رسول الله ﷺ إلى ملوك الآفاق وكتبه يدعوهم إلى الله عز وجل وإلى الدخول فى الإسلام) وغيرها من الكتب.

(٢) القرآن الكريم ـ سورة الأعراف ـ آية رقم (١٥٨).

وقوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾[1].

وقوله تعالى: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴾[2].

ولقد أرسل الرسول الكريم ﷺ عددًا من رسائله الكريمة إلى ملوك وأمراء الجزيرة العربية وبالتحديد إلى (أمراء الأطراف الشرقية والجنوبية للجزيرة العربية)، ثم أرسل أيضًا رسائل كريمة إلى ملوك العالم ـ وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على عالمية دعوة الإسلام وحرص الرسول الكريم ﷺ على تبليغ هذه الدعوة فى الجزيرة العربية ثم خارجها فى الآفاق.

رسائل الرسول الكريم ﷺ إلى ملوك العالم

سبق أن أشرت إلى حرص الرسول الكريم ﷺ على تبليغ دعوة الإسلام للعالم أجمع، فأرسل رسائل كريمة إلى ملوك وأمراء الجزيرة العربية، وذلك بحكم الجوار القريب من المدينة المنورة، ثم أعقب ذلك برسائل كريمة إلى ملوك العالم آنذاك فأرسل إلى النجاشى ملك الحبشة وحمل رسالته الصحابى **الجليل عمرو بن أمية الضمرى**[3]، وأرسل معه رسالتين حسب رواية ابن سعد فى طبقاته. إحدى هذه الرسائل يدعوه فيها إلى الإسلام ويتلو عليه القرآن الكريم، وفى الثانية يأمره أن يزوِّجه أم حبيبة بنت سفيان بن حرب. وأورد المؤرخ الطبرى أن النجاشى استجاب لزواج الرسول الكريم من السيدة أم حبيبة وأصدقها (٤٠٠ دينار)[4] من ماله الخاص وبعثها مع المسلمين إلى رسول الله محملين جميعًا على سفينتين. ثم أرسل الرسول الكريم برسالة إلى **هرقل قيصر الروم** حملها الصحابى الجليل **دحية بن خليفة الكلبى**[5].

---

(١) القرآن الكريم ـ سورة سبأ ـ آية رقم (٢٨).

(٢) القرآن الكريم ـ سورة الفرقان ـ آية رقم (١).

(٣) البلاذرى: فتوح البلدان ص٨٩.
ـ ابن هشام: السيرة النبوية جـ٤، ص١٦٤.
ـ الطبرى: تاريخ الرسل والملوك جـ٢ ص١٥٦.

(٤) البلاذرى: فتوح البلدان ص٨٧.

(٥) الواقدى (أبو عبدالله محمد بن عمر) ٢٠٨هـ: فتوح الشام ـ طبع القاهرة ـ سنة ١٣٠٢هـ، جـ٢، ص٣٥.

وهناك رسالة أخرى أُرسلت إلى كسرى عظيم الفرس حملها الصحابى الجليل عبدالله بن حذافة السهمى، فلما وصلت الرسالة إلى كسرى فارس مزقها، فلما بلغ ذلك رسول الله ﷺ قال (اللهم مزِّقْ ملكه)[1]ولم تمض فترة حتى مزق الله تعالى ملكه.

رسالة الرسول ﷺ إلى المقوقس عظيم القبط فى مصر

من أبرز الرسائل النبوية الكريمة التى أُرسلت إلى ملوك العالم رسالته ﷺ إلى المقوقس عظيم القبط فى مصر، حيث كانت مصر آنذاك تُعد من أهم حواضر الإمبراطورية البيزنطية؛ فقد كانت تمد بيزنطة بالعديد من المؤن والعتاد، وكانت لمصر مكانة كبيرة ومتميزة لدى بيزنطة آنذاك، ولقد أدرك رسول الله ﷺ مكانة مصر ـ مثلما أدرك مكانة البحرين، فأرسل رسائله الكريمة إلى بقاع وأماكن مهمة فى العالم آنذاك، وكان يحكم مصر فى هذه الفترة حاكم يُدعى «المقوقس» أو كيرس أو القوقازى، فقد كان يحكم مصر نيابة عن إمبراطور بيزنطة آنذاك، وكان حامل الرسالة الصحابى الجليل حاطب بن أبى بلتعة، وقد أورد **المؤرخ المصرى ابن عبد الحكم** سنة ٢٥٧هـ[2] نص هذه الرسالة وهى تحمل دلالات بليغة للقبط فى مصر الذين اشتاقوا لدعوة الإسلام ولعدالته وأحبوا هذا الرسول الكريم وأرسلوا مع حاطب بن أبى بلتعة العديد من الهدايا ومنها السيدة مارية القبطية التى تزوجها الرسول الكريم وأنجب منها ابنه إبراهيم.

وكما هو معلوم فإن أهل مصر آنذاك كانوا أغلبية قبطية بينما الحاكم (بيزنطى)، وكان هذا الحاكم يذيق الأقباط المصريين أشد ألوان العذاب، فهناك على سبيل المثال اضطهاد دينى وفرض مذهب دينى مسيحى معين على أهل مصر ـ الذين كانوا يعتنقون المذهب الأرثوذكسى ـ بينما مذهب بيزنطة كان المذهب الكاثوليكى، وعندما فرض امبراطور بيزنطة (هرقل) **المذهب الكاثوليكى**[3]، ودفع العديد من رجال الدين المسيحى فى مصر إلى الهروب إلى الصحراء ومنهم الأب «ميناس» وغيره، أيضًا

(١) الزيلعى (جمال الدين أبو محمد عبدالله بن يوسف الحنفى) ٧٦٢هـ: نصب الراية لأحاديث الهداية. طبع شبرا ـ «دار المأمون» بمصر سنة ١٩٣٨، جـ٤، ص٤٢٠.
(٢) ابن سعد (محمد بن سعد) ٢٣٠هـ: كتاب الطبقات الكبير ـ طبع دار صادر ـ بيروت جـ١، ص٤٢٠.
(٣) البلاذرى: فتوح البلدان ص٨٩.

فرض الحاكم البيزنطى ضرائب مجحفة على قبط مصر، فجُبيت ضرائب على النخيل والدجاج والمواشى والطيور حتى فُرضت ضرائب على الموتى ـ فكان لا يسمح بدفن الميت القبطى حتى يدفع أهله ضريبة معينة، الأمر الذى جعل المصريين يتطلعون إلى دعوة الإسلام ولعدالته واشتاقوا لحامل رسالة رسول الله ﷺ ورحبوا به وسلموه هدايا كريمة للرسول الكريم ﷺ، ولم تمض سنوات قليلة حتى آمنت مصر ودخل القبط فى دين الله أفواجًا وأصبحت مصر إسلامية.

رسالة الرسول صلى اله عليه وسلم إلى المقوقس

نص الرسالة:

«بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد عبدالله ورسوله إلى المقوقس عظيم القبط، سلام على من اتبع الهدى، أما بعد فإنى أدعوك بدعاية الإسلام، فأسلم تسلم، يؤتيك الله أجرك مرتين، فإن توليت فعليك إثم القبط، ويا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم أن لا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئًا، ولا يتخذ بعضنا بعضًا أربابًا من دون الله. فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون..»[1].

تعليق موجز على هذه الرسالة الكريمة:

المتأمل فى نص هذه الرسالة الكريمة يلاحظ عناية رسول الله ﷺ (بالآخر)، فنجد أن كلمة سلام مقررة فى ثلاثة مواضع وثلاثة مرات (سلام، أسلم، تسلم..) ثم عناية رسول الله بإعطاء المقوقس لقبه الفخرى (المقوقس عظيم القبط) احترامًا لشأنه فى قومه ورئاسته لهم، ثم دعوته وقومه إلى الإسلام وترغيبه فيه بأنه سينال أجره مرتين (مرة لتكفير ذنوبه، ومرة لدخوله فى الإسلام) عملا بقوله تعالى ﴿يبدل الله سيئاتهم حسنات﴾، وهى دعوة (الآخر) بأسلوب مهذب وراقٍ ليس فيه بطش ولا عنف ولا تهديد ولا وعيد ولا قتل ولا دماء، وهذه هى الدعوة التى أدت بالتالى إلى دخول العديد من أهل مصر فى الإسلام فيما بعد فى دين الله أفواجًا.

---

(١) ابن القيم الجوزية: زاد المعاد فى هدى خير العباد جـ٣، ص٦١.
ـ ابن سعد: الطبقات ـ جـ١، ص٢٦١.

رسالة الرسول ﷺ إلى النجاشي ملك الحبشة

أرسل الرسول الكريم ﷺ رسالة إلى النجاشي (أصحمه) ملك الحبشة وكان يدين بالنصرانية، حمل الرسالة الصحابى الجليل عمرو بن أمية الضمرى سنة ٦هـ[١] أى فى العام الذى كاتب فيه الرسول ملوك الأرض يدعوهم ـ بصفة رسمية ـ باعتباره «نبى الإسلام والزعيم الأساسى للدولة الإسلامية»، ولقد تخير الرسول الكريم ﷺ الصحابى الجليل عمرو بن أمية الضمرى ليحمل رسالته الكريمة إلى النجاشى؛ نظرًا لخبرته بأرض الحبشة، فقد كان عمرو الضمرى من أصحاب الهجرة الأولى إلى الحبشة، ثم لحق بالنبى ﷺ بالمدينة لما هاجر إليها، فكان عمرو من أصحاب الهجرتين الأولى إلى الحبشة والثانية إلى المدينة المنورة[٢].

رسالة الرسول ﷺ إلى النجاشي ملك الحبشة

وكان نص خطاب الرسول ﷺ إلى النجاشى مع عمرو بن أمية الضمرى سنة ٦هـ على هذا النحو:

«بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله إلى النجاشى ملك الحبشة، فإنى أحمد إليك الله الذى لا إله إلا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن، وأشهد أن عيسى ابن مريم روح الله وكلمته، ألقاها إلى مريم البتول الطيبة الحصينة، فحملت بعيسى فخلقه من روحه ونفخه، كما خلق آدم بيده، وإنى أدعوك إلى الله وحده لا شريك له، والموالاة على طاعته، وأن تتبعنى وتؤمن بالذى جاءنى، فإنى رسول الله وإنى أدعوك وجنودك إلى الله عز وجل، وقد بلغت ونصحت فاقبلوا نصيحتى والسلام على من اتبع الهدى...»[٣].

ولقد أشار ابن سعد فى كتابه (الطبقات) إلى أن النجاشى عندما وصله الخطاب

---

(١) ابن الأثير (على بن أحمد بن أبى الكرم) ٦٤٠هـ: الكامل فى التاريخ ـ طبع دار صادر بيروت ـ لبنان ـ جـ٢، ص٢١٥.

(٢) البلاذرى: فتوح البلدان ص٨٧.

(٣) انظر فى ذلك:

ـ ابن هشام: السيرة النبوية جـ٤، ص١٨٩.

ـ ابن سعد: الطبقات ـ جـ٢، ص٢٦٢.

ـ ابن الأثير: الكامل جـ٢، ص٢١٥... وغيرها.

وقرأه وبعد استماعه للصحابى الجليل عمرو بن أمية الضمرى قال: «أشهد بالله أن للنبى الذى تنتظره أهل الكتاب، وأن بشارة موسى براكب الحمار، كبشارة عيسى براكب الجمل، وأن العيان ليس بأشقى من الخير[1]، ثم أخذ كتاب رسول الله ﷺ فوضعه على عينه، ونزل من سريره فجلس على الأرض تواضعًا، ثم أسلم وشهد شهادة الحق وقال: لو كنت أستطيع أن آتيه لآتيته، وكتب إلى رسول الله ﷺ بإجابته وتصديقه وإسلامه على يد جعفر بن أبى طالب.

ودعا بحُقٍّ من عاج فجعل فيه كتابى رسول الله ﷺ وقال: لن تزل الحبشة بخيرها كان هذا الكتابان بين أظهرها[2].

جدير بالذكر أيضًا أن النجاشى أرسل خطابًا ردًا على رسالة الرسول ﷺ أرسله أيضًا مع عمرو بن أمية الضمرى أورده المؤرخ الطبرى بهذا النص:

«بسم الله الرحمن الرحيم، إلى محمد رسول الله، من النجاشى الأصحم بن أبجر، سلام عليك يا نبى الله ورحمة الله وبركاته، من الله الذى لا إله إلا هو، الذى هدانى إلى الإسلام، أما بعد. فقد بلغنى كتابك يا رسول الله، فيما ذكرت من أمر عيسى، فورب السماء والأرض، إن عيسى ما يزيد على ما ذكرت ثُفروقًا، أنه كما قلت، وقد عرفنا ما بعثت به إلينا، وقد قرَّبنا ابن عمك وأصحابه، فأشهد أنك رسول الله صادقًا ومصدقًا، وقد بايعتك وبايعت ابن عمك، وأسلمت على يديه لله رب العالمين، وقد بعثت إليك بابنى أرها بن الأصحم بن أبجر، فإنى لا أملك إلا نفسى، وإن شئت أن آتيك فعلت يا رسول الله، فإنى أشهد أن ما تقول حق، والسلام عليك يا رسول الله».
ولقد قال المؤرخ الطبرى: «قال بن إسحاق: وذكر أن النجاشى بعث ابنه فى ستين من الحبشة فى سفينة، فإذا كانوا وسط البحر غرقت بهم سفينتهم فهلكوا»[3].

رسالة الرسول ﷺ إلى هرقل عظيم الروم للمرة الأولى سنة ٦ هـ

ذكر ابن سعد فى كتابه (الطبقات الكبرى) قصة خطاب الرسول ﷺ إلى هرقل

---

(١) ابن سعد: الطبقات ـ جـ١، ص٢٥٨.

(٢) الطبرى (أبو جعفر محمد بن جرير): تاريخ الرسل والملوك ـ طبع بيرل جـ٢، ص١٥٧.
ـ ابن الأثير: الكامل جـ٢، ص٢١٣.

(٣) الطبرى: تاريخ الرسل والملوك جـ٢، ص١٥٦.

عظيم الروم وكان يحكم امبراطورية عظيمة شاسعة الأراضى والشعوب شملت العديد من الدول الأوربية والعربية على السواء، وكان يدين أيضًا بالنصرانية. قال ابن سعد: قالوا: وبعث رسول الله ﷺ دحية بن خليفة الكلبى، وهو أحد الستة الذين حملوا الرسائل الكريمة إلى قيصر يدعوه إلى الإسلام وكتب كتابًا معه، وأمره أن يدفعه إلى عظيم بصرى، ليدفعه إلى قيصر عظيم الروم[1]، ولقد أورد العديد من المؤرخين نصى خطاب الرسول إلى هرقل عظيم الروم سنة ٦ هـ، على هذا النحو: «**بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله إلى هرقل عظيم الروم، سلام على من اتبع الهدى، أما بعد فإنى أدعوك بدعاية الإسلام، أسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين، فإن توليت فإن عليك إثم الأريسيين (المزارعين)، ويا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئًا ولا يتخذ بعضنا بعضًا أربابًا من دون الله فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون**»[2].

رسالة الرسول ﷺ إلى هرقل عظيم الروم محفوظة بقصر الهاشمية ـ عمان ـ الأردن

رسالة الرسول ﷺ إلى هرقل عظيم الروم للمرة الثانية سنة ٩ هـ

أورد أبو عبيد القاسم بن سلام بسنده فى كتابه (الأموال) [3] عن عبدالله بن شداد أن رسول الله ﷺ أرسل رسالة ثانية مع الصحابى الجليل دحية الكلبى سنة ٩ هـ إلى هرقل عظيم الروم بهذه الصيغة:

---

(١) ابن سعد: الطبقات الكبرى مجلد ١، ص٢٦٠.

أورد العديد من المصادر العربية معلومات وفيرة عن رسائل رسول الله ﷺ إلى كسرى فارس والرد عليها من قِبل كسرى ـ وتمزيقها ـ ودعوة رسول الله ﷺ إلى هرقل وكسرى بزوال ملكه انظر:

ـ الطبرى: المصدر السابق جـ٢ ص١٥٧٣.

ـ ابن الأثير: الكامل جـ، ص٢١٣.

ـ ابن كثير: البداية والنهاية جـ٤، ص٢٦٩.

(٢) ابن عبد الحكم: فتوح مصر وأخبارها جـ٣، ص٤٢.

ابن سعد: الطبقات ـ جـ١، ص٢٦٠.

(٣) أبو عبيد الله بن سلام: كتاب الأموال ص٢١ـ٢٢.

عن اضطهاد البيزنطيين لقبط مصر «إضطهاد دينى ومالى» ـ انظر:

Milne. J.G: History of Egypt under Romen rule. London. 1898.

«بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله إلى صاحب الروم: إنى أدعوك إلى الإسلام، فإن أسلمت فلك ما للمسلمين وعليك ما عليهم، فإن لم تدخل فى الإسلام فأعطِ الجزية، فإن الله تبارك وتعالى يقول: ﴿ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلۡحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعۡطُواْ ٱلۡجِزۡيَةَ عَن يَدٖ وَهُمۡ صَٰغِرُونَ ﴾، وإلا فلا تَحُلْ بين الفلاحين وبين الإسلام: أن يدخلوا فيه، أو يعطوا الجزية»[1].

رسالة الرسول ﷺ إلى كسرى عظيم الفرس سنة ٧ هـ

(أيام هدنة الحديبية بين سنوات ٦ـ٨هـ)[2]

أرسل الرسول الكريم ﷺ رسالته الكريمة إلى كسرى فارس عظيم الفرس مع الصحابى الجليل عبدالله بن حزافة السهمى نصها: «**بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله إلى كسرى عظيم فارس. سلام على من اتبع الهدى وآمن بالله ورسوله وشهد أن لا إله إلا الله وإنى رسول الله، إلى الناس كافة، لينذر من كان حيًا، أسلم تسلم فإن أبيت فعليك إثم المجوس**». فمزَّق كتاب رسول الله ﷺ فقال رسول الله: مزَّق الله ملكه.

صورة من خطاب الرسول ﷺ إلى كسرى عظيم الفرس.

خطاب رسول الله ﷺ إلى بعض امراء أطراف الجزيرة العربية

مثلما أرسل ﷺ عدة رسائل نبوية كريمة إلى عدد من ملوك العالم فى عهده ـ كما سبق وأشرت ـ أرسل أيضًا ﷺ عدة رسائل أخرى كريمة إلى بعض أمراء أطراف الجزيرة العربية (الأطراف الشرقية والجنوبية) وكان بعضهم يدين بالنصرانية واليهودية والفارسية، منها رسالته الكريمة إلى المنذر ابن ساوى حاكم البحرين وأرسل رسالة أخرى إلى «هوذه بن على الحنفى» ملك اليمامة حمل هذه الرسالة الصحابى الجليل (سليط بن عمرو العامرى) وكان (هوذه ابن على الحنفى) يدين بالنصرانية، وعندما وصله الخطاب كان رده كالتالى:

---

(١) د. أحمد فؤاد سيد: تاريخ الدعوة الإسلامية ـ طبع مكتبة الدعوة بالأزهر ـ ٤٥٢.

(٢) ابن كثير: البداية والنهاية جـ٤، ص٢٦٩.

(ما أحسن ما تدعو إليه وأجمله، وأنا شاعر قومى وخطيبهم، والعرب تهاب مكانى، فاجعل لى بعض الأمر أتبعك) [1].

رسالته ﷺ إلى أهل عمان

وهى من الرسائل المهمة التى أرسلها رسول الله ﷺ إلى أمراء الجزيرة العربية (الأطراف الشرقية) حيث كان يحكم عمان فى هذه الفترة (جيفر وعبد ابن الجلندى)، وقد أورد المؤرخ البلاذرى فى كتابه (فتوح البلدان)، أن الرسول ﷺ بعث (أبا زيد الأنصارى الخزرجى وعمرو بن العاص السهمى) إلى جيفر وعبد ابنى الجلندى بكتاب مختوم يدعوهما إلى الإسلام، وقال لهما: إن أجاب القوم إلى شهادة الحق، وأطاعوا الله ورسوله، فهما الأمير، وأبو زيد على الصلاة، وأخذ الإسلام على الناس وتعليمهم القرآن والسنة[2].

نص الخطاب: «**بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد بن عبدالله إلى جيفر وعبد ابن الجلندى سلام على من اتبع الهدى، أما بعد: فإنى أدعوكما بدعاية الإسلام، أسلما تسلما. إنى رسول الله إلى الناس كافة لأنذر من كان حيًا ويحق القول على الكافرين، وأنكما إن أقررتما بالإسلام ولّيتكما. وإن أبيتما أن تقرا بالإسلام. فإن ملككما زائل عنكما، وخيلى تحل بساحتكم، وتظهر نبوتى على ملككما**»[3].

رسالة الرسول الكريم (ﷺ) إلى جيفر وعبد ابن الجلندى حاكمى عمان

أورد المؤرخ البلاذرى أن رسول الله ﷺ سنة ٨ هـ وجَّه رسالته الكريمة إلى (المنذر بن ساوى) حاكم البحرين - بواسطة الصحابى الجليل العلاء بن عبدالله الحضرمى -[4] يدعو أهلها إلى الإسلام أو دفع الجزية، وعلى الرغم من صغر مساحة البحرين إلا أنها تعد من دول العالم القديم التى يضرب تاريخُها فى عمق الزمن، ولها العديد من المآثر التاريخية والحضارية، ولذلك اعتنى رسول الله ﷺ بها بهداية أهلها وجعلها فى مصاف دول العالم آنذاك التى تحظى منه برسالة خاصة بها،

---

(١) ابن الأثير: الكامل فى التاريخ جـ٢، ص٢١٥.

(٢) البلاذرى: فتوح البلدان ص٨٧.

(٣) الحلبى (على برهان الدين) ١٠٤٤هـ: السيرة الحلبية - طبع القاهرة سنة ١٣٢٠هـ، جـ١، ص٢٤٨.

(٤) الطبرى: تاريخ الرسل والملوك جـ٢، ص١٥٦١.

وبدعوة أهلها للدخول فى دين الله تعالى ورغب فى هدايتهم، وذلك لأن دخولهم فى الإسلام سيكون له شأن كبير فى زيادة رقعة العالم الإسلامى آنذاك وبأن إقبالهم على دين الله تعالى سيشد فى عضد الدولة، ربما لوفرة خيراتها الطبيعية ومواردها المالية وربما لمعرفته ﷺ بطبيعة أهلها الفطرى المتدين وبأنهم سيشكلون دعمًا كبيرًا للإسلام والمسلمين، وقد كان ذلك بفضل الله تعالى ونقرأ فى رسالة الرسول ﷺ ـ على الرغم من قلة عدد سطورها ـ أنها تحمل دلالات كبيرة على مكانة هذه الدولة منذ القدم.

رسالة الرسول الكريم ﷺ إلى المنذر بن ساوى حاكم البحرين

«بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد رسول الله إلى المنذر بن ساوى، سلام على من اتبع الهدى، أما بعد فإنى أدعوك إلى الإسلام فأسلم تسلم، أسلم يجعل الله لك ما تحت يديك، واعلم أن دينى سيظهر إلى منتهى الخف والحافر..»[1].

جدير بالذكر أن رسول الله ﷺ قد أرسل الصحابى الجليل العلاء بن عبد الله الحضرمى بهذ الرسالة برفقة الصحابى الجليل أبو هريرة رضى الله عنهم أجمعين، وأوردت كتب التاريخ الإسلامى أن رسول الله ﷺ قال للعلاء بن عبدالله الحضرمى إن أجابك المنذر، فأقم حتى يأتيك أمرى، وخذ الصدقة من أغنيائهم، وردَّها إلى فقرائهم، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل أيضًا على عدالة دعوة الإسلام وإنصافها لأهل الذمة (يهود ونصارى ومجوس.. وغيرهم) حتى يعمَّ الخير الجميع، ولا يكون المال حكرًا على مجموعة معينة من الأثرياء، وحتى لا يظل الفقير على فقره والغنى على غناه.

ولقد تبودل عدد من الرسائل بين رسول الله ﷺ وبين المنذر ابن ساوى، فقد استجاب المنذر بن ساوى لدعوة رسول الله ﷺ وقال:

«لقد نظرت فى هذا الذى فى يدىَّ فوجدته للدنيا دون الآخرة، ونظرت فى دينكم فرأيته للآخرة والدنيا، فما يمنعنى من قبول دين فيه أمنية الحياة وراحة الموت، وقد عجبت أمر من يقبله، وعجبت اليوم أمر من يرده، وإن أعظم من جاء به أن يعظم رسول الله..»[2].

---

(١) الواقدى (أبو عبدالله محمد بن عمر) ت ٢٠٨هـ: الأنوار المحمدية من المواهب اللدنية جـ٢، ص٣٥.

(٢) الزيلعى (جمال الدين أبو محمد عبدالله بن يوسف الحنفى) ت٧٦٢هـ: نصب الراية لأحاديث الهداية ـ طبع دار المأمون ـ شبرا ـ مصر سنة ١٩٣٨م جـ ٤ ص٤٢٠.

وبإسلام (المنذر بن ساوى) دون ضغط أو إكراه أسلم معه عدد كبير من أهل البحرين، ولقد أرسل المنذر بن ساوى رسالة للرسول الكريم ذكرها ابن سعد فى طبقاته، نصها:

«أما بعد، يا رسول الله فإنى قرأت كتابكم على أهل البحرين، فمنهم من أحب الإسلام، وأعجبه ودخل فيه، ومنهم من كرهه، فلم يدخل فيه، وبأرضى يهود ومجوس فأحدث إلىَّ أمرك فى ذلك»[1].

من خلال هذه الرسالة الدقيقة الموجزة من المنذر بن ساوى إلى الرسول الكريم ﷺ يُلاحَظ إقبال عدد كبير من أهل البحرين على الدخول فى الإسلام، ويلاحظ ورود عبارة (أحب الإسلام وأعجبه ودخل فيه) وخاصه فى كلمتى (أحب الإسلام وأعجبه) وذلك دون ضغط أو إكراه مما يدل على نقاء وصفاء طبيعة أهل البحرين، وإن كان هذا لا يمنع من وجود (حرية اعتقاد) فى هذه المنطقة بسبب موقعها الجغرافى المتميز ووجود العديد من الأفراد والقبائل التى لا تدين بدين معين فمنهم النصرانى واليهودى والمجوسى والمشرك وغيرهم، وهم بالطبع لا يرغبون فى اعتناق هذا الدين الذى ينكر آلهتهم ويدعوهم لعبادة إله واحد لا شريك له. ونقرأ فى رسالة المنذر بن ساوى وجود (يهود ومجوس) فى بلاده وبأن حرية الاعتقاد مكفولة للجميع فلم يرغمهم على الدخول فى الإسلام. وقد رد عليه رسول الله ﷺ ردًا بليغًا وحمل الرسالة أيضًا العلاء الحضرمى الذى أصبح عاملًا للرسول ﷺ على البحرين لجمع الصدقات من أهلها. بينما ظل المنذر بن ساوى حاكمًا على البحرين.

نص رسالة الرسول الكريم على رسالة المنذر بن ساوى

«من محمد رسول الله إلى المنذر بن ساوى، سلام عليك، فإنى أحمد إليك الله الذى لا إله إلا هو، وأشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمد عبده ورسوله، أما بعد: فإنى أذكرك الله عز وجل فإنه مَنْ ينصح، فإنما ينصح نفسه، وأن مَنْ يطيع رسلى، ويتبع أمرهم فقد أطاعنى، ومن نصح لهم فقد نصح لى، وإن رسلى قد أثنوا عليك خيرًا، وإنى قد شفَّعتك فى قومك، فاترك للمسلمين ما أسلموا عليه، وعفوت عن

(١) ابن سعد: الطبقات جـ١، ص٢٦٣.

أهل الذنوب، فاقبل منهم، وإنك مهما تصلح فلن نعزلك عن عملك، ومن أقام على يهوديته أو مجوسيته فعليه الجزية..»[1].

هذا النص البليغ من رسول الله ﷺ ردًا على رسالة المنذر بن ساوى يحدد دون لبس أهداف دعوة الإسلام التى لا تتضمن أدنى بطش أو عنف أو تهديد، بينما هناك حرية اعتقاد (للآخر)، هذا بالإضافة لوجود (عفو عن أهل الذنوب) فمن أقام على يهوديته أو مجوسيته فعليه الجزية؛ لأنها حرية اعتقاد، فكما أن المسلم يدفع الزكاة كفريضة دينية إسلامية لتسليمها للفقير المحتاج؛ فإن على الذمى (يهود، نصارى، مجوس) أيضًا أن يسدد حق الدولة لكى يعيش آمنًا مطمئنًا على نفسه وماله وعرضه.

وفى واقع الأمر أن الرسائل المتبادلة بين رسول الله ﷺ وبين حاكم البحرين تدل دلالة واضحة على مكانة هذه البقعة الطيبة من الأرض منذ مطلع فجر الدعوة الإسلامية، وهى تكشف أيضًا عن العلاقة الوطيدة بين المسلمين والآخر (يهود، نصارى، مجوس)، فلم نجد فى هذه الرسائل ما يشير إلى العنف والبطش والدم والقتل، بل نجد حرية الاعتقاد وممارسة الشعائر المختلفة شريطة أن يسدد الذمى ما عليه من حق للدولة فى هيئة جزية.

وبالإضافة إلى الرسالة السابقة أُرسلت أيضًا رسائل أخرى إلى عدد آخر من أمراء الجزيرة العربية فأُرسلت رسالة مع سليط بن عمرو العامرى إلى هوذه بن على الحنفى ملك اليمامة وكان يدين بالنصرانية[2] وغيرها من الرسائل الأخرى لعدد من أمراء الأطراف الشرقية والجنوبية للجزيرة العربية.

جميع هذه الرسائل تكشف عن مكانة هذه الإمارات والمناطق على الحدود الشرقية والجنوبية للجزيرة العربية - ربما نظرًا لمكانتها وموقعها وربما لمعرفة رسول الله ﷺ بوجود العديد من الوافدين إليها والمقيمين بها من يهود ونصارى ومجوس.. وغيرهم - فرغب فى هدايتهم جميعًا، وكان ﷺ حريصًا أشد الحرص مع رسله وحاملى رسائله الكريمة أن يكونوا ودودين، هذا بالإضافة إلى أن العبارات التى وردت فى الرسائل النبوية الكريمة خلت من أى تهديد أو وعيد بل كلمات رقيقة مثل (سلام، أسلم، تسلم، العفو، الصدقة، الإحسان). وغيرها من العبارات التى تكشف عن الرحمة والشفقة.

---

(١) ابن القيم الجوزية: زاد المعاد جـ٣، ص٦١.

(٢) ابن الأثير: الكامل فى التاريخ جـ٢، ص٢١٥.

رابعًا: الآخر زمن الخلافة الراشدة

على الدرب نفسه الذى سلكه رسول الله ﷺ تجاه (الآخر) من أهل ذمة «يهود، نصارى، مجوس... وغيرهم» سار كذلك صحابته الكرام رضوان الله تعالى عليهم أجمعين فيما يُسمَّى بالعصر الراشدى وهو عهد الخلفاء الراشدين (٢١ـ٣٨هـ/ ٦٤١ـ٦٥٨م)، فلم ترو كتب التاريخ الإسلامى أن عذَّب أحد الصحابة ـ رضوان الله تعالى عليهم أجمعين ـ أحدًا من أهل الذمة، بل إن بعض الصحابة قد عاب على بعض العمال جامعى الجزية والخراج عندما مر على أناس فى الشام يُعذَّبون فى الخراج، فقد روى هشام بن حكيم بن[1] حزام رضى الله عنهما أنه مر على أناس فى الشام من الأنباط وهم (الفلاحون من العجم) وقد أقيموا فى الشمس، وصُبَّ على رءوسهم الزيت، فقال: ما هذا؟ فقيل له: يُعذَّبون فى الخراج، وفى رواية أخرى: حُبسوا فى الجزية. فقال هشام: أشهد أنى سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن الله يعذب الذين يعذبون الناس فى الخراج**» فدخل على الأمير فحدثه بهم فخلوا سبيلهم رواه الإمام مسلم، من هنا يتضح لنا أن الخلفاء الراشدين وصحابة رسول الله ﷺ وولاته من بعده لم يتعرضوا لتعذيب (الآخر)، أيا كانت ديانته أو عقيدته، وأن ما حدث فى بعض الأزمنة من بعض التجاوزات أن عدد من عمال الجزية والخراج قد تشدد أحيانًا فى جمع الجزية والخراج من بعض أهل الذمة، ولكن سرعان ما تعود الأمور إلى وضعها الطبيعى بعد أن يصل الخبر إلى ولى الأمر فيأمر بالكفِّ عن ذلك كما حدث فى الرواية السابقة التى رواها الإمام مسلم فى صحيحه.

---

(١) هو الصحابى الجليل ابن خويلد بن أسد القرشى الأسدى ـ روى عنه جماعة من التابعين ـ أسلم يوم الفتح ـ توفى قبل أبيه حكيم بن حزام والحديث رواه الإمام مسلم فى صحيحه.

وإذا تتبعنا سير الخلفاء الراشدين ـ رضوان الله تعالى عليهم أجمعين ـ نجد أنهم كانوا رحماء بالمسلمين وأهل الذمة سواء بسواء. وسنذكر طرفًا من سيرتهم:

الخليفة الراشد أبو بكر الصديق

فهذا الخليفة الراشد أبو بكر الصديق يوصى أسامة بن زيد قائد أول جيش غزا بعد وفاة الرسول الكريم ﷺ فقال له وللجيوش التى معه ناصحًا: «**أيها الناس قفوا أوصيكم بعشر، فاحفظوها عنى: لا تخونوا، ولا تغلوا، ولا تغدروا، ولا تمثلوا، ولا تقتلوا طفلا صغيرًا، ولا شيخًا كبيرًا، ولا امرأة، ولا تعقروا نخلًا، ولا تحرقوه، ولا تقطعوا شجرة مثمرة، ولا تذبحوا شاة ولا بقرة ولا بعيرًا إلا لمأكل، وسوف تمرون بأقوام قد فرَّغوا أنفسهم فى الصوامع فدعوهم وما فرغوا أنفسهم له**»[١].

والمتأمل فى بنود هذه الوصية الجامعة من قِبل الخليفة الراشد أبى بكر الصديق يلاحظ أنها تتضمن رحمة ليس (بالآخر) فحسب بل بالحيوانات والمواشى والنباتات وسائر الأجناس التى هى أقل من درجة الإنسان.

فلا تمثيل بالجثث ولا غدر ولا خيانة ولا غلو ولا قتل لطفل صغير ولا لشيخ كبير ولا قتل لامراة؛ حيث إن القتال فقط لمن يحمل سلاحًا ويريد الاعتداء على أرواح المسلمين. ثم تطرق أبى بكر الصديق إلى احترام الكائنات الأخرى من حيوانات، فلا قتل للإبل ولا للمواشى ولا لسائر الطيور والحيوانات الأليفة إلا لمأكلة (أى لإطعام الجنود).

ثم توصية مهمة أخرى بعدم قطع النخيل وتدمير البيئة: حيث إن هذه الأشجار نافعة ليس للإنسان فحسب بل للطيور والحيوانات وغيرها من المخلوقات. وهى بالتالى نافعة للإنسان أيًا كانت ديانته أو علاقته بربه وخالقه. وهذه الوثيقة يمكن تسميتها (بدستور الإنسانية زمن الحروب).

عمر بن الخطاب

وهذا الخليفة الراشد عمر بن الخطاب يوصى الصحابى الجليل سعد بن أبى وقاص ـ رضى الله عنهما ـ وكان كبير قواد الجبهة الشرقية فى عصره، فقال له نصائح

---

(١) الطبرى: التاريخ، طبع مطبعة الاستقامة بالقاهرة جـ٢، ص٤٦٣.

وتوجيهات بالغة الأهمية، ما يعنينا منها تلك التى تتعلق بأهل الذمة وبالحفاظ على أرواحهم وأموالهم وممتلكاتهم فقال له: «.... **وترفق بالمسلمين فى سيرهم، ولا تجشمهم مسيرًا يتعبهم، ولا تقصر بهم عن منزل يرفق بهم حتى يبلغوا عدوهم والسفر لم يُنقص قوتهم، فإنهم سائرون إلى عدو مقيم حامى الأنفس والكراع (الخيل)، وأقم بمن معك فى كل جمعة يومًا وليلة حتى تكون لهم راحة يحيون أنفسهم ويرفون أسلحتهم وأمتعتهم، ونحِ منازلهم عن قرى أهل الصلح والذمة، فلا يدخلها من أصحابك إلا من تثق بدينه، ولا يرزأ أحدًا من أهلها شيئًا، فإن لهم حرمة وذمة ابتليتم بالوفاء بها، كما ابتلوا بالصبر عليها، فما صبروا لكم فتولوهم خيرًا، ولا تستنصروا على أهل الحرب بظلم أهل الصلح، وإذا وطئت أرض العدو، فأذكِ العيون بينك وبينهم ولا يخف عليك أمرهم.. ثم أذك أحراسك على عسكرك وتيقظ من البيات جهدك**».

ولنتأمل معًا تلك العبارة البليغة من ذلك الخليفة الراشد لكبير قواده بقوله حيال أهل الذمة من يهود ونصارى.. وغيرهم:

«**فإن لهم حرمة وذمة ابتليتم بالوفاء بها، كما ابتلوا بالصبر عليها، فما صبروا لكم فتولوهم خيرًا، ولا تستنصروا على أهل الحرب بظلم أهل الصلح**».. وهى كلمات موجزة محددة ولكنها تعليمات صارمة من قِبل الخليفة لأحد قواده بعدم البطش بالآخر وبعدم التنكيل به وذلك لأنه ونفسه وماله وعرضه وأهله أصبح فى ذمة المسلمين وفى كنفهم ورعايتهم فكان لابد من التنبية على ذلك.

عهد الأمن والأمان من عمر بن الخطاب لأهل القدس «إيلياء» سنة ١٥ هـ

من العهود النادرة فى التاريخ والحضارة الإسلامية عهد الأمن والأمان الذى كتبه على نفسه الخليفة الراشد عمر بن الخطاب سنة ١٥ هـ بحضور نفر من الصحابة رضوان الله تعالى عليهم أجمعين، منهم: الصحابى الجليل **خالد بن الوليد، وعمرو بن العاص وعبد الرحمن بن عوف ومعاوين بن أبى سفيان** وجميعهم وقَّع فى هذا العهد مع توقيع عمر بن الخطاب نفسه.

فكما هو معروف أن العرب قد فتحوا القدس الشريف سنة ٦٣٨ م واشترط بطريركها آنذاك ويدعى صفرونيوس أن لا يسلم مفاتيحها إلا لخليفة المسلمين بنفسه، فذهب

عمر بن الخطاب وتسلّم مفاتيحها وكتب هذا العهد الذى يضمن الأمن والأمان لأهل القدس، وهو يشمل أمانًا لأنفسهم وأموالهم وكنائسهم وصلبانهم وسقيمها وبريئها وسائر ملتها. والمتأمل فى هذا العهد يلاحظ مدى احترام المسلمين لعقيدة (الآخر) واحترام دور عبادته وخلواته. كما تضمن العهد أيضًا إلزام المسلمين بالعمل على راحة (الآخر)، ثم تخيير (الآخر) إذا رغب فى الإقامة والمعيشة مع المسلمين أن يؤدى جزية معينة يكون من خلالها آمنًا على نفسه وأولاده وماله وأعماله، فمن خلال هذه الجزية تُنْفَق رواتب الجند وتجهيز أسلحتهم وعتادهم، وتنشأ مرافق تخدم الجميع وتسهل لهم المرور والعبور، فكما أن المسلم يؤدى زكاة ماله وزكاة الفطر، هذا بالإضافة إلى أنواع الصدقات والكفارات وسائر سبل الإحسان والوقف.. وغيرها.

كذلك وجب على الذمى أن يؤدى حق الدولة من جزية وخراج نظير أن توفر له الدولة الإسلامية حرية العبادة والمعتقد، وكذلك توفير الأمن والأمان من جنود يسهرون على الحدود لتأمينها من الاعتداءات الخارجية، وكذلك توفير عسس ورجال حسبة فى الداخل لتأمين مرافق الدولة الداخلية، هذا فضلا عن إنشاء مرافق من معابر وجسور وتمهيد طرق ومراقبة أسواق وسداد رواتب ومخصصات ومعاشات الجنود وأسرهم والإنفاق الخيرى وغيرها.

نص العهد

«هذا ما أعطى عبدالله عمر أمير المؤمنين أهل إيلياء من الأمان أعطاه أمانًا لانفسهم وأموالهم وكنائسهم وصلبانهم وسقيمها وبريئها وسائر ملتها، أنه لا تُسكن كنائسهم ولا تُهدم ولا يُنتقص منها ولا من خيرها ولا من صلبهم، ولا من شيء من أموالهم ولا يكرهون على دينهم، ولا يُضار أحد منهم ولا يسكن بإيلياء معهم أحد من اليهود، وعلى أهل إيلياء أن يعطوا الجزية كما يعطى أهل المدائن، وعليهم أن يخرجوا منها الروم واللصوص، فمن خرج منهم فإنه آمن على نفسه وماله حتى يبلغوا مأمنهم، ومن أقام منهم فهو آمن، وعليه مثل ما على أهل إيلياء من الجزية، ومن أحب من أهل إيلياء أن يسير بنفسه وماله مع الروم ويخلى بيعهم وصلبهم، فإنهم آمنون على أنفسهم حتى يبلغوا مأمنهم، ومن كان بها من أهل الأرض فمن شاء منهم قعد، وعليه مثل ما على أهل إيلياء من الجزية، ومن شاء سار مع الروم، ومن شاء رجع إلى أهله لا يؤخذ منهم

شىء حتى يحصد حصادهم، وعلى ما فى هذا الكتاب عهد الله وذمة رسوله وذمة الخلفاء وذمة المؤمنين إذا أعطوا الذى عليهم من الجزية.

شهد على ذلك كتب وحضر سنة ١٥ هـ عمر بن الخطاب، خالد بن الوليد، عمرو بن العاص، عبد الرحمن بن عوف، معاوية بن أبى سفيان[١].

هذا من ناحية الحرب والقتال، أما من ناحية السلم واستقرار الأمور فإن الخليفة عمر بن الخطاب قد وجَّه تعليماته وإرشاداته أيضًا لعماله على البلدان بعد إجحاف أهل الذمة فى جمع الجزية والخراج فقد أورد «**أبو يوسف**» فى كتابه «**الخراج**» معلومات تشير إلى عدم إرهاق ضعفاء أهل الذمة فى جمع الجزية والخراج، بل أعطاهم من مال **المسلمين** دعمًا لهم ورعاية ومساعدة لتسيير أمور حياتهم، فقد وضع الخليفة عمر بن الخطاب رضى الله عنه الجزية عن شيخ كبير من أهل الذمة (**الآخر**) عندما رآه يسأل الناس.. بل فرض له من بيت المال، وكان من عهد خالد بن الوليد أهل الحيرة الذى أخبر عنه الخليفة عمر... ونصه:

«... وشرطت عليهم أن عليهم عهد الله وميثاقه الذى أخذ على أهل التوراة والإنجيل أن لا يخالفوا ولا يعينوا كافرًا على مسلم من العرب ولا من العجم، ولا يدلُّوهم على عورات المسلمين، فإن هم خالفوا ذلك فلا ذمة لهم ولا أمان، وإن هم حفظوا ذلك ورعوه وأدوه إلى المسلمين فلهم ما للمعاهد وعلينا المنع لهم.. وجعلت لهم أيما شيخ ضعف عن العمل، أصابته آفة من الآفات، أو كان غنيًا فافتقر، وصار أهل دينه يتصدقون عليه، طرحت عنه جزيته وعِيل من بيت مال المسلمين وعياله ما أقام بدار الهجرة ودار الإسلام...»[٢].

---

(١) منظمة المؤتمر الإسلامى: وثيقة القدس ـ الأردن ـ عمان ص٣٣، ابن عبد ربه: العقد الفريد جـ١، ص١٥٤ـ١٥٥.

(٢) أبو يوسف: الخراج ـ المطبعة السلفية بالقاهرة سنة ١٣٤٦ هـ، ص١٥١ـ١٧٢. جدير بالذكر أن الولايات المتحدة لما حررت الرقيق فى أواخر القرن (١٨م) كان بعضهم يضرب فى الأرض يلتمس وسيلة للرزق فلا يجد ما يحسنه، فيعود مرة أخرى إلى سادته يرجو منهم العودة إلى خدمتهم كما كان ـ أيضًا حدث فى السودان بعد افتتاحه والقضاء على دولة «التعايشى» سنة ١٨٩٩م. فإن القادة والحكام الإنجليز أسرعوا إلى إعلان الحرية للأرقاء فلم يمض أسبوع على ذلك حتى رأوا أنفسهم أمام مشكلة اجتماعية واقتصادية واضطروا إلى الرجوع إلى سادتهم على ألا يُسمح لهم ببيعهم والاتجار فيهم..

هذه الأمور جميعًا تكشف لنا عن خلل واضح فى الغرب حيال معاملة الآخر ـ بينما فى العصر الإسلامى

من خلال النص السابق يتبين لنا مدى رعاية خلفاء المسلمين بأهل الذمة ورعايتهم، وهو كما أشرت من قبل يمثلون (**الآخر**) فقد وضع الخليفة عمر بن الخطاب مبدأ كفالة الشيخ الذمى الضعيف أو رعاية الغنى من أهل الذمة (**الآخر**) الذى قد يتعرض لخسارة مالية تؤدى به إلى إذلاله ولجوئه إلى مد يده لأخذ الصدقات، فأمر الخليفة برعايته والإحسان إليه وإعطائه نصيبًا من بيت المال لتعينه على تسيير أمور حياته فى كرامة وعزة، بل إن الخليفة عمر رضى الله عنه كان يعتنى بأهل الذمة ويسأل عنهم وعن أحوالهم ويطمئن على عدم تعرضهم لبطش العمال الذين يعملون فى الأقاليم البعيدة عن مقر الخلافة، فكان يسأل القوم عن أميرهم، هل يعود المرضى؟ هل يعود العبد؟ كيف صنيعه بالضعيف؟ وهل يجلس على بابه؟ وقد أقام عمر رضى الله عنه دور الضيافة ورصد لها الأموال واتخذ «دار الدقيق» فجعل فيها الدقيق والسويق والتمر والزيت وما يُحتاج إليه ليعين ذلك المحتاج، ووضع رضى الله عنه فيما بين مكة المكرمة والمدينة المنورة وفيما بين الشام والحجاز ما يصلح فى الطريق من ينقطع به، وفى عهد الخليفة الوليد بن عبد الملك بن مروان صاحب الفتوح الواسعة من الهند للأندلس خُصصت أعطيات للمجذومين لمنعهم من الاحتكاك بالناس قدر المستطاع، كما أعطى المُقعد خادمًا والضرير قائدًا يأخذ بيديه..»[1].

ونعلم جميعًا قصة القبطى الذى اشتكى للخليفة عمر بن الخطاب عندما تعرض نجله للضرب من قِبل ابن عمرو بن العاص والى مصر زمن الفتح وقال عمر قولته الشهيرة لعمرو بن العاص «**متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارًا**».

جدير بالذكر أيضًا الإشارة إلى الجهود التى بذلها خلفاء بنى العباس وعنايتهم (**بالآخر**) بل بالحيوانات والطيور والجمادات وسائر الأجناس التى تخدم الإنسان، فقد أنشأ العباسيون فى مدينة (**مرو**) وهى أشهر مدن (**خراسان**) ديوانًا أطلقوا عليه

تمت معالجة هذا الأمر بجعل الذمى حرًا فى معتقده وفى ماله وفى كرامته بل ودعمه ماليا إذا لزم الأمر، كما ذكرت من نصوص تتعلق بالخليفة الراشد عمر بن الخطاب.

د. أبو زيد شلبى: تاريخ الحضارة الإسلامية والفكر الإسلامى، مكتبة وهبة بالقاهرة سنة ١٩٦٤م الطبعة الثالثة ص٢٨٠، ٢٨١.

(١) تاريخ الطبرى: مناقب الوليد بعد خبر وفاته، د.محمد فتحى عثمان: القيم الحضارية فى رسالة الإسلام. ط٢، ص١٤٦.

اسم (**ديوان الماء**) وكان يشرف على هذا الديوان موظف كبير يعاونه عشرة آلاف عامل وكان يودع فى هذا الديوان سجلات خاصة بالجزية والخراج ومقاديرها حسب ريِّها، وذلك إذا كانت تُسقى سيحًا أو تسقيها السماء، بينما كان يؤخذ نصف العشر إذا كانت تُسقى بدلو أو ساقية أو نحوه[1].

وأختتم هذا الجزء من الدراسة بذكر جانب من سماحة الإسلام وولاته وخلفائه وعماله مع (الآخر)، بل ومع كائنات تحيا بين الإنسان كالحيوان والطير وغيره.

فقد أوردت كتب التاريخ الإسلامى، أنه كان بدمشق وقف على الحيوان الهرم كى يرعى فى الأرض الموقوفة حتى يموت وتقبض روحه، وفى مصر كان هناك من يوقف أراضى وعقارات لتعويض الخدم إذا ما كسروا أوانى أثناء خدمتهم فلا يتعرضوا لعقاب أو أذى، وهناك وقف آخر خاص بإعطاء العروس المحتاجة ثيابًا وحلى حتى يتم زفافها إلى زوجها ويتم سترها دون استدانة أو غرم.

وفى تونس كانت هناك أوقاف متعددة على رعاية المرضى وعلاجهم وكذلك معاونة المستشفى على القيام بمهامها حيال نزلائها.

كذلك أوردت كتب الوقف الإسلامى معلومات تشير إلى وقف خاص **لترتيب من يتهامسون وراء المريض بحيث يُسمعونه وكأنهم لا يقصدون إسماعه، أما كلماتهم المهموسة فتدور حول رأى الطبيب فى قرب برء المريض، إيحاء بما يعزز العلاج ويعين على الشفاء**..[2].

جميع هذه الأمور وغيرها تكشف لنا مدى عناية خلفاء المسلمين وولاة أمورهم

---

(١) أبو يوسف: الخراج ـ تحقيق: د. محمد إبراهيم البنا ـ طبع دار الاعتصام بالقاهرة ـ سنة ١٩٨١م ص١١٩.

د. أحمد عبد الرحمن إبراهيم: قيم المجتمع.. هل هى ثابتة أم قابلة للتغيير ـ بحث ضمن سلسلة بحوث الندوة العالمية للشباب الإسلامى (الإسلام والحضارة) جـ١، ص٣٥٢ ـ الرياض ـ ط٢، ١٤٠١هـ.

(٢) انظر فى ذلك:

ـ د. سعيد عبد الفتاح عاشور: المجتمع المصرى فى عهد المماليك، مصطفى السباعى: من روائع حضارتنا.

ـ د.محمد فتحى عثمان: الأوقاف فى تراثنا ومجتمعنا ـ طبع وزارة الأوقاف بمصر ـ طبع القاهرة جـ١، ص١٤٩.

(بالآخر) من أهل الذمة، بل عنايتهم ورعايتهم للدواب والمواشى والخدم... وغيرها من الأمور الحضارية.

ولقد لفت نظرى عندما طالعت وقف بيمارستان السلطان قلاوون الذى أُنشئ سنة ٦٨٢هـ بمصر أنه أقيم لعلاج **(الملك والمملوك، الكبير والصغير، الحر والعبد)** وهذه فى الواقع قمة العناية والرعاية **(للآخر)** فقد ساواه بالملك [(١)].

وقد حكى الرحالة ابن بطوطة أن الواصف يعجز عن الوفاء بمحاسن ذلك البيمارستان، وقد تضمن أقسامًا للحميات والرمد والجراحة وأمراض النساء، وكان للمريض فرش كامل من (التخوت والطراريح والمخدات واللحف والملاءات..)، ويعمل فى المستشفى الأطباء والصيادلة والخدم، وقد زُود بمطبخ كبير، وكان المريض إذا برئ وخرج من البيمارستان تلقى منحة وكسوه.. وقد رتب صرف الأدوية والأشربة والأغذية اللازمة لعلاج المرضى الذين يلازمون منازلهم، هذا فضلا عمن يترددون على البيمارستان فى العيادة الخارجية[(٢)].

أليست هذه عناية قصوى بالآخر قلما تجدها فى حضارات أخرى؟

أيضًا هذه شهادة أخرى وردت على لسان الرحالة الإصطخرى فى كتابه «المسالك والممالك» عندما تحدث عن أوضاع المسلمين فى بلاد ما وراء النهر وكيفية تعاملهم مع (الآخر) فكتب يقول:

«... وأما سماحتهم فإن الناس فى أكثر ما وراء النهر كأنهم فى دار واحدة، ما ينزل أحد بأحد إلا كأنه دخل دار نفسه. ولا تجد فيهم صاحب ضيعة إلا همته ابتناء قصر فسيح ومنازل للأضياف، فإذا حل بينهم طارق تنافسوا فيه وتنازعوا، وترى الغالب على أهل الأموال بما وراء النهر صرف نفقاتهم إلى الرباطات وعمارة الطرق والوقوف على سبيل الجهاد ووجوه الخير... وليس من بلد ولا منهل ولا مفازة مطروقة ولا قرية

---

(١) د. محمد فتحى عثمان: المرجع السابق جـ، ص١٤٨.

(٢) انظر وقف بيمارستان السلطان قلاوون بدار الوثائق القومية بالقاهرة رقم (٤٨٥٠٩ح) حققها ووضع حواشيها:

د. محمد محمد أمين: تذكرة النبيه فى أيام المنصور وبنيه ـ الجزء الأول ـ طبع دار الكتب المصرية بالقاهرة سنة ١٩٧٦م.

آهلة إلا وبها من الرباطات ما يفضل عن نزول من طرقه، إذا نزل النازل أقيم علف دابته وطعام نفسه... وقلَّ ما رأيت خانًا أو طرف سكة أو محلة أو مجمع ناس فى الحائط بسمرقند يخلو من ماء جمد مسبل (أى هى للناس فى سبيل الله) من بين سقاية مبنية وجباب منصوبة..»[1].

تلكم هى حضارة الإسلام فى شتى بقاع الأرض، والتى وصلت إليها دعوة التوحيد فأقبل الناس على دين الله فى آسيا وأفريقيا وأوروبا، وذلك منذ مطلع القرون الأولى للهجرة، بعد ما رأوا من عدالة وحسن جوار ورحمة ليس بالإنسان فحسب بل بالأجناس الأدنى، فعمَّ الخير للجميع، وانتشرت العلوم والمعارف وعمَّ الأمن والأمان على ربوع الأرض. ومن هذا المنطلق، وجب علينا أن نتخذ من سيرة سلفنا الصالح ـ رضوان الله عليهم أجمعين ـ الأسوة الحسنة، وأن نقتفى أثرهم وننهج سبيلهم، ونعتز بتاريخنا وحضارتنا الإسلامية الغراء، ونعد أنفسنا للرد على كل زيف باطل وكذب وخداع من قِبل بعض المستشرقين والإعلاميين والساسة فى الغرب الذين يحاولون طمس معالم حضارتنا وإلصاق تهم التطرف والإرهاب بالمسلمين.

---

(١) الاصطخرى: المسالك والممالك ـ تحقيق محمد جابر الحصين ص٤٧، ص١٦٢ـ١٦٣.

خامسًا «الآخر» فى نصوص البرديات العربية

البرديات العربية كما أشرت من قبل وثائق تاريخية ثابتة لا يمكن أن يتطرق إليها أدنى شك، كُتبت على نوع من الورق كان وما زال يُصنع فى مصر من نبات يسمى «نبات البردى» ما زال يزرع حتى اليوم. كُتبت على هذه الأوراق جميع نواحى الحياة فى الدولة الإسلامية - بداية عهد الخلفاء الراشدين حتى نهاية العهد العباسى، ويصعب على المرء تحديد موضوعات معينة لوثائق البرديات العربية، فهى تتغلغل فى جميع شئون الدولة، فهناك المكتبات الديوانية (أى تلك الصادرة عن دواوين الدولة) وهناك إيصالات الجزية والخراج والعقود بشتى أنواعها (زواج - بيع - شراء - إيجار - عمل)، وهناك أيضًا الوصفات الطبية والسير والمغازى ومجالس الصلح وفض المنازعات ومراسلات ومكاتبات أهل الذمة (يهود - نصارى) والنصوص الدينية والأدبية والعلمية وأوراق السحر والشعوذة.. وغيرها كثير يصعب حصره وتصنيفه.

ولقد أدركت المكتبات والمتاحف والجامعات الأوربية والأمريكية أهمية هذه الأوراق فلقفتها أيدى المستشرقين وعكفوا على دراستها واستخراج ما تضمنته من معلومات وبيانات وإحصاءات مهمة عن حياة ونظم المسلمين، ولقد تأملت هذه الوثائق التاريخية النادرة فوجدتها تتضمن معلومات بالغة الأهمية عن العلاقات الطيبة التى كانت تربط المسلمين (بالآخر) وذلك خلال القرون الثلاثة الأولى للهجرة، وهى الفترة الزمنية التى كثرت فيها أعداد أهل الذمة فى المجتمعات الإسلامية، فى مصر والشام والعراق وفارس وشمال أفريقيا واليمن وغيرها.

ولقد كشفت هذه النصوص عن الحوار والتفاهم الحضارى بين المسلمين والآخر من يهود ونصارى ومجوس... وغيرهم. فقد سلك المسلمون وقادتهم وولاتهم

أساليب حضارية فى التعامل مع (الآخر) من ناحية: احترام المشاعر وأماكن العبادة وترميم المتهدم منها وتوفير فرص العمل للعاطلين عن العمل من الشباب، بل إعطاء بعضهم تصاريح بالإقامة والعمل فى المدن الإسلامية كالفسطاط.. وغيرها.

أيضًا شملت هذه الجوانب الحضارية الإسراع فى الفصل فى قضاياهم وعدم تأجيلها وتحرى الدقة قبل إصدار الأحكام، حتى ان بعض أهل الذمة من (الآخر) ارتضى أن ينفذ عقود بيعهم وشرائهم (وفق شريعة الإسلام)، أيضًا هناك نصوص كشفت عن عتق رقاب العديد من أهل الذمة (الآخر) والرحمة بهم، وتأخير جمع الجزية والخراج حتى وصلت لثلاث سنوات متأخرة عن عدد من القرى التى يسكنها أهل الذمة، ربما نظرًا لضعف المحصول الزراعى وعدم كفايته لجمع خراجه، فسمح العرب لأهل الذمة باستغلال المحصول طعامًا لهم. وعدم تحصيل أى أموال نظرًا لسوء الأحوال والأوضاع فالتمس المسلمون لهم العذر، فلم يحصلوا منهم أى أموال حتى وصلت فترة السماح إلى قرابة ثلاث سنوات بكاملها لحين تحسُّن الأحوال.

وغيرها من النصوص التى تكشف عن الأسلوب الحضارى الراقى الذى اتبعه المسلمون مع (الآخر) على النطاقين الرسمى والشعبى خلال القرون الأولى للهجرة.. فما أحرانا أن نأخذ من الماضى دروسًا وعبرًا للحاضر والمستقبل.

ونظرًا لكثرة النصوص الوثائقية التى كُتبت على البردى والكاغد أغلبها محفوظ لدى (الآخر) فى أوروبا وأمريكا وروسيا.. وغيرها، نذكر نماذج مختارة منها للتدليل على مكانة الحضارة الإسلامية وكيفية تعامل المسلمين حكامًا ومحكومين مع من خالفهم فى العقيدة من أهل الذمة. جدير بالذكر أن غالبية هذه الوثائق التاريخية النادرة تستهوى قطاعات عديدة من علماء ومفكرى ومستشرقى أوروبا وأمريكا وروسيا وهى مدخلنا إليهم، وإلى عقولهم لتأكيد تغيير الصورة السيئة التى يحاول المتعصبون ضد الإسلام والمسلمين الترويج لها فى الغرب بعد أحداث سبتمبر ٢٠٠١م.

١ـ السلوك الحضارى لقائد مسلم مع (الآخر) تُنسب لعهد الخليفة الراشد عمر بن الخطاب مؤرخة بشهر جمادى الأولى سنة ٢٢هـ

من أقدم نصوص البرديات العربية التى تُنسب لعهد الخليفة الراشد عمر بن الخطاب، هذه البردية النادرة المحفوظة حاليًا فى المكتبة الوطنية بالنمسا (مجموعة

الأرشيدوق راينر، التى يطلق عليها (بردية أهناسيا) تحمل رقم سجل (PERF. Arab. No, 558)[1] مؤرخة بشهر جمادى الأولى سنة ٢٢ هـ/ ٦٤٣م).

تكشف هذه البردية عن معلومات بالغة الأهمية عن السلوك الحضارى والحوار الودى مع (الآخر) زمن الحروب والقتال، فهذا القائد المسلم (عبدالله بن جابر) أحد قواد عمرو بن العاص فاتح مصر زمن الخليفة الراشد عمر بن الخطاب عندما ذهب لفتح إقليم أهناسيا فى صعيد مصر، نفد طعامه الذى كان معه، واحتاج إلى طعام لإطعام جنوده المقاتلين الذين يحاربون الجيش والحاميات البيزنطية التى كانت تحكم مصر آنذاك، وعلى الرغم من أنه كان منتصرًا على القوات والحاميات البيزنطية فقد كتب هذا الإيصال الصغير على قطعة من ورق البردى وسلمها إلى (خريسطفورس وتيودوراكيوس) عاملى منطقة أهناسيا (أى حكامها) أنه أخذ عددًا من الشياه (وردت فى البردية ٥٠ شاة) لإطعام جنوده فى البر، وعدد (١٥ شاة) لإطعام جنوده الراكبين فى البحر (نهر النيل) على أن تُخصم من جزية العام التالى؛ وذلك لإدراك القائد (عبدالله بن جابر) أن هذه الشياه ستؤخذ من (الآخر) القبطى وهم عامة الشعب من أهل مصر ـ الذين لا حول لهم ولا قوة. فرغب (عبدالله بن جابر) ألا يحملهم أعباء مضاعفة؛ فهذا المحتل البيزنطى يذيقهم ألوان العذاب، وبعد رحيله ونشر دين الله فى منطقة أهناسيا سيتحملون عبء الجزية فى العام التالى، فأراد عبدالله بن جابر أن يخفف عنهم بكتابة هذا الإيصال بأن تُخصم هذه الشياه من جزية العام التالى؛ لأنه يريد أن يطعم جنوده ومقاتليه طعامًا ليس به شبهة حرام من بطش أو عنف أو غدر أو اعتداء على حقوق وممتلكات (الآخر).

ولقد علق البروفيسور النمساوى أدولف جروهمان ـ وهو أشهر عالم برديات عربية على الإطلاق ـ فذكر هذه العبارة عندما نشر هذه البردية فقال: «**قلما تجد شعبًا منتصرًا يعطى شعبًا منهزمًا إيصالا بتسلم طعام لإطعام جنوده المنتصرين، فكما هو معروف فى الحروب فإن المنتصر يسلب الطعام من المهزوم، هذا فضلًا عن اقتحام منازله والاعتداء على عرضه**»[2] وغيرها من التصرفات التى لم تصدر عن قائد عربى مسلم

(1) Grohmann. A :From The World of Arabic Papyri-Al Maref Press Cairo 1952, PP. 113-116.

(٢) د. أدولف جروهمان: المحاضرة الثانية عن الأوراق البردية العربية. أربع محاضرات بمقر الجمعية الجغرافية المصرية بالقاهرة سنة ١٩٣٠م ـ طبع دار الكتب المصرية بالقاهرة سنة ١٩٣٠م ـ تعريب توفيق اسكاروس ص١١.

تربى على تعاليم الإسلام السمحة، والتى سبق ذكر بعض التوجيهات والإرشادات التى أعلنها رسول الله ﷺ لصحابته رضوان الله تعالى عليهم أجمعين، فهذا عبدالله بن جابر قائد عربى مسلم منذ مطلع الدعوة الإسلامية يسلك هذا السلوك الحضارى فلم يبطش ولم يغدر ولم يظلم ولم يسفك دمًا ولم يعتدى على حقوق الآخر من أموال وممتلكات وكان فى استطاعته أن ينال كل ما يريد دون مساءلة، ولكن تربيته وتدينه هو ومن معه من الجنود (البر والبحر)[1] لم يرغبوا فى فعل أشياء تخالف شريعة وعدالة ورحمة الإسلام، فكتب على نفسه هذا الإيصال النادر وهو مازال محفوظًا لدى (الآخر) فى المكتبة الوطنية بالنمسا، ويكفينا شهادة (الآخر) أيضًا وهو أشهر وأبرز عالم برديات عربية على الإطلاق فى القرن (٢٠م) يذكر هذه الشهادة التى سبق ذكرها من قبلُ الدكتور أدولف جروهمان أثناء محاضرته القيمة التى ألقاها فى أمسية ثقافية منذ أكثر من سبعين عامًا بالجمعية الجغرافية المصرية بالقاهرة[2].

جدير بالذكر أن البردية التى نحن بصددها كُتبت بلغتين عربية ويونانية، ولقد ترجم النص اليونانى فأشار أيضًا إلى مضمون النص العربى من تسلم (عبدالله بن جابر) وأصحابه هذه الشياه لإطعام الجنود فى البر والبحر.

ترجمة النص اليونانى

١ـ بسم الله.. أنا الأمير عبدالله أكتب إليكما خريسطفورس وتيودوراكيوس عاملى هيراكليوبولس[3].

---

(١) من خلال النص الذى ورد فى البردية يُلاحَظ أن عبدالله بن جابر خرج من الفسطاط ومعه جيشان فى البر، ويلاحظ أنه استلم أكبر قدر من الشياه (٥٠ شاة) بينما السطر السابع فى نص البردية يشير إلى تسلم عبدالله بن جابر وأصحابه (١٥) شاة أخرى لإطعام جنود البحر ونص العبارة هكذا (وخمس عشرة شاة أخرى أجزرها أصحاب سفنه وكتائبه وثقلاه).

(٢) أدولف جروهمان: ٤ محاضرات بالجمعية الجغرافية المصرية ـ القاهرة سنة ١٩٣٠م، نشرت هذه البردية بلغتيها اليونانية والعربية فى عدد من دراسات د. أدولف جروهمان منها هذه الدراسة.

Grohmann.A: Apereu de Papyrologie Arabe etude de Papyrologie Societe Royal (Egyptieene de Paptieene de Papyrologie) tom.I.

(٣) هذه الكلمات اليونانية عبارة عن أسماء العمال البيزنطيين على إقليم أهناسيا الذى ورد اسمه فى النص باسم (هيراكليوبولس ماجنا).

Grohmann. A: Apereu de Papyrologie p. 42.

٢ـ لإمداد المسلمين الذى معى، أخذت ٦٥ (خمسة وستين شاة فقط فى هيراكليوبولس.

٣ـ بلا زيادة ولإيضاح ذلك حررت هذا الإقرار وكتبته أنا «حنا العمدة والشماس» فى ٣٠ برمودة من السنة الأولى من البريدوس الأول.

النص العربى فى البردية

١ـ بسم الله الرحمن الرحيم.. هذا ما أخذه عبدالله.

٢ـ بن جابر وأصحابه من الجند من أهنس أخذنا.

٣ـ من خليفة ثدرق ابن أبو قير الأصغر ومن خليفة اصطفى بن أبو قير الأكبر خمسين شاة.

٤ـ من الجزر وخمسة عشرة شاة أخرى أجزرها أصحاب سفنه وكتائبه وثقلاه فى.

٥ـ شهر جمادى الأولى سنة اثنين وعشرين وكتب ابن جريدة[1].

هذا النص النادر فى واقع الأمر لا يحتاج إلى تعليق طويل؛ فهو يشرح نفسه ويدلل على مكانة الحضارة الإسلامية المستمدة أصولها من الشرع الحنيف والسنة النبوية المطهرة والتى تغلغلت فى نفوس الصحابة والتابعين وتابعى التابعين رضوان الله عليهم أجمعين، ونتج عن ذلك سلوك حضارى تجاه (الآخر) قلما نجد مثله فى العصر الحديث.

٢ـ تصريح بالإقامة والعمل فى مدينة الفسطاط لشباب أهل الذمة مؤرخ بعام ١٣٣هـ/٧٥٠م

هذا التصريح النادر يمكن أن نسميه حاليًا (تأشيرة إقامة وعمل) لشباب أهل الذمة (الآخر) من يهود ونصارى ـ للإقامة والعمل فى المدينة الإسلامية الأولى بمصر

(١) يلاحَظ أن النص اليونانى ورد به تاريخ تحرير البردية وهو (٣٠ برمودة من السنة الأولى من البرديوس الأول)، بينما النص العربى ورد به التاريخ العربى (جمادى الأولى سنة ٢٢هـ).

وأفريقيا وهى مدينة «الفسطاط»، والتصريح محفوظ حاليًا فى المتحف البريطانى بلندن برقم سجل (PS. 105288 Oriental. Ms. No, 15). وعلى الرغم من صغر هذا التصريح وحالته الممزقة ـ ربما لكثرة استخدامه وسوء حفظه ـ فإنه يكشف عن معلومات بالغة الأهمية عن علاقة المسلمين بالآخر فى مطلع العهد العباسى ـ أى منذ أكثر من ثلاثة عشر قرنًا من الزمان، وهى توضح أن المسلمين كانوا عادلين ومنصفين مع (الآخر) فسمحوا له بالإقامة والعمل فى مدنهم الإسلامية التى يمارسون فيها شعائرهم الدينية، بل نجد أن التصريح وردت فيه عبارات مهمة تشير إلى حماية هذا الشاب الذمى ويدعى (أنتيونو بن جيلان) من أهل دير أبى هرميس؛ حيث نقرأ فى السطرين الأخيرين من نص التصريح هذه العبارة: «فمن لقيه من عمال الأمير أصلحه الله فلا يتعرض له إلى ذلك الأجل إلا بخير..»، ثم نقرأ فى السطر الخامس الإذن بالمرور والإقامة والعمل بالفسطاط، ونص العبارة هكذا (أذنا له بالعمل بالفسطاط)[1].

وهناك تصاريح أخرى وردت بها معلومات أوفر، بعبارات أوضح منها ما هو محفوظ فى المكتبة الوطنية بالنمسا، حيث توجد أكبر مجموعة نصوص لأوراق البردى العربى فى العالم (حوالى ٠٠٠ , ٤٠) أربعين ألف بردية عربية لم يُنشر منها سوى بضع مئات والباقى رهين الحفظ والصيانة والفهرسة والترميم، ومنها ما هو محفوظ فى مجموعات أخرى من بينها بردية محفوظة فى مكتبة جامعة جيسن بألمانيا تحمل رقم سجل: (P. Jand. Arab. No,112)[2] تُنسب للقرنين ١ـ٢هـ / ٧ـ٨م ـ بعداها ٢ , ١١ × ١ , ٨ سم وردت بها عبارة مهمة تشير إلى حفظ كرامة هذا الشاب الذمى حامل التصريح فنقرأ عبارة (إنى أذنت له أن يعمل؛ لوفاء جزيته والتماس معيشته...)، ثم تعهد من الأمير لجنوده بعدم التعرض له بالأذى بل إكرامه وتمكينه من عمله. وهذه العبارات إن دلت على شىء فإنما تدل دلالة واسعة على مدى احترام المسلمين للآخر الذمى وخاصة الشباب وحفظ كرامتهم؛ وذلك لأن الشباب كما هو

---

(١) هناك نصوص أخرى شبيهة بهذا النص أحدها محفوظ فى مكتبة جامعة جيسن بألمانيا برقم سجل (P.J and Arab. Ng 1127) عُثر عليها أيضًا بالفسطاط بمصر.

(2) Grohmann. A: Arabischen Papyri aus der Giesner Universitutsbibliothek Gissen 1960. P.31.

معلوم طاقة منتجة إذا عطلت أدت إلى حدوث التطرف والخروج على القانون ـ فكان لزامًا على ولاة أمور المسلمين أن يراعوا هذا الأمر بتوفير فرص عمل مناسبة لشباب أهل الذمة وتمكينهم من العمل والإقامة فى مدن المسلمين لالتماس معيشتهم ووفاء جزيتهم. فما أحرانا أن نأخذ من هدى السلف الصالح ما ينفعنا ويرشدنا فى العصر الحديث، كما أنه أصبح من الضرورة التمسك بقيم ونظم وأسس العلاقات الدولية التى اتبعها سلفنا الصالح مع الآخر الذمى. كذلك تكشف هذه النصوص للآخر فى العصر الحديث عن أن المسلمين لم يكونوا يومًا ما أرباب قتل أو عنف أو بطش مع (الآخر)، والدليل على ذلك هذه النصوص النادرة المحفوظة حاليًا فى عدد كبير من المكتبات والمتاحف والجامعات فى أوروبا والولايات المتحدة الأمريكية وروسيا.. وغيرها[1].

نص البردية «بردية المتحف البريطانى»

١ـ بسم الله الرحمن الرحيم

٢ ـ .. كتب من حاذق مولى أبى موسى وشبيب بن....

٣ـ ... عبد الملك بن يزيد على كورة أسفل الأرض وقرأ اسمط.

٤ـ ... أنتيونو بن جيلا من أهل دير هرميس من كورة.

٥ـ .... أذنا له بالعمل بالفسطاط فى...

٦ـ أذناه إلى سلخ شهر بيع الآخر سنة ثلث وثلثين ومائة.

٧ـ فمن لقيه من عمال الأمير أصلحه الله فلا يعرض له إلى ذلك.

٨ـ ... لأجل إلا بخير وكتب...

---

(١) الدراسة نفسها أيضًا بردية تحمل رقم سجل (P.J and Arab. No. 1127) تنسب للقرنين ٢ـ٣هـ/ ٨ـ٩م بعداها ٢٦,٢ × ١٨ سم ـ تحمل أيضًا التصريح بالعمل والإقامة نفسه لأحد شباب أهل الذمة بالعمل فى مدينة الفسطاط ولكنها تختلف عن النصوص الأخرى بسبب وجود وصف كامل وشامل للشاب الذمى فنقرأ هذه العبارة:
وفى نص آخر نقرأ: وهو بهيوه ربعة أسمر أفلج سبط، جعدى وغيرها من الأوصاف.

٩ـ الأول سنة ثلث وثلثين ومائة[1].

٣ـ إيصال لأحد شباب أهل الذمة باستلام جزيته ورعايته مؤرخ بشهر رمضان سنة ١٩٦ هـ/ مايو ٨١٢م

هذا الإيصال النادر محفوظ حاليًا فى المكتبة الوطنية بالنمسا (مجموعة الأرشيدوق راينر) برقم سجل (PERF. Arab No, 670)[2] مؤرخ بشهر رمضان سنة ١٩٦هـ/ مايو ٨١٢م. ترجع أهمية هذا الإيصال إلى أنه يحمل فى نصه عدة دلالات، منها:

(أ) احترام مشاعر الشاب الذمى وتسليمه إيصالًا مكتوبًا على قطعة من ورق البردى على الرغم من غلاء أسعارها ـ آنذاك ـ فقد أشارات كتب التاريخ إلى أن سدس الدرج أو ما يسمى الطومار كان يباع بثمن ١/ ٢٤ من الدينار، وعلى الرغم من ذلك تم تدوين جزية شباب أهل الذمة وتسليمهم هذه الإيصالات ليكونوا فى مأمن من المطالبة بها مرة أخرى.

(ب) تحديد مكان الشاب الذمى ونوع عمله ثم وصف كامل له وذلك زيادة فى الحيطة والتأكد من شخصيته حتى لا يلتبس الأمر على عامل الديوان فيتعرض للظلم بعد ذلك.

(جـ) تأكيد احترام هذا الشاب الذى أدى ما عليه من حقوق للدولة التى تكفل له الأمن والأمان والرعاية وسائر الخدمات من مرافق (كإنشاء معابر وجسور يستخدمها فى تنقلاته بين مدن وقرى مصر) وتوفير جيوش على الحدود ومرابطين لحمايته فى الداخل؛ فقد وردت بالبردية عبارة (**فمن لقيه من عمال الأمير أبقاه الله وعمالى وأعوانى فلا يعرض له إلا بخير إن شاء الله**).

(د) إعطاء الشاب فترة سماح مدتها عام كامل للوفاء بجزيته، فنجد أن الجزية المقررة عن عام ١٩٥هـ، وتم تحصيلها عام ١٩٦هـ؛ دلالة على عدم إرهاقه ماليًا والضغط عليه.

---

(1) Grohmann. A : Arabischen Papyri Gissen 1960. Pp. 28-29.

(2) Grohmann. A: Probleme der Arabischen Papyrusforschung.11 Reprinted from Archiv orientalni vol. 6 1934. no 2. P. 393.

جميع هذه الأمور تكشف عن مدى احترام ولاة أمور المسلمين (للآخر) الذمى واحترام مشاعره وعدم إرهاقه بسداد جزيته فى العام نفسه، بل فى العام التالى. كذلك يُلاحَظ أن كل أوراق البريدى العربى التى تتعلق بإيصالات الجزية والخراج لشباب ورجال أهل الذمة تحمل فى طياتها حرفة حامل وصاحب الإيصال، ولم نجد على الإطلاق إيصالا واحدًا لشاب ذمى أو رجل لا يعمل، كما أننا لم نجد على الإطلاق إيصال جزية أو خراج لرجل كبير أو معوق أو امرأة أو صبى صغير، أو رجل دين منقطع للعبادة، أو معتوه أو مريض بل نجد فى كل الإيصالات أن اسم الشخص مرتبط بحرفته وصناعته، الأمر الذى يدلنا على عدالة ولاة أمور المسلمين مع (الآخر) الذمى. فلم يتعسفوا معه ولم يجبروه على سداد أموال فى العام نفسه بل لم يأخذوا أموالًا من أصحاب الأعذار، وهى تدل على سمو خلقى ونبل إيمانى.

نص الإيصال

١ـ بسم الله الرحمن الرحيم.

٢ـ هذا كتاب براءة من يونس بن عبد الرحمن عامل الأمير عباد بن محمد أبقاه الله.

٣ـ على خراج كورة الفيوم ومعونتها وجميع أعمالها.

٤ـ لأبقيره الخباز من سكان أباطرة من مدينة الفيوم.

٥ـ وهو مجتمع أبيض أقنى أزج أنزع سبط جثر الجسم [١].

٦ـ أنى قبضت منك جزية رأسك نصف دينار.

٧ـ لخراج سنة خمس وتسعين وماية فمن لقيه من عمال الأمير أبقاه الله.

(١) هذا وصف دقيق لهذا الشاب (أبقيره الخباز) ـ فكلمة أبيض ربما تعنى أن لون بشرته بيضاء، أما (أقنى) فمعناها أن به احديداب فى الأنف، أما كلمة (أزج) فبمعنى مستوى الحواجب ربما من جراء حذف ونتف الشعر الزائد بهما، أما كلمة (أنزع) فمعناها أن شعره على جانب جبهته منزوع (محلوق)، أما كلمة (سبط) فمعناها مسترسل الشعر غير جعد، أما كلمة (جثر الجسم) بمعنى سمين ضخم أو ممتلئ.
الرازى (محمد بن أبى بكر عبد القادر الرازى) ٥٤٣ـ٦٠٦هـ/ ١١٤٨ـ١٢٠٩م مختار الصحاح.
ترتيب: محمود خاطر ـ المطبعة الأميرية بالقاهرة سنة ١٣٤٥هـ/ ١٩٢٦م، ص٢٨٣، ص٦٥٤.

٨ـ وعمالى وأعوانى فلا يعرض له إلا بخير إن شاء الله.

٩ـ وكتب فى شهر رمضان سنة ست وتسعين ومائة.

٤ـ عقد عمل لأحد شباب أهل الذمة مع ضمان بحفظ حقوقه وأمواله مؤرخ بعام ٢٢٧هـ/٨٤١م.

هذا العقد النادر يكشف عن تمتع شباب أهل الذمة فى العيش بكرامة وسط المسلمين، مع تأكيد احترام حقوقه المالية كامله وتسليمها له فى مواعيدها باليوم وبقيمتها المنصوص عليها فى العقد، على الرغم من صغر مدة العقد وهى (شهران كاملان) فقد اقتضى الأمر تسجيل هذا العقد وتدوينه، بل إنه زيادة فى التوثيق نجد ثلاثة توقيعات لثلاثة شهود عدول من المسلمين، ورد ذكرهم بالبردية، أيضًا يُلاحَظ أن صاحب العمل يحدد فى العقد نوع العمل الذى سيكلف به الأجير وهو ذمى يدعى (هارون بن بقام)، هذا العقد محفوظ حاليًا فى دار الكتب المصرية بالقاهرة برقم سجل (٩٦) مؤرخ بسنة ٢٧٧هـ/ ٨٤١م. وزيادة فى حفظ حقوق العامل يُلاحَظ أن صاحب العمل ورد اسمه فى العقد مرتين (السطر ١، ٣) كما وردت كلمة (استأجر) مرتين فى السطرين (٢، ٣)، أيضًا وردت مدة العقد وهى شهران فى سطرين من نص العقد (٣، ٤)، جميع هذه الأمور تكشف عن دقة صاحب العمل فى حماية ورعاية حقوق الأجير الذمى، وتكرارها يلزمه بتنفيذ بنود وشروط العقد المبرم بينهما.

نص الإيصال

١ـ بسم الله الرحمن الرحيم

٢ـ هذا ما استأجر سعيد بن عيسى استأجر هارون بن بقام استأجره.

٣ـ سعيد بن عيسى شهرين كاملين على أن يعمل له عمل الفول وعلى أن

٤ـ يعطيه فى هذين الشهرين سدس دينار لكل شهر درهمين.

٥ـ وأول يوم من الشهر أول يوم من كهيك من شهور العجم.

٦ـ من سنة متين وسبعة وعشرين شهد على ذلك.

٧ـ أيوب بن موسى ومكتب شهادته.

٨ـ ومحمد بن أيوب وكتب بخطه.

٩ـ وليد بن مسلم القرشي وكتب شهادته بخطه[١].

٥ـ فضّ منازعة بين أهل الذمة

مؤرخة في شهر صفر سنة ٩١هـ/ ٧١٠م

اعتنى ولاة أمور المسلمين بمصالح الآخر من أهل الذمة وغيرهم، فقد احتوت العشرات من نصوص البرديات العربية موضوعات تتعلق بمجالس الصلح وفضّ منازعات أهل الذمة الذين لجئوا لولاة أمور المسلمين للفصل فى قضاياهم ورعاية مصالحهم وحل مشكلاتهم سواء بينهم وبين المسلمين أو بينهم البعض، ومن هذه النصوص التى تتعلق بقضايا فضّ المنازعات، هذه البردية المحفوظة فى معهد البرديات بجامعة هايدلبرج بألمانيا تحمل رقم سجل (PSR. Arab, No, 16)[٢] بعداها ٢٧ × ١٣سم مؤرخة بشهر جمادى الأولى سنة ٩١هـ / ٧١٠م، والبردية تكشف عن لجوء شخصين من (الآخر) أهل الذمة أحدهما يُدعى (يحنس بن شنودة) والآخر يدعى (أنبا صلم).

فقد كان للأول على الثانى (١٨) دينارًا دينًا عليه وحان ميعاد سداد الدين فلم يوفه حقه، فلجأ (يحنس بن شنودة) إلى الوالى (قرة بن شريك) والى مصر فى العهد الأموى (٩٠ـ٩٦هـ/ ٧٠٩ـ٧١٥) يعرض عليه القضية، فأرسل الوالى هذه الرسالة التى نحن بصددها لعامله على مدينة أشمون ويدعى (زكريا) حيث يقيم الطرفان وطلب منه أن يجمع الطرفين ويتحرى الدقة ويحرص على ظهور البينة وينتصف للمظلوم ويأخذ له حقه، ثم نجد عبارة بالغة الأهمية وهى عبارة توجيه وربما تحذير من الحاكم وولى أمر المسلمين يحذر فيها العامل من عدم توخى الدقة والحذر فى الفصل فى هذه القضية فنقرأ عبارة (ولا يظلمنَّ عندك). ثم نلاحظ وجود نسختين من هذه الرسالة إحداهما كتبها شخص يدعى (مسلم بن لبنن) والنسخة الثانية

---

(1) Grohmann. A: from the world of Arabic Papyri Cairo 1952, P. 208.
(2) Becker. C.H: Papyri Schott - Reinhardt - Heidelberg 1906. I,p. 92.

كتبها شخص آخر يدعى (سعيد)، وهى المرة الأولى التى نجد فيها رسالة تكتب من نسختين ربما كانت إحداهما تُحفظ فى ديوان المظالم بالدولة والأخرى ترسل للعامل؛ وذلك لمتابعة سير القضية والفصل فيها، وهى إن دلت على شىء فإنما تدل على مدى عناية ورعاية الدولة الإسلامية بحقوق أهل الذمة والسهر على راحتهم والفصل فى قضاياهم ورعاية شئونهم، بل متابعة حل هذه القضايا بتخصيص من ينسخ الرسائل إلى نسختين - إحداهما تُرسَل إلى العامل والأخرى تُحفظ فى الديوان - لأجل المتابعة والتدقيق فى الحكم وربما مراجعته من قِبل القضاء[١].

ويُلاحَظ أن هذه البردية قد تم نشرها من قبل المستشرق كارل هنرش بيكر سنة ١٩٠٦م. ويؤخذ على قراءته لها أن قرأ كلمة (عندك) خطأ فقرأها (عبدك) وهى قراءة خاطئة وتفسد معنى النص تمامًا، وهذا ما جعله وجعل بعض المستشرقين غير المنصفين يزعمون عن جهل استعبارد العرب لأهل الذمة، ولكن نظرًا لأن البردية غير معجمة (منقطة) ولذلك فإننى أرجح قراءتها (عندك) أى فى مجلس حكمك، وهى أيضًا تتماشى مع سياق نص البردية.. وليس كما زعم (بيكر) أن الكلمة تقرأ (عبدك)[٢].

نص البردية

١- بسم الله الرحمن الرحيم.

٢- من قرة بن شريك إلى زكريا صاحب.

٣- أشمون العليا فإنى أحمد الله الذى لا

٤- إله إلا هو.

---

(١) جدير بالذكر أن دار الكتب المصرية بالقاهرة تقتنى عددًا من برديات فضِّ المنازعات بين أهل الذمة وحرص ولاة المسلمين على حل مشكلاتهم والسهر على راحتهم وسعيهم للفصل فى قضاياهم، منها:

الطراز رقم (٣٣٥) مؤرخ فى شهر صفر سنة ٩١هـ/ ٧١٠م.

الطراز رقم (٣٣٦)، رقم (٣٣٣)، رقم (٣٣٤) وجميعها مؤرخ فى شهر صفر سنة ٩١هـ/ ٧١٠م.

د. جروهمان، أوراق البردى العربية بدار الكتب المصرية - المجلد (٣) - طبع دار الكتب المصرية بالقاهرة ص١٠-٤٠.

(2) Becker.C.H: Papyri Schott - Reinhardt Heidelberg 1906. I, p. 95.

٥ـ أما بعد فإن يحنس بن شنودة أخبرنى أنه له.

٦ـ ثمانية عشر دينارًا دين على أنبا صلم.

٧ـ من كورته وغلبه على حقه فإن كان.

٨ـ ما أخبرنى حقًا وأقام على ذلك البينة.

٩ـ فاجمع بينه وبين صاحبه فما كان له.

١٠ـ من حق فاستخرجه له ولا يُظلمنَّ عندك.

١١ـ والسلام على من اتبع الهدى وكتب مسلم.

١٢ـ بن لبنن ونسخ سعيد فى جمادى الأولى سنة.

١٣ـ إحدى وتسعين.

وفى واقع الأمر فإن عناية المسلمين بالفصل فى قضايا (الآخر) من أهل الذمة وغيرهم، لم تكن وليدة الساعة أو فى العصر الأموى فحسب، بل هى قديمة قبل ذلك بسنوات واستمرت طوال العصور اللاحقة، وفى هذا الخصوص أفرد المؤرخ الكندى فى كتابه (الولاة والقضاة ص٣٧٣ـ٣٧٤) أن القاضى (خير بن نعيم الحضرمى) الذى ولى منصب قاضى القضاة فى مصر سنة (١٢٠ـ١٢٧هـ) ـ كان يقبل شهادة النصارى على النصارى واليهود على اليهود فكان يسأل عن عدالتهم فى أهل دينهم، وأنه كان يقضى فى المسجد بين المسلمين، ثم يجلس على باب المسجد بعد صلاة العصر فيقضى بين النصارى ويحل لهم قضاياهم ويفصل فى مشكلاتهم، وفى موضع آخر يذكر المؤرخ الكندى أيضًا أن القاضى (غوث بن سليمان) أنصف امرأة ذمية من قرى مصر بعد أن استغاثت به فى السوق وهو راكب إلى مجلس القضاء فنزل من فوق دابته واستمع إلى شكواها وحكم لها فى قضيتها فدعت له.

جدير بالذكر أن دار الكتب المصرية بالقاهرة تقتنى عددًا من شكاوى وتظلمات بعض أهل الذمة سواء بين بعضهم البعض أو بينهم وبين المسلمين، منها مظلمة كتبت بثلاثة لغات (يونانية، قبطية، عربية) تتعلق بفض منازعة بين بعض العرب وأهل الذمة ونصها طويل، نشرها الدكتور أدولف جروهمان فى الجزء الثالث من دراسته التى

تحمل عنوان (أوراق البردى العربية بدار الكتب المصرية) طبع دار الكتب المصرية بالقاهرة، هذا بالإضافة لشكاوى وتظلمات أخرى بعضها محفوظ فى المكتبة الوطنية بالنمسا، والبعض الآخر محفوظ فى معهد البرديات بجامعة هايدلبرج بألمانيا.. وغيرها.

٦ـ الرأفة مع (الآخر) فى جمع الجزية

فى بردية عربية مؤرخة فى صفر سنة ٩١هـ/ ٧١١م

سلك أغلب ولاة أمور المسلمين مسلكًا يتسم بالرحمة والشفقة والعطف مع أهل الذمة، وخاصة فى أمور جمع الجزية والخراج، ويدلل على هذا الأمر العديد من نصوص البرديات العربية المحفوظة فى عدد كبير من المتاحف والمكتبات والجامعات فى أوربا والولايات المتحدة الأمريكية.. وروسيا.. وغيرها[1].

فالجزية والخراج لم تكن يومًا من الأيام عقوبة. مالية على الذمى ولكنها ضريبة يدفعها من أجل الحصول على خدمات ضرورية لاستقرار حياته وممارسة أعماله فى هدوء واطمئنان من حِرف وصناعات وأعمال زراعية.. وغيرها. وكما أشرت من قبل فإن الجزية والخراج لم تكن تُجبى إطلاقًا ممن لا يعمل ولا من الشيخ الكبير ولا من الصبى الصغير أو المرأة أو رجل الدين المنقطع للعبادة، ولا تُجبى أيضًا من المريض أو المقعد أو المريض نفسيًا.. عمومًا لا نجد إيصال جزية وخراج ارتبط اسم الشخص بعاهة أو إيصال جزية من امرأة أو شيخ، وإنما الذى نصادفه كثيرًا اسم حرفة أو صناعة يمارسها دافع الجزية والخراج، ومثل هذا الأمر يكشف لنا دون لبس أو طمس للحقائق عن مدى عدالة العرب والمسلمين مع الآخر من أهل الذمة. والبردية التى نحن بصددها محفوظة حاليًا فى معهد البرديات بجامعة هايدلبرج بألمانيا تحمل

---

(١) بدار الكتب أعداد كبيرة من نصوص إيصالات الجزية والخراج لعدد كبير من مدن وقرى مصر والشام.. وغيرها، نذكر منها:

ـ الطراز رقم ٣٢٩ مؤرخ فى شهر ربيع الأول سنة ٩٠هـ/ ٧١٠م.

ـ الطراز رقم ٣٢٩ مؤرخ فى شهر جمادى الثانية سنة ٩١هـ/ ٧١١م.

ـ الطراز رقم ٣٢٩ مؤرخ فى شهر صفر سنة ٩١هـ/ ٧١١م.

انظر: د. جروهمان: أوراق البردى العربية بدار الكتب المصرية جـ٣، ص٢٢، ٢٦، ٢٩.

رقم سجل: (PSR. Arab. No, 13)[1] مؤرخة فى شهر صفر سنة ٩١هـ/ ٧١١م. كُتبت بلغتين عربية ويونانية. وهى عبارة عن إيصال جماعى لقرية من قرى مدينة كوم اشقاو فى صعيد مصر تسمى (منية بربرية) تفيد بأنه قد تم تحصيل مبلغ (١٠) دنانير عددًا من جزية سنة (٨٨ هـ) ـ بينما تاريخ الإيصال بشهر صفر سنة ٩١ هـ ـ وهذا يفيد أمرين مهمين:

١ـ أن الجزية تم تحصيلها بعد مرور ثلاث سنوات تقريبًا على ميعاد السداد المقرر للدولة، وهو يشير إلى مدى سماحة الدولة الإسلامية فلم تأخذ الجزية على الفور، بل أعطت أهل منية بربرية فترة سماح تتجاوز (١٠٠٠) يوم تقريبًا.

٢ـ المتأمل فى النص يلاحظ أن الجزية ليست لأسرة أو لعدد من الأفراد، بل إنها خاصة بقرية كاملة تُدعى (منية بربرية) وهى تشمل القرية بكل رجالها وصنَّاعها وحرفييها وعمالها؛ وهى تدل على رحمة عامل الجزية والخراج، فلم يتم عمل حصر لكل أفراد القرية، ولكن المبلغ المرصود كان عشرة دنانير عن جميع أهل القرية ومنذ ثلاث سنوات متأخرة.

نص البردية

١ـ بسم الله الرحمن الرحيم

٢ـ هذا كتاب من قرة بن شريك

٣ـ لأهل منية بربرية من كورة اشقوه أنه أصابكم

٤ـ من جزية سنة ثمان وثمانين عشرة دنانير

٥ـ عددًا ومكتب أسد فى صفر سنة إحدى

٦ـ وتسعين.

تجدر الإشارة إلى أن العشرات من البرديات العربية التى تُنسب لعهد هذا الوالى قرة بن شريك العبسى محفوظة حاليًا فى عدد من المكتبات والمتاحف ومعاهد البردى العالمية، هذا بالإضافة لمجموعة دار الكتب المصرية بالقاهرة، وهى بحالة

(1) Becker. C.H: ibid. 92.

جيدة؛ نظرًا لأنها كانت محفوظة حفظًا جيدًا وقت العثور عليها فى قرية كوم إشقاو بمحافظة سوهاج بصعيد مصر فى مطلع القرن العشرين.

٧ـ إرتضاء (الآخر) من أهل الذمة إنفاذ عقود بيعهم وشرائهم وفق شريعة الإسلام

ارتضى العديد من (الآخر) أهل الذمة (يهود، نصارى) إنفاذ عقود بيعهم وشرائهم وفق شريعة الإسلام، ربما لما رأوا من عدالة وإنصاف فى هذه الشريعة المنزلة من رب العالمين لهداية خلقه أجمعين، ولقد سلك ولاة أمور المسلمين مسلكًا وفق هذه الشريعة الغراء فلم يترددوا إطلاقًا إذا ما رغب (الآخر) الذمى فى إبرام وتوثيق عقود بيعه وشرائه وإيجاره وسائر أمور حياته وفق شريعة الإسلام، وفى هذا الخصوص يذكر المستشرق (ا.س. ترتون)[1] عباره تشير إلى عناية ورعاية ولاة أمور المسلمين بمصالح (الآخر) من أهل الذمة وغيرهم فكتب يقول: «**إن المسلمين منذ بداية عهدهم لم يحتلوا أى كنيسة ولم يتدخلوا فى شئون الأقباط، وأن عمرو بن العاص لم يمد يده إلى أى شىء من أملاك الكنائس**» إلى أن يقول:

«**إن أول كنيسة بُنيت فى مدينة الفسطاط كانت فى ولاية مسلمة بن مخلد الأنصارى ٤٧هـ ـ ٦٨هـ**». **ويشير كذلك إلى أنه «عندما أنشأ عبد العزيز بن مروان مدينة حلوان سمح بإقامة كنيسة بها، ثم أنشئت كنيسة ثانية فى عهده وأنشأ أيضًا بعض الأديرة**».

جدير بالذكر أيضًا أن العديد من ولاة أمور المسلمين شاركوا فى احتفالات (الآخر) فى أعيادهم ومناسباتهم الدينية، فهذا المؤرخ المسعودى يصف وصفًا شاملًا أحد احتفالات الأقباط فى مصر، فقال: «إنه فى سنة ٣٣٠هـ وفى ليلة الغطاس أمر محمد بن طغج الإخشيد والى مصر عندما كان فى قصره المعروف بالمختار فى جزيرة الروضة بإنارة جانب الجزيرة وجانب الفسطاط بالإضافة إلى ما قام به أهل مصر من إنارة المشاعل والشمع فى أنحاء مختلفة احتفالًا بهذا العيد[2].

---

(١) أ. س. ترتون: أهل الذمة فى الإسلام ـ ترجمة حسن حبشى ـ طبع دار الفكر بالقاهرة سنة ١٩٤٩م.

(٢) أورد هذه الواقعة المرحوم الدكتور أحمد مختار عمر.

د. أحمد مختار عمر: تاريخ اللغة العربية فى مصر ـ طبع الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر بالقاهرة سنة ١٩٧٠م، ص٢٥.

ومن هذا المنطلق فقد احتوى العديد من نصوص البرديات العربية معلومات تفيد رغبة قطاعات عديدة من أهل الذمة إنفاذ عقود بيعهم وشرائهم وفق شريعة الإسلام، من هذه العقود عقد محفوظ فى دار الكتب المصرية بالقاهرة يحمل رقم سجل (١٨٩٩ـ تاريخ) مؤرخ فى شهر المحرم سنة ٣٤١هـ/ يونية ٩٥٢م[1]، بعداه ٢٦,٥ × ١٥,١سم يُنسب لمدينة الفيوم. موضوع العقد يتعلق ببيع حصة فى منزل بقرية ططون التابعة لمدينة الفيوم، طرفا العقد المشترى (**يحنس بن شنودة بن بطاقس**) البائعة (**مقطلنى ابنت شنودة بن أيوب**).

المتأمل فى هذا العقد يلاحظ أنه بُدِئَ بالبسملة كاملة (بسم الله الرحمن الرحيم) ثم ذكر طرفى العقد (من أهل الذمة) كما سبق أن أشرت، ثم تحديد دقيق لموقع المنزل والثمن المدفوع فيه، ثم شروطًا وتعهدات أخرى تضمن للبائع وللمشترى جميع حقوقهم، وما يعنينى حقيقة هو نص السطرين (١٤ـ١٥) فنقرأ فيها هذه العبارة: (باعت ذلك على شرط ـ بيع الإسلام وعهدته..) دون ضغط أو اكراه كما ورد فى(٢٠) «طائعة غير مكرهة ولا مجبرة..». أيضًا يُلاحَظ أن أسماء الشهود الوارد ذكرهم فى نص هذا العقد جميعهم من المسلمين وهم: «عبد الصمد بن يوسف بن هارون، اليسع بن عمر بن موسى» فوجود البسملة فى صدر العقد ثم عبارة السطرين (١٤ـ١٥) ثم أسماء الشهود المسلمين مع توقيعاتهم، فى معاملة خاصة بأهل الذمة يدل دلالة واضحة على حسن العلاقة بين المسلمين و(الآخر) [2] وهى علاقة مودة وحوار وتفاهم حضارى منذ القرون الأولى للهجرة ـ كما وضح من النص.

١ـ بسم الله الرحمن الرحيم

٢ـ هذا ما اشترى يحنس بن شنوده بن بطاقس من مقطلنى ابنت شنودة

٣ـ بن أيوب وهما جميعًا من سكان ططون من كورة الفيوم حصتها

---

(١) د. جروهمان: أوراق البردى العربية بدار الكتب المصرية جـ١، ص١٥٣ـ١٥٧.

(٢) بدار الكتب المصرية أعدادًا من عقود البيع والشراء بين أهل الذمة احداهما يحمل رقم سجل (١٧٩٤ـ تاريخ) مؤرخ بشهر رجب سنة ٤٠٦هـ، وعقد آخر بنفس الدار برقم سجل (١٩٠٧ـ تاريخ) مؤرخ فى شهر جمادى الآخرة سنة ٣٤١هـ.. وغيرها من العقود.
انظر د. جروهمان: المرجع السابق جـ١، ص١٤٥ـ٢٠٣.

٤ـ من المنزل المشاع بينها وبينه وهو السدس منها أربع أسهم

٥ـ من أربع وعشرين سهمًا بحده وحدوده ومدخله ومخرجه وسفله.

٦ـ وعلوه داخل فيه وخارج منه حده القبلى منزل قفرى القمبشاوى

٧ـ وحده البحرى طريق المارة وحده الشرقى منزل جرمنه ابنت تميسه.

٨ـ وحده الغربى عرصه لورثة بنى أبشايه اشترى ذلك منها بدينار

٩ـ واحد عينًا ذهبًا وازن بالجديد من العين المعسولة قد قبضت

١٠ـ مقطلنى هذا الثمن تامًا وافيًا وتبرأت من هذه الحصة وسلمت

١١ـ ذلك إلى يحنس بن شنودة وحازه وملكه وصار ذلك مال من ماله

١٢ـ وملك من ملكه إن شاء باع وإن شاء بنا وإن شاء سكن ليس لمقطلنى

١٣ـ ابنت شنودة فى المنزل بعد هذا الكتاب دعوى ولا طلبة

١٤ـ بوجه من الوجوه ولا سبب من الأسباب باعت ذلك على شرط

١٥ـ بيع الإسلام وعهدته فما كان من علقه أو ابتاعه أو طارئ

١٦ـ بدين أو مستحق بميراث فإنفاذ ذلك وخلاصه على مقطلنى

١٧ـ ابنت شنوده بالغ ما بلغ من خالص مالها شهد على إقرار

١٨ـ مقطلنى ابنت شنودة بجميع ما فى هذا الكتاب بعد أن قرئ

١٩ـ عليها وعرفته وأقرت بفهمها فى صحة من عقلها وبدنها وجواز

٢٠ـ أمرها طايعة غير مكرهة ولا مجبرة طالبه راغبة وذلك فى المحرم

٢١ـ لسنة إحدى وأربعين وثلثماية شهد على ذلك

٢٢ـ شهد عبد الصمد بن يوسف بن هرون على إقرار مقطلنى ابنت شنودة

٢٣ـ بجميع ما فى هذا الكتاب وكتب شهادته بخطه وذلك فى تاريخه

٢٤ـ شهد اليسع بن عمر بن موسى على إقرار مقطلنى ابنت شنودة ببيع حصتها

٢٥ـ من المنزل الموصوف فى هذا الكتاب وكتب بخطه

٨ وثيقة عتق رقبة جارية «قرمية» وفق شريعة الإسلام

مؤرخة بشهر ربيع الأول سنة ٣٦٧هـ

حث الإسلام على تحرير الرقاب وجعلها فى مقدمة كفارات الذنوب، فقال تعالى فى كفارة القتل ﴿وَمَن قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَئًا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ﴾(١).

وقال تعالى فى كفارة الظهار:

﴿وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَآسَّا﴾(٢).

وفى كفارة اليمين قال تعالى:

﴿فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ﴾(٣).

.. وغيرها من الآيات القرآنية الكريمة.

ولقد عامل الإسلام الرقيق معاملة كريمة وشجع على الإحسان إليهم والعطف على ضعفائهم، فقال تعالى: ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾(٤).

ولقد حثّنا رسولنا الكريم ﷺ على معاملة الرقيق معاملة حسنة طيبة، بل إنه ﷺ جعلهم فى مصاف الإخوة، فقال فى الحديث الذى رواه البخارى فى صحيحه: «**هم إخوانكم جعلهم الله تحت أيديكم، فمن كان أخوه تحت يديه فليُطعمه مما يأكل، وليُلبسه مما يلبس، ولا تكلفوهم ما يغلبهم فإن كلفتموهم فأعينوهم عليه..**».

ومن هذا المنطلق كثرت نصوص عتق الرقاب فى وثائق البرديات العربية، وشملت

(١) القرآن الكريم ـ سورة النساء ـ آية رقم (٩٢).

(٢) القرآن الكريم ـ سورة المجادلة ـ آية رقم (٣).

(٣) القرآن الكريم ـ سورة المائدة ـ آية رقم (٨٩).

(٤) القرآن الكريم ـ سورة النساء ـ آية رقم (٣٦).

العديد من بلدان العالم العربى والإسلامى فى مصر والشام والعراق والحجاز واليمن وشمال أفريقيا وآسيا.. وغيرها.

حيث رغب العديد من المسلمين فى تحرير رقاب العبيد والإماء، إما كفارة للذنوب والآثام والمعاصى، وإما شكرًا لله تعالى كما ورد فى سورة البلد آيات من (١١-١٤) فى قوله تعالى: ﴿فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ ﴿١١﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ ﴿١٢﴾ فَكُّ رَقَبَةٍ ﴿١٣﴾ أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ﴾ صدق الله العظيم.

ويحتفظ العديد من المكتبات والمتاحف والجامعات الأوربية والأمريكية بنصوص وثائقية لأعداد وفيرة من عتق الرقاب كُتبت على البردى والكاغد والجلد، منها هذه الورقة المحفوظة فى متحف الفن الإسلامى بالقاهرة برقم سجل (P. Caire. Mus.no, 21191)[1] طولاها ٣١ × ١٥ سم، مؤرخة فى شهر ربيع الأول سنة ٣٦٧هـ/ أكتوبر ٩٧٧م تتعلق بعتق رقبة جارية من منطقة (القرم) بآسيا «وهى شبه جزيرة فى أوكرانيا بروسيا - حكمها العثمانيون فى الفترة من ١٤٧٥ - ١٧٧٤م»[2] الجارية سوداء اللون ضاربة إلى الحمرة، ثم نجد فى الوثيقة وصفًا بليغًا لهذه الجارية دون تجريح لكرامتها أو التعرض لسيرة حياتها بسوء، ثم نجد عبارات أخرى تتضمن تبرئة ذمة البايع من العيوب التى قد تُكشف فيها بعد بيعها وإبراء ذمته منها.

ولقد اتضح ذلك من خلال ما ورد فى السطرين (٩-١٠) ونصهما **(برئ البائع من سماجة يديها ورجليها وشيب رأسها وقلع أضراسها)**

ثم نجد فى السطر (٨) عبارة (شرط بيع الإسلام) - أى وفق شريعة الإسلام دون ضغط أو إكراه - ونص العبارة هكذا:

«تقابضا وتفرقا عن تراضٍ منهما بيع الإسلام وعهدته طهارة وسلامة».

أيضًا نجد فى نهاية نص الوثيقة أسماء(٧) شهود من المسلمين على تحرير وتوثيق هذا العقد، ما يدلل على عناية الإسلام بهذا النظام الإنسانى المهم تجاه (الآخر) سواء كان ذميًا أو كان عبدًا أو أمة.

(1) Yusuf Ragibi: Aetes de Vents d, esclaves et d'animaux d, Egypt medieval. Le Cairo. 2002 pp. 20-23.

(٢) قاموس المنجد فى اللغة والأعلام - بيروت - لبنان - ص٣٤٦، «الأعلام».

نص الوثيقة

١ـ وما توفيقى إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب الحمد لله أسأله رحمة من عنده وتوفيقًا

٢ـ ثبتت

٣ـ بسم الله الرحمن الرحيم

٤ـ فاطمة ابنة نصر المنجح من أحمد بن عمران الطحان

٥ـ ساكن بالموقف بالطحانين جارية فى يديه مقرة له

٦ـ بالملك تدعا توفيق قرمية سودا إلى الحمرة معتدلة

٧ـ القامة كشفا ناتية الجبهة بلجا عيناها فطسا غليظة

٨ـ الشفتين مثقوبة السفلى منها قصيرة الذقن منكسر

٩ـ الثمن خمسة وعشرون دينارًا معزية الجعل منها تقابضا

١٠ـ وتفرقا عن تراضٍ منهما بيع الإسلام وعهدته طهارة

١١ـ وسلامة برئ البائع من سماجة يديها ورجليها وشيب[١].

١٢ـ رأسها وقلع أضراسها وذلك يوم الخميس لثمان

١٣ـ خلون من شهر ربيع الأول سنة سبع وستين وثلثمائة

١٤ـ شهد بذلك أحمد بن سعد المعنى وعلى بن الغريب

١٥ـ وميمون بن نصر المؤدب وموسى بن إسحق الجوهرى

١٦ـ وحجاج بن أحمد وخلف بن خلفون وعلى بن بشر الصفدى

---

(١) هذا وصف كامل للجارية القرمية، فهى سوداء اللون ضاربة إلى حمرة، جسمها مستو أى ليس منحنيًا وبجبهتها نتوء، بلجا بمعنى (حاجبيها مفترقين) عينا فطسا بمعنى ضيقة عيونها متطامنة (وهى سمات وأوصاف ساكنى منطقة القرم فى آسيا حتى اليوم) شفتاها غليظتان ـ السفلى منها مثقوبة، ذقنها قصير (جميع هذه السمات والأوصاف هى من أبرز سمات مواطن شرق ووسط آسيا)، حتى اليوم.
انظر فى ذلك: الرازى: مختار الصحاح ص٦٢ـ٦٣، ص٥١٧، المنجد فى اللغة والأعلام: المرجع السابق ص٤٧، ص٥٨.

٩ـ استنجاد يهودى للإقامة بمصر نظرًا لضيق ذات اليد ـ فى وثيقة كُتبت بلغتين عربية وعبرية

هذه الوثيقة النادرة كُتبت على قطعة من ورق الكاغد، محفوظة فى معهد البرديات بجامعة هايدلبرج بألمانيا برقم سجل (PSR.Heid.Hebr. no, 13)، وهى من وثائق «الجنيزة اليهودية»[1] المعروفة، والوثيقة كُتبت بلغتين عربية وعبرية بأسلوب خط التحرير المخفف (الخط اللين) ـ أكثر الكلمات غير معجمة (منقطة)، ويلاحظ أن الكتابات (العربية والعبرية) مندمجة بعضها مع بعض فى السطور. تكشف نصوص هذه الوثيقة عن نص أدبى بليغ يعبر فيه كاتبه (عن ضياعه وتشرده) هو وأولاده ويأمل فى الدخول إلى مصر لأنه لا يجد من يحميه وينفق عليه، فلا يملك شيئًا من منافع المتقدمين. أيضًا يُلاحَظ أن مطلع الوثيقة (الخطاب) تضمنت أسلوبًا أدبيًا راقيًا، فنقرأ فيها هذه العبارة (**ولو وصفت ما عسى أن أصف من عظم شوقى وفرط ارتياحى**) أيضًا

---

(١) هى أوراق كُتبت على قطع من ورق البردى والكاغد والجلد، كُتبت فى العصور الوسطى، سُميت جنيزة من دفنها فى التربة ـ بمعنى (جنز) أى دفن ومنها الجنازة ـ وهى تتعلق بتاريخ اليهود ومعاملاتهم وسائر بيعهم وشرائهم، هذا بالإضافة لنصوص دينية من التوراة والتلمود ـ ومراسلاتهم ومكاتبتهم فيما بينهم، أيضًا تتعلق هذه النصوص بقوائم سلع ومنتجات وحاصلات زراعية وصناعات مختلفة. أيضًا هناك نصوص أدبية وعلمية.. وغيرها كثير ومتنوع. تسرب أغلب هذه الوثائق وتلقفتها أيدى نخبة من المستشرقين اليهود وأودعتها حاليًا العديد من المكتبات والمتاحف والجامعات فى أوروبا وأمريكا وروسيا.. وغيرها. من أبرزها:

١ـ مجموعة فركوفيتش (نسبة لأول من اقتناها وهو يهودى يدعى إبراهام فركوفيتش، وهو عالم روسى يهودى من طائفة القرائين وهى محفوظة حاليًا فى المكتبة الروسية العامة فى مدينة لننجراد. وصلت هذه المجموعة لهذه المدينة سنة ١٨٧٦م.

٢ـ مجموعة البوددليان بأكسفورد بإنجلترا ـ وصلت لهذه المكتبة سنة ١٨٩٠م.

٣ـ مجموعة إلكان ناثان أدلر ـ محفوظة حاليًا فى مكتبة السيمنار اليهودى بنيويورك ـ بأمريكا ـ تم تجميعها بداية من سنة ١٨٩٦م.

٤ـ مجموعة كمبردج المعروفة باسم (تايلور ـ شختر) وهى أكبر مجموعة أوراق جنيزة على الإطلاق محفوظة بمكتبة جامعة كمبريدج ـ بداية من سنة ١٨٩٦م ـ ويصل عدد أوراقها تقريبًا إلى (١٤٠,٠٠٠) مائة وأربعين ألف وثيقة تقريبًا. هذا بالإضافة إلى مجموعات أخرى عالمية فى أوروبا وأمريكا وروسيا ومصر.

انظر: د. محمد خليفة حسن، النبوى سراج: الجنيزا والمعابد اليهودية فى مصر ـ مركز الدراسات الشرقية ـ جامعة القاهرة ـ العدد (٩) سنة ١٩٩٩م ص١١ ـ ٥٨.

يُلاحَظ وجود كلمات عبرية كُتبت بلغة عربية (وبحروف وأبجدية عربية) كما نراه فى السطر الرابع ـ كذلك نقرأ فى السطرين (١٠، ١٢) عبارات تشير إلى ضيق ذات اليد من كاتب الرسالة ـ وربما كان يعمل ناسخًا لكتب التوراة ـ فقد ورد فى السطر (١٢) عبارة تفيد ذلك ونصها: «**إلا أن فى بيتى سفر تورا أكتبه لهم فإذا كمل إن شاء الله تبقاه طلعت أنا وأولادى..**».

أما عبارة ضيق ذات اليد والضياع والتشرذم فنقرؤها كما أشرت قبلُ فى السطرين (١٠ـ١٢) ونصها: «**وأيضًا لأنى معول على الدخول إلى مصر لأنى ـ ما أنا فى شىء بل أنا وأولادى ضايعين لأنى ما عندى شىء من منافع المتقدمين به ولا بوجه ولا بسبب وما من (مفر) إلا الطلوع إلى مصر..**». وهذا النص إن دل على شىء فإنما يدل على مدى سعة ورحابة ولاة أمور **المسلمين** فى رعاية وعناية **(الآخر)** من أهل الذمة.. وغيرهم إذا ما ضاقت بهم سبل العيش الكريم. فكانوا يسمحون **(للآخر)** بالعيش والإقامة والعمل فى مجتمعات **المسلمين**، وبسط حمايتهم عليهم والسهر على راحتهم ورعاية شئونهم، عملًا بقوله تعالى فى محكم التنزيل ﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾.. وقوله تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ﴾[1] [صدق الله العظيم]

لذلك كله كانت لولاة أمور المسلمين عبر تاريخهم الطويل رحابة صدر وسماحة خلق وعدالة وإنصاف ورعاية للآخرين من أهل الذمة، وخاصة إذا ما ضاقت بهم السبل وعجزوا عن العيش الكريم الآمن.

ويُلاحَظ أن الكتابة المنفذة فى نهاية الرسالة (كتابة الظهر) تتعلق بالشخص المرسل إليه الرسالة ويدعى **(الشيخ الجليل أبو سعيد بن سعد العطار** ـ أطال الله بقاءه وأدام عزه ورحماه وسموه وارتقاه).

أما الرسالة فصادرة من شخص يدعى (الحاخام رأس العتـــ....) ونص هذا الجزء (صديقه الحاخام رأس العتـــ....).

---

(١) القرآن الكريم ـ سورة الممتحنة ـ آية رقم (٧)، سورة التوبة آية (٦).

نص الرسالة

١ـ بسم الله الرحمن الرحيم

٢ـ لو وصفت ما عسى أن أصف من عظم شوقى وفرط ارتياحى إلى حضرة مولاى الشيخ

٣ـ الجليل (سيدى ومعلمى هبة الله العلامة اللبيب الذى لشهادته يفطن...)[١] ولائى له

٤ـ ودعائى وثنائى عليه (آناء الليل وأطراف النهار...)

٥ـ وتفوهى بذلك (بصبور على سيفر تورا... ثالوث وباحدا بسم)[٢] (وفى الأعياد)

٦ـ الله يستجيب منى فيه وفى كل من يخصه صالح الدعا ويحرس حياته ويرزقه

٧ـ (بالتوراة والفرائص ومؤدون..) وما قطعت المكاتبة

٨ـ عنه إلى تخفيف عليه وعلمى بكثرة أشغاله الله تعالى يقرنها بالسعادة والتوفيق

٩ـ ويعيد عليه جميع هذه الموعديم (بفرح)

١٠ـ (يقوموا بواجب السبت) وأيضًا لأنى معول على الدخول إلى مصر

١١ـ ما أنا فى شىء بل أنا وأولادى ضايعين لأنى ما عندى شىء من منافع

١٢ـ المتقدمين به لا بوجه ولا بسبب وما (من مفر) إلا الطلوع إلى مصر

١٣ـ إلا أن فى بيتى سفر تورا أكتبه لهم فإذا كمل إن شاء الله تبقاه طلعت

١٤ـ أنا وأولادى أسأل تقبله لا عدمنى الله إياه أن يعين لى على موضع

١٥ـ... ... .. ل... شهر من الزمان إلى أن أصيب موضع أسكنه

---

(١) كُتبت هذه العبارات باللغة العبرية بحروف عبرية، ترجمها لى صديقى الأستاذ جهلان إسماعيل، مدير عام إدارة البحث العلمى والدراسات العبرية بالمجلس الأعلى للآثار ـ بالقاهرة.

(٢) كُتبت هذه العبارات باللغة العبرية بحروف عربية كما هو واضح فى الصورة المرفقة.

١٦ـ (فأنتم قطعتم نفس الغريب إلى آخره..) لأنى أصيل

١٧ـ .. الأدب أن أشكو أكثر من هذا

١٨ـ .. وكثرة الدين والتقا الذى قد منح الله

١٩ـ .. وأعلم أيضًا فيه كتب الله

٢٠ـ (للأنبياء المقدسين من أمثالهم) ولأن أبيه

٢١ـ (ومن أغلب موافقات فقهاء الدين اليهودى) فلذلك جاء هو

٢٢ـ (المتصوفة ورجال الأعمال) ويبقى

٢٣ـ بأجل سلام من الشيخ أبو الفضل الشرائى

٢٤ـ مخصوص عنى أجمل سلام

كتابة الظهر الوثيقة: **Verso**

١ـ مولاى الشيخ الجليل أبو سعيد (هبة الله العلامة اللبيب) صديقه الحاخام رأس العتـــ....

٢ـ بن سعد العطار

٣ـ أطال الله وبقاه وأدام تأييده وعزه ورحماه وسموه وارتقاه.

١٠. التماس من زعيم طائفة اليهود بالشام إلى الملك الأفضل طالبًا منه تعيين اليهود فى وظائف الدولة سنة ٥٨٩هـ

هذا الالتماس النادر محفوظ حاليًا فى مكتبة جامعة كامبردج بإنجلترا ـ برقم سجل (Ts. Ar. 38-39)[1] من مجموعة أوراق الجنيزة (تايلور ـ ساختر) كُتب الالتماس على قطعة من ورق الكاغد طولاها ٢٥ × ٥ , ١٦ سم تضمن كتابتين عربية وعبرية ـ الكتابة العربية هى الغالبة بينما الكتابة العبرية وردت فى (٨) سطور فقط ـ تضمن هذا

(١) نشر الدكتور جيفرى خان أجزاء من نص هذه الرسالة فى دراسته التى تحمل عنوان:
Geoffrey Khan: A Document of A Jewish Leader in Syria issued By Al- Malik Al- Afdal Ali in 589 - A. H / 1193 A.D. Le Cairo. 1991. Pp. 97-100.

الالتماس معلومات بالغة الأهمية عن سماحة الدولة الإسلامية (فى العصر الأيوبى) مع طوائف اليهود المقيمين فى بلاد الشام (وهى تشمل حاليًا: الأردن، سوريا، لبنان، فلسطين..)، ويُلاحَظ أن رئيس طوائف اليهود فى الشام قد استهل رسالته بالثناء والوفاء للملك الأفضل نور الدنيا والدين والمظفر على بن الملك الناصر محيى دولة أمير المؤمنين. ثم يبدأ رسالته بذكر جانب من السير الحسنة والسنن النبيلة للدولة الأيوبية فى بلاد الشام وخاصة مع طوائف اليهود، كما ورد فى النص فى السطور (١٤ـ١٦) بهذه العبارة «قوانينك الرئاسية على جماعة اليهود وطوائفهم ـ الربانين والقراءين والسمرة بدمشق المحروسة وجميع الشام والسلط وعملها»..

ثم نقرأ فى سطور (الورقة الثانية) من الوثيقة عبارات تشير إلى الاستجداء والعطف من قِبل رئيس طوائف اليهود بالشام إلى الملك الأفضل ونصها: «**وإنصاف الضعيف والقوى والأخذ للفقير والغنى والنظر فى أحكام ما تقتضيه ملتك من تزويج ـ وإعذار وصدقة ورسم وإمضاء ذلك على...**». أيضًا وردت عبارة مهمة على لسان رئيس الطائفة اليهودية بالشام يجعل فيها الملك الأفضل (**إمامًا للطائفة اليهودية**) ربما تعنى تمام الخضوع والولاء لسلطان وهيبة الدولة، وإما إنها تعبر عن مدى ما يكنُّه اليهود لسلطان الدولة وقائدها وهى تمهيد[1] يسبق طلب الحاجة بضرورة الاستعوان باليهود فى أعمال ومهام وظائف الدولة فى بلاد الشام الشاسعة ومترامية الأطراف. ويؤيد هذا القول ما ورد بالنص فى السطور (٨ـ١٢) بهذه الصيغة «**فإنك أمام الطائفة كالرأس على الجسد أن صلح صلح ـ وإن فسد فسد فانظر فى أمورهم بنظرك الصائب وتوخ ما يحمد لك العواقب وهذب من يستوجب التهذيب وأدب من يستحق التأديب، واعمل بمن لم تستصلحه منهم..**» ولقد ختم رئيس طوائف اليهود بالشام رسالته الطويلة بمطلبه الذى مهَّد له فى مطلع الرسالة وبعد الثناء الطويل والتمجيد لقائد الدولة نجده فى السطرين (١٧ـ١٨) كتب يقول للملك هذه العبارة:

«**وتأخذهم به من التوقيف والترتيب والتثقيف والتهذيب ـ والولاة والأمراء والنواب وسائر الصحاب...**».

---

(١) يُلاحَظ وجود تمهيد أيضًا فى الرسالة السابق ذكرها والتى تتعلق بطلب الإذن والسماح للمعيشة والإقامة بمصر، والتى ورد بالسطور الأولى منها هذه العبارة أيضًا (لو وصفت ما عسى أن أصف من عظم شوقى وفرط ارتياحى إلى حضرة مولاى الشيخ الجليل.. ولائى له ودعائى له وثنائى عليه...).

وفى واقع الأمر أن هذه الوثيقة النادرة توضح العديد من مظاهر العدالة والإنصاف لأهل الذمة (اليهود) فى الدولة الإسلامية[1] فلم يرد فى الرسالة شكوى من ظلم أو بطش أو قهر أو غدر أو تنكيل بطوائف اليهود فى بلاد الشام. بل إن رئيس الطائفة خطَّ بيده هذه الرسالة بلغتين عربية (وهى الغالبة) ثم بلغة عبرية فى ثمانية سطور يعبر له فيها عن مدى ما يكنُّه طوائف اليهود فى بلاد الشام من محبة وتقدير واحترام ومهابة للدولة ممثلة فى قائدها (الملك الأفضل نور الدين)، بل يطلب منه ويلتمس الموافقة على تعيين عدد من طوائف وأبناء اليهود فى سلك الدولة عمالًا وموظفين وكتابًا فى دواوين الدولة.. وغيرها.

ثم نجد رئيس الطائفة يرغب فى أن تتولى الدولة تهذيب وتثقيف وترتيب وتوقيف أبناء اليهود الذين يستحقون العقوبة والذين لا يطيعون أوامر الدولة، وهذا ليس بضغط من الملك ولكن رغبة فى أن يكون ولاء اليهود الكامل والطاعة المطلقة لهم لكيان الدولة الأيوبية وانخراطهم فى الأعمال الديوانية، وهو ما يمثل مشاركة (الآخر) واندماجه فى مجتمع المسلمين فى القرن ٦هـ/ ١٢م.

نص الالتماس

وجه الورقة الأولى[2]

١ـ الملك الأفضل نور الدنيا والدين

٢ـ المظفر على بن الملك الناصر محيى دولة أمير المؤمنين

٣ـ بسم الله الرحمن الرحيم

٤ـ من حميد سننا ومهيد سننا وقويم سيرنا

٥ـ وكريم حميدنا الذى إزددنا به تميزًا وتمييزًا

٦ـ وبلغنا به إلى غاية المجد سبقًا وتبريزًا

---

(١) تشرفت بإلقاء محاضرة عامة عن هذا الالتماس بمركز الدراسات البردية والنقوش بجامعة عين شمس القاهرة ـ يوم الأربعاء الموافق ١٠/ ٣/ ٢٠٠٤.

(٢) الوثيقة كانت مطوية عدة طيات كما هو واضح فى الصورة المرفقة ـ وعلى ذلك فهى تنقسم إلى ورقتين كل ورقة بها وجه وظهر. أما النص العبرى المكون من (٨ سطور) فيقع فى نهاية ظهر الورقة الثانية.

٧ـ ونازح به ذكرنا فى الآفاق وصار عظيم

٨ـ الأندية وتميم الرفاق وضعنا الضايع

٩ـ فى أزكى مغرسها وافرازنا الأيادى فى

١٠ـ أكرم معرسها وايلا أو ليناينا وخدم دولتنا

١١ـ والمهاجرين إلى خدمتنا والمنتظمين فى سلك

١٢ـ خواصنا الذى تقدمت عندنا خدمهم وتأكدت

١٣ـ لدينا ذممهم بما يسبغ عليهم عطا الإنعام

١٤ـ ويسبغ لديهم عطاء الإحسان والإكرام ويزيدهم

١٥ـ فى العلا قوة بصيرة وشدة قريرة وترفع

١٦ـ بين أنظارهم رتبهم ويوصف بذوى الإخلاص

(كظهر الورق الأولى)

١ـ والاختصاص سنيهم ولما كنت أيها الشيخ

٢ـ الرئيس الأجل الأوحد الأخص ثقة الملك

٣ـ سديد الدولة معتمد السلاطين فخر الكفاه جمال الرؤساء

٤ـ أبا المعالى عبدالله بن الشيخ الثقة أبى الرضا بن فرح

٥ـ أدام الله حراستك وتمكينك وتوفيقك وتأييدك

٦ـ قد تأيد لدينا مكانك وموضعك وتأكد عندنا

٧ـ محلك وموقعك وشكرت مهاجرتك إلينا

٨ـ ومناصحتك فى خدمتنا أوجبت دواعيك القديمة

٩ـ والحديثة الحدب بصنعك إلى الرتبة اللايقة بك

١٠ـ والاقراع بك المنزلة المطابقة لمنصبك والتمييز

١١ـ لك على أقرانك وأندادك وتأهيلك لما يبين

١٢ـ عن جميل المرأى فيك واعدادك ويبقى لك على

١٣ـ تمادى الزمان أثره وتستمر لعقبك مفخرة

١٤ـ قوانينك الرئاسية على جماعة اليهود وطوائفهم

١٥ـ الربانين والقرائين والسمره بدمشق المحروسة وجميع الشام

١٦ـ والسلط وعملها وقدمناك على أهل ملتك

١٧ـ ومقدمى طائفتك كل من كان منهم من دانٍ وقاصٍ

١٨ـ وعام وخاص فتول ذلك قرير العين

وجه الورقة الثانية

١ـ منشرح الصدر ماضى العزم قوى الأزر

٢ـ معتمد الأجر على عادة من تقدمك فى هذه

٣ـ الخدمة من إمضاء الأحكام والتسوية فى الحق بين الخاص والعام

٤ـ وإنصاف الضعيف والقوى والأخذ للفقير والغنى

٥ـ والنظر فى أحكام ما تقتضيه ملتك من تزويج

٦ـ وإعذار وصدقة ورسم وإمضاء ذلك على

٧ـ الوجوه الواجبة لها المنصوص عليها

٨ـ فإنك إمام الطائفة كالرأس على الجسد إن صلح صلح

٩ـ وإن فسد فسد فانظر فى أمورهم بنظرك

١٠ـ الصائب وتوخ ما يحمد لك العواقب وهذب

١١ـ من يستوجب التهذيب وأدب من يستحق التأديب

١٢ـ واعمل بمن لم تستصلحه منهم بما هو مقصد له وأبق

١٣ـ من تثق به وتسكن إليه وتعتقد فى عقيدته عليه

١٤ـ وسبيل هذه الطوائف أن يعرفوا محلك ويسمعوا

١٥ـ قولك ويتقلدوا أثرك وهديك ويتقبلوا أمرك

١٦ـ ونهيك ويعملوا ما تشير إليه وتنص عليه وتأخذهم

١٧ـ به من التوقيف والترتيب والتثقيف والتهذيب

١٨ـ والولاة والأمراء والنواب وسائر الأصحاب

ظهر الورقة الثانية **Verso**

١ـ أعزهم الله يعتمدون إسعادك

٢ـ وإنجادك والعامل بالمعونة وإمدادك

٣ـ والتوقيع الأشرف فى أعلاه حجة

٤ـ بمقتضاه إن شاء الله وكتب بمثال

٥ـ كريم فى جمادى الأولى سنة تسع وثمنين وخمسمائة

٦ـ والحمد لله وحده

٧ـ علن فى رجب سنتها

ترجمة النص العبرى

١ـ ملك من الله

٢ـ نثر إلى موسى منه

٣ـ مثل الفصح «عيد يحتفل به اليهود لذكرى خروج بنى إسرائيل من مصر فى الأيام من ١٥ـ٢١ من شهر نيسان العبرى»

٤ـ أ ب ج د هـ و ز

٥ـ ح ط ى ك ل م

٦ـ ن س ع ف

٧ـ ص ق ر ش ت

٨ـ حزيق (تثبت...) فعل أمر[1]

١١ـ السماح لليهود بترميم معبد يهودى فى القدس الشريف

أختتم هذه الدراسة بذكر وثيقة أخرى صدرت عن مفتى القدس الشريف (الشيخ نجم الدين) لبعض اليهود فى ترميم معبدهم الذى تهدم فى القدس. وهى وثيقة مهمة ونادرة ومحفوظة حاليًا فى (جمعية اليهود السفارديم)[2] فى القدس بفلسطين المحتلة برقم سجل (٢٥) تحمل خاتم وتوقيع مفتى القدس الشيخ نجم الدين وهى تكشف عن مدى سماحة المسلمين وولاة أمورهم وقضاتهم وأفراد وعامة الشعب مع الآخر من أهل الذمة ـ فسمحوا لهم ببناء وترميم معابدهم وأديرتهم وكنائسهم لأجل ممارسة شعائرهم على الوجه الأمثل، دون تدخل فى شئونهم أو الضغط عليهم أو إرهاقهم بما لم يستطيعوه ـ بل هناك عدالة وإنصاف ودعم مالى بل وتوظيفى فى وظائف الدولة وإقامة فى المدن الإسلامية وغيرها من الأمور التى وجب علينا أن نعيها جيدًا والعمل بها فى تعاملنا مع (الآخر) حتى تستقر الأمور وتنصلح الأحوال.

والله الموفق

نص الوثيقة

١ـ الله ولى الهداية والتوفيق

٢ـ سالك السلوك إلى أقوم طريق

٣ـ قول علماء المذهب الحنفى

٤ـ فى كنيسة أهل الذمة من طائفة اليهود قديمة ملاصقة لها مكان استعدوه

٥ـ ... ما تهدم ملاصقة من الكنيسة فهل يعاد المنهدم أم لا ـ الجواب

٦ـ الحمد لله وحده

---

(١) أيضًا أشكر صديقى الأستاذ جهلان إسماعيل ـ مدير عام وحدة البحوث والدراسات العبرية بالمجلس الأعلى للآثار ـ الذى تفضل مشكورًا وقرأ لى هذا النص العبرى.

(٢) إبراهام حاييم: التطورات التى مرت على طائفة اليهود السفارديم ـ بحث بمجلة مركز الدراسات الأكاديمية الإسرائيلى فى القاهرة ـ العدد (٢١) يوليو ١٩٨٩م، ص٢٣.

٧ـ من ممهد الكون استمد التوفيق والعون

٨ـ قال فى الكنز ولا تحدث بيعة ولا كنيسة فى دارنا

٩ـ ويعاد المنهدم قال فى البحر فى شرح قوله ويعاد

١٠ـ المنهدم ما ملخصه هذا مفيد لشيئين الأول عدم

١١ـ التعرض للقديمة والثانى جواز بناء ما انهدم من القديمة

١٢ـ لأن الأبنية لا تبقى دائمًا، كما أقرهم الأمام فقد عهد

١٣ـ إليهم الاعادة وأشار إلى أنه لا تجوز الزيادة على

١٤ـ البناء الأول كما فى الحاشية ونقل المحقق خير الدين

١٥ـ فى حاشيته عن البحر أنهم لو هدموها بأنفسهم تعاد لكن كما تقدم

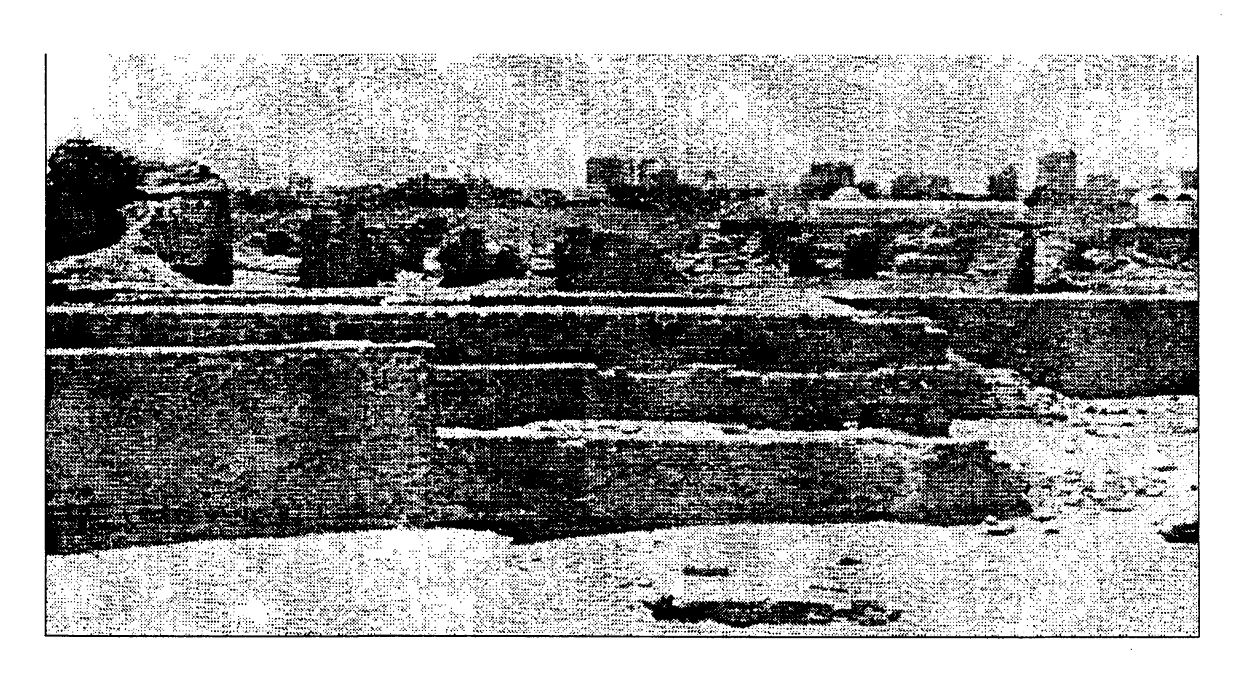
١٦ـ والمسألة فى شأن المتون والله سبحانه وتعالى

١٧ـ أعلم

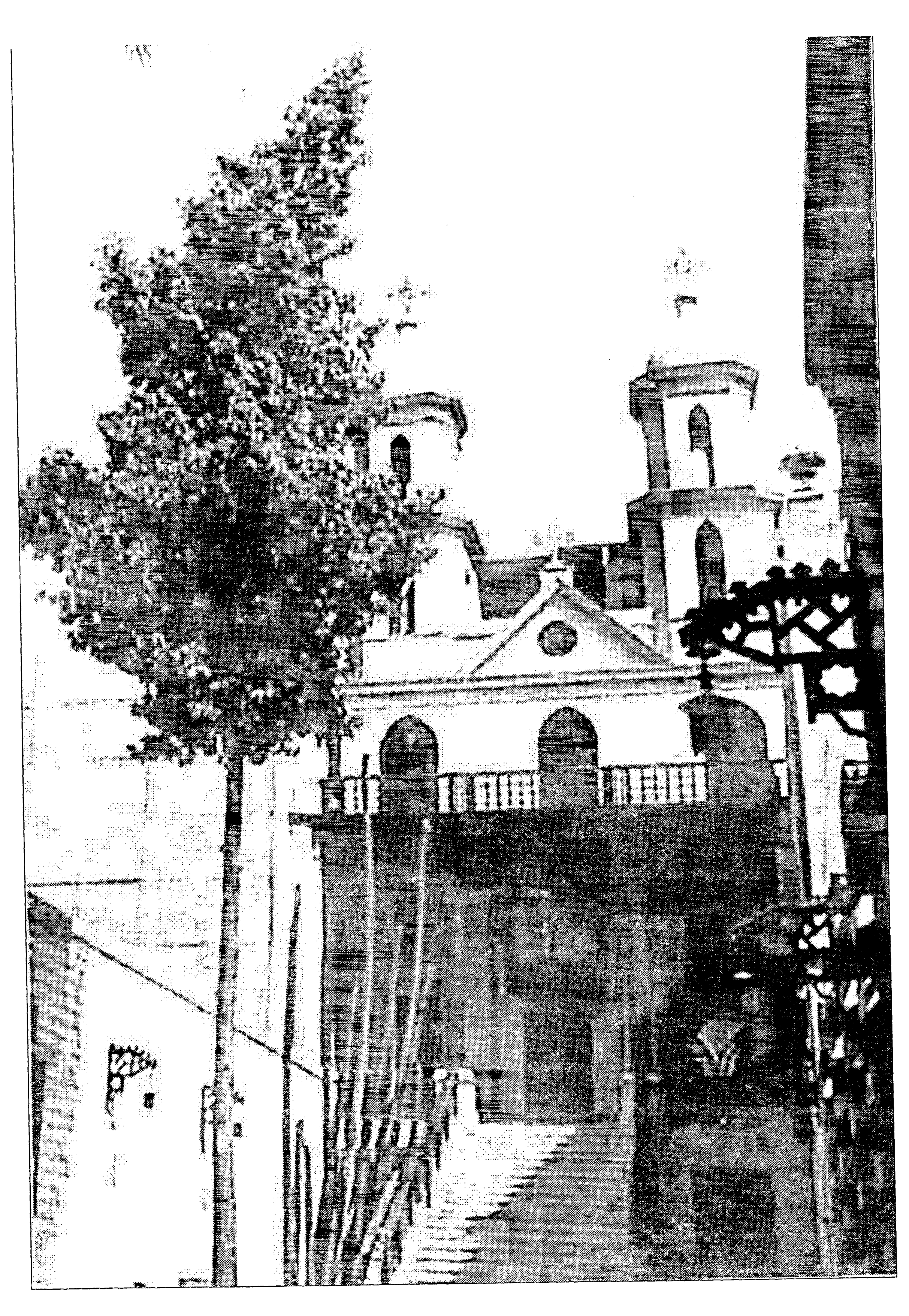
١٨ـ الشيخ نجم الدين



مسجد «عمرو بن العاص» بمدينة الفسطاط (حي مصر القديمة حاليا).



بقايا وأطلال مدينة الفسطاط القديمة.



الكنيسة المعلقة بحي مصر القديمة، والمجاورة لمسجد «عمرو بن العاص»، في تعانق فريد بين معالم الدين الإسلامي والدين المسيحي.

المصادر والمراجع العربية والأجنبية

أولا: المصادر العربية

١ـ ابن الأثير «أبو الحسن على بن أبو الكرم محمد بن عبد الكريم الشيبانى» ت٦٣٠هـ/ ١٢٣٢م:

ـ الكامل فى التاريخ ـ طبعة بيروت ١٩٦٥م.

ـ أسد الغابة فى معرفة الصحابة.

٢ـ ابن البيطار «ضياء الدين عبد الله أحمد»: الجامع لمفرادت الأدوية والأغذية جـ١ـ طبعة القاهرة سنة ١٢٩٠هـ/ ١٨٧١م.

٣ـ البخارى (أبو عبدالله محمد بن إسماعيل): صحيح البخارى ـ مطبعة بولاق بالقاهرة ١٣١١ـ١٣١٢هـ.

٤ـ البلاذرى (أحمد بن يحيى بن جابر) ت٢٧٩هـ/ ٨٩٣م: فتوح البلدان ـ طبعة ليدن بهولندا سنة ١٨٦٦م ـ طبعة دار الكتب العلمية ببيروت (دون تاريخ)

٥ـ البيرونى (أبو الريحان محمد بن أحمد): تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة فى العقل أو مرذولة ـ طبعة ليبزج سنة ١٩٢٥م.

٦ـ البيهقى (إبراهيم بن محمد) ـ من علماء القرن الخامس الهجرى/ الحادى عشر الميلادى: المحاسن والمساوئ طبعة القاهرة ١٩٠٦م.

٧ـ الثعالبى (أبو منصور عبد الملك بن محمد): لطائف المعارف ـ تحقيق: إبراهيم الإيبارى وحسن كامل الصيرفى، طبع دار إحياء الكتب العربية بالقاهرة.

٨ـ الجاحظ (أبو عثمان محمد بن بحر):

ـ التبصر بالتجارة ـ تحقيق السيد حسن حسنى عبد الوهاب ـ طبع المطبعة الرحمانية بالقاهرة ١٩٣٥م

ـ البيان والتبيين ـ تحقيق: عبد السلام محمد هارون، القاهرة ١٩٤٨ـ ١٩٥٠م.

الحلبى (على بن برهان الدين) ت: ١٠٤٤هـ: السيرة الحلبية ـ طبع القاهرة سنة ١٣٢٠هـ، جـ١.

٩ـ ابن خلدون (عبد الرحمن بن محمد) ت: ٨٠٨هـ/ ١٤٠٦م.

(أ) المقدمة ـ المطبعة البهية بالأزهر القاهرة ١٢٨٣هـ: طبعة دار الكتاب اللبنانى ١٩٥٦م.

(ب) العبر وديوان المبتدأ والخبر ـ طبعة القاهرة ١٨٢٤هـ، طبعة دار القلم ـ بيروت ـ لبنان سنة ١٩٥٦م.

١٠ـ ابن خلكان (أبو العباس أحمد بن محمد): وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: محمد محيى الدين عبد الحميد، مكتبة النهضة المصرية بالقاهرة ١٩٤٨ـ ١٩٤٩م.

١١ـ ابن دقماق (إبراهيم بن محمد بن أيد مر العلائى) ت: ٨٠٩هـ/ ١٤١١م: الجوهر الثمين فى سير الخلفاء والملوك والسلاطين ـ تحقيق: د. سعيد عبد الفتحاح عاشور ـ مركز البحث العلمى.

كلية الشريعة ـ جامعة أم القرى ـ مكة المكرمة ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.

١٢ـ السيوطى (عبد الرحمن بن أبى بكر) ت: ٩١١ هـ/ ١٥١٣م:

(أ) حسن المحاضرة فى أخبار مصر والقاهرة ـ تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم ـ مطبعة الحلبى بالقاهرة ١٣٢١ـ١٣٢٧هـ.

(ب) الإتقان فى علوم القرآن، طبع كلكتا بالهند. وطبع مطبعة الشيخ عثمان عبد الرازق بالقاهرة ١٣٠٦هـ.

١٣ـ الاصطخرى (إبراهيم بن محمد الفارسى): المسالك والممالك ـ تحقيق

محمد جابر عبد العال الحينى ـ طبع وزارة الثقافة والإرشاد القومى بالقاهرة ١٩٦١م.

١٤ـ الطبرى (أبو جعفر محمد بن جرير) ت: ٣١٠هـ/ ٩٢٤م: تاريخ الرسل والملوك ـ تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم دار المعارف بالقاهرة ١٩٦٣مـ ١٩٦٤م، طبع ليدن بهولندا ١٨٧٩ـ١٩٠١م.

١٥ـ ابن عبد الحكم (عبد الرحمن بن عبدالله) ت: ٢٥٧هـ/ ٨٧١م: فتوح مصر وأخبارها ـ تحقيق: شارل تورى ـ طبع ليدن بهولندا ١٩٢٠م ـ تحقيق: محمد صبيح ـ وطبع ونشر دار التعاون بالقاهرة.

١٦ـ عبدالله بن عبد الحكم (عبدالله بن عبد الرحمن بن عبد الحكم) من علماء القرن الثالث الهجرى/ التاسع الميلادى: سيرة عمر بن عبد العزيز ـ على ما رواه الإمام مالك بن أنس وأصحابه ـ تحقيق: أحمد عبيد ـ طبع سلسلة عالم الكتب، الطبعة السادسة ـ بيروت ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م.

١٧ـ ابن عبد ربه الأندلسى (أبو عمرو أحمد بن محمد): العقد الفريد ـ تحقيق: أحمد أمين وآخرين ـ طبع لجنة التأليف والترجمة والنشر بالقاهرة ١٩٤٠ ـ ١٩٥٢م.

١٨ـ ابن الفقيه (أبو بكر أحمد بن محمد الهمذانى): مختصر كتاب البلدان ـ طبع ليدن ـ مطبعة بريل ١٣٠٢هـ/ ١٨٨٥م.

١٩ـ الفيروز آبادى (مجد الدين محمد بن يعقوب): القاموس المحيط ـ الطبعة الثالثة ـ المطبعة الأميرية بالقاهرة ١٣٠١ ـ ١٣٠٢هـ.

٢٠ـ القلقشندى (أبو العباس أحمد بن على) ت: ٨٢١هـ / ١٤٢٣م: صبح الأعشى فى صناعة الإنشا ـ طبع وزارة الثقافة والإرشاد القومى بالقاهرة ١٩١٣ ـ ١٩٢٢م، دار الكتب القومية بالقاهرة ١٩١٣ ـ ١٩١٨م.

٢١ـ ابن كثير (إسماعيل بن عمر) ت: ٧٧٤هـ / ١٣٧٦م: البداية والنهاية ـ طبع بيروت ـ ١٩٦٦م.

٢٢ـ الكندى (ابن عمر محمد بن يوسف الكندى المصرى) ت: ٢٥٠هـ/ ٩٦٤م:

(أ) الولاة والقضاة طُبع بمطبعة الآباء اليسوعيين بيروت ١٩٠٨م.

(ب) فضائل مصر ـ مخطوط بدار الكتب المصرية بالقاهرة رقم ٤٢٢ـ٧٥٣ تاريخ.

٢٣ـ أبو المحاسن (جمال الدين يوسف بن تغرى بردى) ت٨٧٤هـ/ ١٤٧٦م: النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة، طبع دار الكتب بالقاهرة ١٩٢٩م.

٢٤ـ المقدسى (شمس الدين أبو عبدالله المقدسى) ت: ٣٨٧هـ/ ١٠٠١م: أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم نشر جوبى ـ طبع ليدن ١٨٧٦م.

٢٥ـ المقريزى (تقى الدين أحمد بن على) ت: ٨٤٥هـ/ ١٤٤٧م:

(أ) المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار جـ١، جـ٢ ـ طبعة بولاق بمصر ١٢٧٠هـ/ ١٨٥١م ـ طبعة دار صادر بيروت (دون تاريخ).

(ب) إغاثة الأمة بكشف الغمة ـ نشر الدكتور محمد مصطفى زيادة ود. جمال الشيال، الطبعة الأولى بالقاهرة ١٩٤٠ ـ ١٩٥٧.

(جـ) النقود القديمة الإسلامية ـ نشرة الأب إنستاس مارى الكرملى فى كتابه «النقود العربية وعلم النميات» طبع بيروت.

٢٦ـ ابن منظور (جمال الدين محمد) ت: ٧١٦هـ/ ١٣١٨م: لسان العرب ـ طبعة بولاق بالقاهرة ١٣٠٠هـ/ ١٨٨١م.

ثانيًا: المراجع العربية

١ـ د. إبراهيم العدوى:

(أ) الإمبراطورية البيزنطية والدولة الإسلامية ـ طبع القاهرة ١٩٥١م.

(ب) ولاية قرة بن شريك على مصر ـ فى ضوء أوراق البردى، المجلة التاريخية المصرية ـ القاهرة ١٩٧٥م.

(جـ) مصر الإسلامية ـ مقوماتها العربية ورسالتها الحضارية ـ مكتبة الأنجلو المصرية ـ القاهرة ١٩٧٥.

٢ـ إبراهيم شبوح: بعض ملاحظات على خط البرديات المصرية المبكرة «أبحاث الندوة الدولية لتاريخ القاهرة» جـ١ ـ دار الكتب المصرية بالقاهرة ١٩٧٠م

٣ـ د. أحمد الشامى: التطور التاريخى لعقود الزواج فى الإسلام ـ مركز الدراسات البردية ـ جامعة عين شمس بالقاهرة ١٩٨٣م

٤ـ د. أحمد فؤاد سيد: عدالة الحكم الإسلامى لمصر فى عصر الولاة ـ مركز الدراسات البردية ـ جامعة عين شمس بالقاهرة مجلد (٤٩) ١٩٨٧م.

٥ـ د. أحمد مختار عمر: تاريخ اللغة العربية ـ الهيئة العامة للتأليف والنشر بالقاهرة ١٣٩٠هـ/ ١٩٧٠م.

٦ـ آدم ميتز: الحضارة الإسلامية فى القرن الرابع الهجرى ـ ترجمة محمد عبد الهادى أبو ريدة ـ الطبعة الثانية ـ لجنة التأليف والترجمة والنشر بالقاهرة ١٩٤٧م.

٧ـ أدولف جروهمان:

(أ) أربع محاضرات عن الأوراق البردية العربية ـ ترجمة الأستاذ توفيق اسكاروس ـ طبع دار الكتب المصرية بالقاهرة ١٩٣٠م.

(ب) أوراق البردى العربية بدار الكتب المصرية بالقاهرة ـ ترجمة د. حسن إبراهيم ج١، ج٢، ج٣ ـ طبع دار الكتب المصرية بالقاهرة ١٩٦٥م.

(جـ) بحوث فى الخطوط الإسلامية والتاريخ الحضارى ـ جـ١ طبع الأكاديمية النمساوية العلمية ـ فيينا ١٩٦٧م.

٨ـ ألفريد لوكاس: المواد والصناعات عند قدماء المصريين ـ ترجمة زكى إسكندر وزكريا غنيم ـ القاهرة ١٩٥٨م.

٩ـ د. جواد على: تاريخ العرب قبل الإسلام ـ طبع المجمع العلمى العراقى ـ بغداد ١٩٥٣م.

١٠ـ جورجى زيدان: تاريخ التمدن الإسلامى ـ مراجعة د. حسين مؤنس ـ طبع دار الهلال بالقاهرة ١٩٥٨م.

١١ـ د. حسن الباشا: دراسات فى الحضارة الإسلامية ـ دار النهضة العربية بالقاهرة ١٩٧٦م.

١٢ـ د. حسن رجب: أ. البردى:

(أ) سلسلة اقرأ ـ العدد رقم ٤٦٣ ـ القاهرة ١٩٨١م.

(ب) أمجاد مصر الهندسية فى العهود القديمة ـ مجلة المهندسين القاهرة ١٩٧٩.

١٣ـ رئيف جورج خورى: أهمية مصر الثقافية فى القرون الثلاثة الأولى للهجرة استنادًا إلى أقدم ما وصلنا من البرديات التاريخية والإدارية العربية المحفوظة فى مكتبة جامعة هايدلبرج ـ بألمانيا ـ بحث بمركز الدراسات البردية ـ جامعة عين شمس القاهرة ١٩٨٧م.

١٤ـ د. زكى محمد وعبد الرحمن زكى: فى مصر الإسلامية مطبعة المقتطف بالمقطم ـ القاهرة ١٩٣٧م.

١٥ـ د. سعيد مغاورى محمد:

(أ) الكتابة العربية فى مصر منذ الفتح العربى حتى نهاية الولاة على البرديات والسكة الإسلامية ـ دراسة مقارنة ـ رسالة ماجستير ـ كلية الآثار ـ جامعة القاهرة ١٩٨٩م.

(ب) نماذج من الأساليب الكتابية العربية على بعض أوراق البردى خلال القرون الأولى للهجرة.

(جـ) الأساليب الفنية لبعض كتب الدواوين فى العصر الإسلامى من خلال وثائق بريدى القرن الأول الهجرى (هذان البحثان الأخيران أُلقيا فى المؤتمر الدولى لعلماء البردى الذى عُقد فى دورته التاسعة عشرة فى القاهرة بجامعة عين شمس بالتعاون مع مركز الدراسات البردية فى القاهرة ما بين ٢ـ٩ / ٩/ ١٩٩٩م).

ـ الألقاب والحرف والوظائف فى ضوء البرديات العربية ـ دراسة أثرية حضارية ـ رسالة دكتوراه ـ كلية الآثار ـ جامعة القاهرة ١٩٩٤ ـ طبع الهيئة العامة لدار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة فى ثلاثة مجلدات سنة ٢٠٠٠م.

١٦ـ سليم حسن: الأدب المصرى القديم أو أدب الفراعنة ـ طبع القاهرة ١٩٤٥م.

١٧ـ سفندال: تاريخ الكاتب من أقدم العصور إلى الوقت الحاضر ـ ترجمة محمد صلاح الدين حلمى ـ طبع المؤسسة القومية للنشر والتوزيع ـ القاهرة ١٩٥٨م.

١٨ـ د. سيد إسماعيل كاشف:

(أ) مصر فى فجر الإسلام ـ الطبعة الثانية ـ دار النهضة العربية بالقاهرة ١٩٧٠م

(ب) مصر فى عصر الولاة ـ مكتبة النهضة المصرية بالقاهرة ١٩٧١م.

١٩ـ د. عائشة عبد الرحمن: ذخائر البردى فى مكتبة فيينا «ألبرتينا» ـ طبع باللغة العربية بعناية المستشرق شرباتوف موسكو ١٩٦٦م.

٢٠ـ د. عبد الستار الحلوجى: المخطوط العربى ـ الطبعة الثانية ـ مكتبة مصباح ـ جدة ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م.

٢١ـ عبد العزيز الدالى: البرديات العربية ـ مكتبة الخانجى بالقاهرة ـ ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٣م.

٢٢ـ د. ناصر الدين الأسد: مصادر الشعر الجاهلى وقيمتها التاريخية ـ طبع دار المعارف بالقاهرة ١٩٦٢م.

٢٣ـ د. نعمات احمد فؤاد: حين تكتب البرديات التاريخ الصحيح مركز الدراسات البردية جامعة عين شمس بالقاهرة ١٩٨٣م.

٢٤ـ د. هنرى أمين عوض: بردية إسلامية من فجر الإسلام ـ مركز الدراسات البردية جامعة عين شمس بالقاهرة ١٩٨٢م.

٢٥ـ وول ديورانت: قصة الحضارة ـ ترجمة محمد بدران ـ لجنة التأليف والترجمة والنشر بالقاهرة ١٩٤٩م.

ثالثا: المراجع الأجنبية

1- Abbout (A): The K urrh papyri from Aphrodito in the oriental institute. Chicago 1938.

- Arabic marriage contrcts among copts ZDMG 1941.

- The Rise of the nother Arabic Script p.I, Arif A - Arabic Ibidary Kuficin in Africa - London 1967.

2- Abu Salih. The Armenia, ed B.T. A, Evetts the churches and monasteries of Egypt Oxford 1895.

3- Becker - C.H, papyri Schott - Reinhardt - I Heidelberg 1906- Neue Arabische Papyri des Aphrodito Fundes der Islam. Band II. Strasburg 1911.

4- Bell. (H-I) The Administration of Egypt under the Umayyad Khalifis (Byzantinsch - Ieitshift 1928 - Translations of the Greek Aphrodito papyri in the British Museum (Der Islam -1928).

5- Curm (W.E), Acoptic Dictionary Oxford 1939.

6- David (weill J) le Djami d, bn wahb (texte Palnches et commentaire) I.F.A.O. Cairo 1939 - 1948.

7- Encyclopedia of Islam French - English.

8- Grohmann. (A), Aprcu de papyrologie Arabe etude de papyrologie Societe Royal Egyptienne de papyrologie. Ome I (le Caire 1932).

- From the world Arabic papyri vol I Cairo 1934.

- Corpus papyrorum Raieneri archiducis Austria - Wien 1924.

9- Hassan Ragab, contribution «Etude de cyperus papyrus let a sa trans formation en support de L'ecriture (papyrus des Anciens) These de doctorat 1979.

10- Hunger (H) Aus der vorgeschichte der papyrus summlung der

Osterreichischen Nationalbibliothek Briefe Theoor Grafs. J. V. Karabacek Erzherzog Rainer. Wien 1962.

11- Karabacek (j) papyrus Erzherzog Rainer Fuhrer durch die Ausstellung Vienna. Nationalbibliothek. Wien 1897.

- Das Arbische papier. Wien 1887.

12- Mohamed Hamid ullah. Some Arabic inscription of Medinah of Early years of Higrah Islamic culture 1939.

ثالثاً: المراجع الأجنبية

1- Abbout (A): The K urrh papyri from Aphrodito in the oriental institute. Chicago 1938.

- Arabic marriage contrcts among copts ZDMG 1941.

- The Rise of the nother Arabic Script p.I, Arif A - Arabic Ibidary Kuficin in Africa - London 1967.

2- Abu Salih. The Armenia, ed B.T. A, Evetts the churches and monasteries of Egypt Oxford 1895.

3- Becker - C.H, papyri Schott - Reinhardt - I Heidelberg 1906- Neue Arabische Papyri des Aphrodito Fundes der Islam. Band II. Strasburg 1911.

4- Bell. (H-I) The Administration of Egypt under the Umayyad Khalifis (Byzantinsch - Ieitshift 1928 - Translations of the Greek Aphrodito papyri in the British Museum (Der Islam -1928).

5- Curm (W.E), Acoptic Dictionary Oxford 1939.

6- David (weill J) le Djami d, bn wahb (texte Palnches et commentaire) I.F.A.O. Cairo 1939 - 1948.

7- Encyclopedia of Islam French - English.

8- Grohmann. (A), Aprcu de papyrologie Arabe etude de papyrologie Societe Royal Egyptienne de papyrologie. Ome I (le Caire 1932).

- From the world Arabic papyri vol I Cairo 1934.

- Corpus papyrorum Raieneri archiducis Austria - Wien 1924.

9- Hassan Ragab, contribution «Etude de cyperus papyrus let a sa trans formation en support de L'ecriture (papyrus des Anciens) These de doctorat 1979.

10- Hunger (H) Aus der vorgeschichte der papyrus summlung der

Osterreichischen Nationalbibliothek Briefe Theoor Grafs. J. V. Karabacek Erzherzog Rainer. Wien 1962.

11- Karabacek (j) papyrus Erzherzog Rainer Fuhrer durch die Ausstellung Vienna. Nationalbibliothek. Wien 1897.

- Das Arbische papier. Wien 1887.

12- Mohamed Hamid ullah. Some Arabic inscription of Medinah of Early years of Higrah Islamic culture 1939.



القسم الثانى

أولًا: التعايش الحضارى بفسطاط مصر زمن الخلافة الراشدة

ثانيًا: أهمية البرديات العربية بوصفها مصدرًا من مصادر التاريخ والحضارة الإسلامية

ثالثًا: الحضارة الإسلامية فى ضوء دراسات المستشرقين للبرديات العربية فى أوروبا

رابعًا: ألقاب رجال الدين المسيحى من خلال نصوص البرديات العربية



أولًا: التعايش الحضارى بفسطاط مصر زمن الخلافة الراشدة

يتمثل هذا التعايش الحضارى النموذجى فى منطقة مصر القديمة التى اتخذها عمرو بن العاص مستقرًا لمدينته الإسلامية الأولى فى مصر وأفريقيا فأنشأ مدينة الفسطاط وأسس بها مسجده الجامع الذى مازال يحمل اسمه حتى اليوم، والذى أُطلق عليها أيضًا «تاج الجوامع»، «الجامع العتيق»، وقف على تحرير قبلته جمع من الصحابة رضوان الله تعالى عليهم، ذكرة المؤرخ ابن «دقماق» بقوله: «إمام المساجد ومقدم المعابد، قطب سماء الجوامع، ومطلع الأنوار اللوامع، موطن أولياء الله وحزبه، طوبى لمن حافظ على الصلوات فيه وواظب على القيام بنواحيه، وتقرب منه إلى صدر المحراب، وخرَّ إليه راكعًا وأناب...»[١].

جامع عمرو بن العاص بمصر القديمة

تجدر الإشارة إلى أن هذا الجامع العريق يعتبر المدرسة والجامعة الإسلامية الأولى فى مصر وأفريقيا. فإلى جانب كونه مسجدًا لله تعالى، أنشأه عمرو بن العاص فى الفسطاط، إلا أنه كانت تُعقد به دروس العلم والوعظ والإرشاد، وحلقات تعليم وتدريس علوم القرآن والسنة النبوية الشريفة؛ لذلك فهو يعتبر الجامعة الإسلامية الأولى فى مصر وأفريقيا.

وهذه الخطوة الرائدة من قِبل والى مصر عمرو بن العاص تعتبر اللبنة الأولى لنشر النور وإزاحة ظلام الجهل والأمية فى مصر وأفريقيا، وهى فى حقيقة الأمر سياسة ناجحة لهذا القائد المظفر الذى كان من أجلاء قبيلته وأحسنهم رأيًا وتدبيرًا، كما وصفه المؤرخ أبو المحاسن «بن تغردى بردى»[٢].

---

(١) ابن دقماق: الانتصار لواسطة عقد الأمصار جـ٤، ص٩٥.

(٢) أبو المحاسن (ابن تغرى بردى): النجوم الزاهرة فى أخبار مصر والقاهرة جـ١، ص٦.

والمتأمل فى سياسة هذا الوالى المحنك والذى كان يعد من دهاة العرب، لمهارته فى تنفيذ توجيهات وأوامر الخليفة الراشد عمر بن الخطاب أنه لم يكن باطشًا أو جبارًا مغتصبًا لحقوق وأراضى وأملاك أصحاب الديانات السابقة فى مصر، فمنطقة مصر القديمة التى أسس بها عمرو بن العاص مدينته الفسطاط ومسجده الجامع، كانت تزدحم بالعديد من المنشآت العمارية البيزنطية والرومانية والقبطية واليهودية فهناك ـ على سبيل المثال ـ حصن نابليون العريق، وكان زاخرًا بالعديد من المنشآت والمرافق والتحصينات والمؤن والعتاد، هذا بالإضافة لما احتواه الحصن من مواد للبناء كالأحجار والخشب والحديد.. وغيرها، جميع هذه الممتلكات ومواد البناء ظلت كما هى، فلم يرد إلينا إقدام عمرو بن العاص أو أحد من جنوده على سلب هذه الأشياء من الحصن لبناء مسكنه فى مدينة الفسطاط. وعلى مقربة من هذا الحصن توجد عدة كنائس قبطية مازالت قائمة حتى اليوم، شاهدة على عدالة العرب والمسلمين، فلم تُهدم أو تُزَلْ، أو تسلب خيراتها أو ممتلكاتها حيث سمح عمرو بن العاص للأقباط بممارسة شعائرهم الدينية دونما تدخل فى حياتهم أو شئونهم الخاصة، وفى هذا الخصوص يذكر القس (منسى يوحنا) عن اضطهاد الرومان للأقباط عندما عاد البطريرك بنيامين ومن معه، بعد ثلاثة عشر عامًا من الهروب والتخفى من ظلم المسيحيين الأرثوذكس التى لاقى فيها الهوان، واستقبله عمرو بن العاص بالترحاب وتعانقا فى ود وحب.. زرفت الدموع[1].

وفى هذه الإشارة دلالة واضحة على سمو فكر وعقلية عمرو بن العاص تجاه الآخر من قبط ويهود فى مصر زمن الخلافة الراشدة، أى مطلع القرن الأول الهجرى/ السابع الميلادى، فمدينة الفسطاط أنشئت على مقربة من منشآت معمارية يونانية ويهودية وقبطية ومازال أغلب هذه المنشآت قائمًا حتى اليوم شاهدًا على عظمة الحضارة الإسلامية وتسامحها مع الديانات الأخرى[2]. ويلاحَظ أن تخطيط الفسطاط كان يحيطه العديد من المنشآت المعمارية القبطية والرومانية. فهذا المؤرخ المقريزى يحدد موقع مدينة الفسطاط فذكر أن حدَّها الشمالى يقع بين كوم الجارح

---

(١) القس منسى يوحنا: تاريخ الكنيسة القبطية ـ الجزء الأول ـ مكتبة المحبة (دون تاريخ) ص٣٠٧.

(٢) الموسوعة المصرية: تاريخ وآثار مصر الإسلامية ـ طبع الهيئة العامة للاستعلامات ـ القاهرة ١٩٧٧، ص٧٧٨.

وقنطرة السد، وحدَّها القبلى يمتد بين منطقة الرصد وكان قائمًا على ذروة الشرف المطل على بركة الحبش وشاطئ النيل غربًا، أما حدُّها الغربى فكان الشاطئ الغربى لنهر النيل[1]، أما الحدُّ الشرقى للفسطاط فكان يمتد فيما وراء الحد الذى حدده المقريزى[2]. أى حدود منطقة القرافة الحالية ويسير جنوبًا حتى منطقة الرصد. ومن خلال هذا التحديد الجغرافى للفسطاط يتضح لنا أنه يمتاز بحصانة طبيعية؛ حيث تحميه التلال (منها هضبة المقطم) من جهتَىْ الشمال والشرق إما من الجهة الغربية فيحميه خندق مائى طبيعى وهو نهر النيل الذى كان فى الوقت نفسه يصل بين الشمال والجنوب. والمتأمل فى هذه المواقع يلاحظ أن بعضها كانت حدودًا طبيعية وجغرافية مثل هضبة المقطم ونهر النيل وغيرها. أما بالنسبة للحدود الأخرى للفسطاط فإن أغلبها كان ومازال يجاور مناطق ومواقع قبطية ويونانية.. وغيرها، منها:

١ـ حصن بابليون (قصر الشمع)

يقع هذا الحصن العتيد بجوار كنيسة مارجرجس بمنطقة مصر القديمة، وكان يمتد على نهر النيل تجاه جزيرة الروضة التى كانت تشكل أيضًا حصنًا آخر على النهر. كانت هذه الجزيرة ترتبط أيضًا بحصن بابليون بقنطرة، والحصن كان يشكل فى واقع الأمر مجموعة من المنشآت العسكرية تسيطر تمامًا على مدخل الدلتا، وتصل شاطئَىْ النيل أحدهما بالآخر. وقد أشار المؤرخ يوحنا النقيوسى إلى أن هذا الحصن قد أنشأه الإمبراطور الرومانى (تراجان) سنة ١٠٠م، وسبب بنائه أنه عندما حضر إلى مصر لإخماد ثورة قام بها اليهود فى الإسكندرية عمد إلى نشر سلطانه على سائر أرجاء البلاد بتجديد هذا الحصن، أما عن سبب تسميته (قصر الشمع) فى المصادر العربية، فذكر المؤرخ ابن إسحاق أن هذا الحصن كان يوقد عليه الشمع فى رأس كل شهر، فيعلم الناس أن الشمس قد انتقلت من البرج الذى حلَّت فيه إلى برج آخر غيره. ولقد احتمى المقوقس (حاكم الروم بمصر) بهذا الحصن وشحنه بالجنود، ولكن بعد حصار عمرو بن العاص له وتضييق الخناق عليه، تمكن الصحابى الجليل الزبير بن العوام من تسلق جدران الحصن وتم فتحه من قِبل العرب، ولكن لم يحدثوا به تدميرًا أو تخريبًا.

---

(١) ابن دقماق: الانتصار لواسطة عقد الأمصار ١٠٨.

(٢) المقريزى: الخطط جـ٤، ص٣٦١.

٢ـ معبد بن عزرا

من أشهر معابد اليهود فى مصر، يقع خلف الكنيسة المعلقة بمنطقة مصر القديمة ويُطلَق عليه أيضًا معبد الشاميين ومعبد العراقيين، ذكره المؤرخ ابن دقماق بقوله (إن كنيس الشاميين بخط قصر الشمع بجوار خوخة طبيعية)[١].

أيضًا ذكره المؤرخ بقوله «إنه كان مكتوبًا على بابها» «كنيسة الشاميين» بالخط العبرانى محفورًا فى الخشب أنها بنيت سنة ست وثلاثين وثلثمائة وذلك قبل خراب بيت المقدس»، وبهذه الكنيسة نسخة من التوراة لا يختلفون على أنها بخط عزرا النبى الذى يقال له بالعبرانية العزيز. والمعبد مكون من طابقين، والباب يقع فى الجهة الجنوبية الغربية وهو على شكل مستطيل بعداه (١٦,٩٨ × ١١,٣٠ متر) ينقسم من الداخل إلى ثلاثة أقسام: القسم الأوسط أوسعها ـ يرتفع على شكل الطراز البازليكى عرضه حوالى ٤,٧٥ متر، يوجد خلف المعبد من الجهة الجنوبية بئر للمياه تسمى (مكفاة) مخصصة لأغراض الطهارة. جدير بالذكر أن أبواب هيكل المعبد تحمل رموزًا عبرية دينية ونجفة على يمين الهيكل تحمل أسماء الخلفاء الراشدين (أبو بكر، عمر، عثمان، على) باللغة العربية، أيضًا توجد نجفة أخرى مدلاة من السقف مصنوعة من النحاس على شكل مخروط تحمل اسم السلطان المملوكى قلاوون باللغة العربية، وفى هذا إشارة لتسامح العرب والمسلمين مع اليهود فى مصر[٢].

بقايا مدينة الفسطاط

صورة من الداخل لمعبد بن عزرا بمنطقة مصر القديمة على مقربة من مدينة الفسطاط

٣ـ كنائس مصر القديمة

تضم منطقة مصر القديمة العديد من الكنائس التاريخية العريقة التى تحتوى العديد من العناصر الفنية والمعمارية التى ليس لها مثيل فى العالم، نذكر من الكنائس المنتشرة فى هذه المنطقة: كنيسة أبى سيفين، كنيسة أبى سرجة، الكنيسة المعلقة،

---

(١) ابن دقماق: المصدر السابق جـ٤، ص١٠٨.

(٢) النبوى جبر سراج: المعابد اليهودية ـ القاهرة ص٣٩ـ٤٥.

كنيسة الست بربارة.. وغيرها. ونظرًا لأهمية هذه الكنائس وما تحمله من عناصر وزخارف فنية بديعة سأتعرض بالذكر لبعضها لبيان أهميتها ومكانتها التاريخية والحضارية، أيضًا تكشف هذه العمارة عن حرية العبادة التى مارسها الأقباط فى مصر زمن الفتح الإسلامى، فلم تُعطَل وظيفتها أو تُهدم أو يُنقص من أملاكها، كما أن بقاءها حتى اليوم يعتبر شاهدًا حيًّا على عظمة الحضارة الإسلامية تجاه الآخر، فلم يُعتدَ على دور عباداتهم ولم تُسلب ممتلكاتهم، فالكل يعيش متحابين متجاورين فى منطقة واحدة لا يعكر صفوهم حقد حاقد أو بغض بغيض عملًا بقوله تعالى: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾. ومن الكنائس التى لفت نظرى قيمتها التاريخية والحضارية:

١ـ الكنيسة المعلقة: اشتُهرت هذه الكنيسة بهذا الاسم؛ نظرًا لكونها مشيدة فوق الحصن الرومانى المجاور لها حتى اليوم. ولم يزل جزء من المعمودية الخاصة بهذه الكنيسة قائمًا حتى اليوم بأعلى أحد البرجين القائمين على جانبى الباب القبلى لهذا الحصن، أما عن تاريخ هذه الكنيسة فتشير بعض المراجع العلمية إلى أنها ربما تكون قد بُنيت فى أواخر القرن الرابع أو بداية القرن الخامس الميلادى وذلك اعتمادًا على بقايا الأخشاب القديمة الخاصة بهذه الكنيسة والمحفوظة حاليًا بالمتحف القبطى بالقاهرة، وهذه الفترة الزمنية تمثل دخول السيد المسيح عليه السلام مدينة أورشليم.

وتتجلى ملامح سماحة الإسلام وعدالته تجاه الأقباط فى هذه الكنيسة عندما سمح الخليفة المعز لدين الله الفاطمى للأنبا «أبرام» البطريرك الثانى والستين بترميم هذه الكنيسة خشية وقوعها على المترددين عليها من الأقباط.

جدير بالذكر أن آخر ترميم أثرى تم بهذه الكنيسة كان فى أواخر القرن الثامن عشر الميلادى وذلك على يد المعلم «عبيد أبى خزام» سنة ١٧٧٥م، أيضًا اعتنى أحد الأقباط بترميم بعض أجزاء الكنيسة وهو (نخلة بك البارتى) فاعتنى بالأحجبة والأيقونات والمنبر الرخامى وذلك أواخر القرن ١٩م[١].

---

(١) محمود أحمد: دليل موجز لأشهر الآثار العربية بالقاهرة. طبع سنة ١٩٣٨م، ص٢٢٠.

الكنيسة المعلقة بمصر القديمة

أبرز ما تميزت به الكنيسة معماريًا وفنيًا

المتأمل فى مساحة الكنيسة يجد أنها صغيرة نسبيًا بالمقارنة ببعض الكنائس الأخرى الموجودة فى المنطقة نفسها، فتبلغ مساحتها ٥ , ٢٣ × ٥ , ١٨ متر، وارتفاعها يبلغ حوالى ٥ , ٩ متر، وتحتوى على صحن ينقسم إلى أربعة أقسام يفصل بعضها عن بعض ثلاثة صفوف من الأعمدة الرخامية، ويغطى هذا الصحن والهياكل جمالون من الخشب(١). ويلفت نظر الزائر لهذه الكنيسة باب من خشب الصنوبر موجود بالحائط القبلى تزينه زخارف بديعة ومطعَّم بالعاج، يرجع تاريخ هذا الباب إلى حوالى القرن (١١م)، تميز هذا الباب بأن الجزء السفلى منه كُتب بالخط الكوفى المزهر ونصه (العز الدائم والسعادة الدائمة لصاحبه) ربما يُنسب للعهد الأيوبى، وهذا النقش العربى الإسلامى داخل كنيسة قديمة بهذا الحجم يعد دلالة واضحة على سماحة الإسلام مع الآخر، مع قبول الآخر بالتأثير العربى والإسلامى داخل دور العبادة المسيحية.

أما بالنسبة للهياكل الخشبية بهذه الكنيسة فهى عديدة وصلت لخمسة هياكل هى: (هيكل مار مرقص) وهو على يمين الباب الخشبى للكنيسة وحجابه مطعم بالعاج والأبنوس المنقوش بنقوش بارزة ـ يرجع حجاب هذا الهيكل إلى حوالى القرن ١٣م. جدير بالذكر أن هذا الحجاب قد نُقل إلى مكانه الحالى من أعلى البرج صيانة له. أما الهيكل الثانى فيحمل اسم (القديس تكلا هيمانوت الحبشى) وحجابه مطعم بالعاج المنقوش ويرجع تاريخه أيضًا إلى حوالى القرن (١٣م). والهيكل الثالث يحمل اسم (يوحنا المعمدان) وحجابه من خشب الأبنوس. أما الهيكل الرابع وهو الأوسط بالكنيسة فحجابه من خشب الجوز المطعم بقطع من خشب الصنوبر والعاج المحلّى والمزخرف بالنقوش البارزة، يوجد داخل الهيكل المذبح تعلوه قبة ترتكز على أربعة أعمدة، وخلف المذبح يوجد مدرج من الرخام بأعلى باب الهيكل وأسفله(٤) حشوات عليها كتابة بارزة كُتبت بتطعيم العاج.

والهيكل الخامس والأخير يحمل اسم (القديس مارجرجس) وهو من خشب

---

(١) محمود أحمد: المرجع السابق ص٢٢٠.

الجوز المطعم بالعاج والأبنوس المزين بنقوش بارزة، ويقع هذا الهيكل فى الجهة البحرية بالكنيسة.

ما دفعنى حقيقة لذكر هذه التفاصيل الدقيقة من العناصر الفنية والزخارف البديعة بهياكل هذه الكنيسة هو الرغبة فى التدليل على سماحة العرب والمسلمين عبر تاريخهم الطويل، فلم يحدث أن سُلبت هذه الهياكل أو اعُتدى على زخارفها أو طُمست معالمها أو اعُتدى على حرماتها، بل كانت هناك عناية ورعاية من قِبل الخلفاء، كما حدث مع الخليفة الفاطمى المعز لدين الله كما أشرت من قبل.

أسباب شهرة الكنيسة المعلقة:

تحتل الكنيسة المعلقة مكانة متميزة فى نفوس الأقباط فى مصر، لعدة أسباب منها، أنه نُقل إليها الكرسى المرقسى من الإسكندرية فى القرن (١٩م) على يد الأنبا (خرستودلوس) البطريرك السادس والستين، وهو أول من أقام بها صلاة القداس بعد وصوله مصر واستمر الكرسى المرقسى بها مدة طويلة إلى أن نُقل إلى كنيسة أبى السيفين فى القرن (١٤م) واجتمع بها بعض المجامع الإكليريكية فى القرن (١٢م)، كما يُعتبر بناء هذه الكنيسة فوق أحد أبراج حصن بابليون رمزًا لانتصار المسيحية على طغيان الرومان وجبروتهم[١].

أيضًا لهذه الكنيسة شهرة دولية كبيرة بسبب وجود عدد كبير من الأيقونات التاريخية النادرة وصل عددها تقريبًا إلى حوالى (٩٠) أيقونة يرجع تاريخ أقدمها إلى حوالى القرن (١٥م) وأغلبها يُنسب للقرن (١٨م).

٢ـ كنيسة أبى سرجة

من أبرز كنائس منطقة مصر القديمة أيضًا، تقع وسط الحصن الرومانى حاليًا، وتقع إلى جوار المتحف القبطى، ويكاد يكون هناك إجماع بين مؤرخى الأقباط على أنها شيدت فى المكان نفسه الذى أقامت به العائلة المقدسة عندما هربت من هيرودس ملك اليهود، وربما كان هذا هو السبب الذى يدفع العديد من الطوائف المسيحية إلى زيارتها.

---

(١) د. مصطفى شيحة: دراسات العمارة والفنون القبطية ـ طبع هيئة الآثار المصرية ١٩٨٨، ص١٣٦.

ولقد أُنشئت الكنيسة ربما فى أواخر القرن الرابع أو أوائل الخامس الميلادى باسم (سرجيوس) و(اخيس)، وهما جنديان مشهوران استُشهدا بجهة الرصافة بسوريا فى أوائل القرن (٤م) فى عهد الإمبراطور (مكسيمنانوس). جدير بالذكر أيضًا أن كنيسة أبى سرجة تعتبر أول كنيسة فى مصر بعد دير أبى مقار يقيم فيه البطاركة القداس بعد تكريزهم فى الإسكندرية. ولرؤساء هذه الكنيسة تاريخ بارز ومشهود مع الحكام المسلمين، فقد أوردت بعض المراجع العلمية أن الخليفة الأموى مروان بن محمد (آخر خلفاء بنى أمية فى مصر) صحب رئيس هذه الكنيسة أثناء تقهقره من الفسطاط عندما طاردته جيوش العباسيين. وفى هذا إشارة أيضًا للتفاعل الإيجابى بين الأقباط ورؤسائهم وانخراطهم فى العمل الوطنى فى مصر منذ مطلع الدعوة الإسلامية.

والكنيسة أيضًا مساحتها صغيرة نسبيًا؛ حيث تأخذ التخطيط المستطيل وبعداه (٢٨,٤ × ١٦,٤ متر)، وارتفاعها حوالى (١٥ مترًا) وهى على عمق (٣) أمتار عن مستوى الشارع، وتقع هياكل الكنيسة فى القسم الشرقى منها وبأسفله المغارة، وللدلالة على التأثير العربى والإسلامى بهذه الكنيسة وجود نقوش كتابية منفذة على العوارض الخشبية التى تربط الأعمدة بعضها ببعض، منها فقرات من المزامير باللغتين القبطية والعربية [١].

مغارة الكنيسة:

تقع المقارة على عمق (١٠) أمتار تقريبًا من سطح الشارع، وهى عبارة عن كنيسة صغيرة أخرى، طولها (٦) أمتار وعرضها متران ونصف المتر تقريبًا، بها صفَّان من الأعمدة الرخامية يقسمانها إلى ثلاثة أقسام، ويوجد بكل قسم مذبح ومعمودية ويُحتفل فيها كل سنة بذكرى دخول السيد المسيح عليه السلام أرض مصر [٢]. جدير بالذكر أيضًا أن هذه الكنيسة تحتوى العديد من الهياكل والأيقونات والأحجبة المطعمة بالعاج والنقوش والزخارف البديعة، هذا بالإضافة لزخارف الفسيفساء والعديد من التحف النفيسة التى لا تُقدَّر بمال، جميع هذه القطع الفنية والزخارف والعناصر

---

(١) د. حسن الباشا: القاهرة تاريخها، فنونها، آثارها ـ طبع القاهرة سنة ١٩٧٠م ص٤٧.

(٢) المعالم الأثرية فى البلاد العربية: الجزء الثالث ـ المنظمة العربية للتربية والعلوم والثقافة ـ القاهرة (١٩٧٢م) جـ٣، ص١٣٧.

المعمارية مازالت قائمة حتى اليوم، وهى تعكس حضارة العرب والمسلمين الذين لم تبهرهم هذه الثروات والكنوز فلم يعتدوا عليها بالسرقة أو الطمس... وغيرها.

٣ـ كنيسة الست بربارة

أيضًا من الكنائس المهمة بمنطقة مصر القديمة، تقع داخل أسوار حصن بابليون بحارة القديسة بربارة، وبالقرب من كنيسة أبى سرجة والمتحف القبطى، تأسست هذه الكنيسة فى أواخر القرن (٤م) أو أوائل القرن (٥ م)، وكُرست باسم السيدة بربارة التى ولدت فى القرن (١٣م) من أسرة غنية وثنية، اعتنقت الدين المسيحى على يد (أوريجاس) فغضب والدها من ذلك وقتلها[١].

تحتوى الكنيسة أيضًا على العديد من العناصر الفنية والمعمارية البديعة، منها الأحجبة الخشبية التى زُخرفت بزخارف ومناظر آدمية وحيوانية وطيور يمكن نسبتها إلى العصر الفاطمى، وهى محفوظة حاليًا فى المتحف القبطى بالقاهرة. تذكر بعض المراجع العلمية أن هذه الكنيسة كانت قد تهدمت فى القرن (١٠م) ثم أعاد بناءها هى وكنيسة أبى سرجة (يوحنا بن الآيح)[٢] الذى كانت له حظوة ومكانة متميزة عند خلفاء الفاطميين فى مصر، فحدثت وشاية من حساده وبعض أعدائه لدى خلفاء الفاطميين، فلما تحقق الخليفة الفاطمى من حسن سلوك هذا القبطى المخلص أجابه إلى طلبه من إعادة بناء كنيسة أبى سرجة (وكان قد تقدم بطلب للخليفة بهذا الخصوص)، وبعد أن انتهى من بنائها بقيت العديد من الأدوات ومواد البناء تكفى لبناء كنيسة أخرى فأعاد يوحنا بناء كنيسة الست بربارة بدون تصريح الخليفة الفاطمى، فشكاه أعداؤه للخليفة للإيقاع به وإلحاق الضرر بسمعته، ولما تحقق الخليفة الفاطمى (الآمر لأحكام الله) أمر بهدم إحدى الكنيستين، فصار الوزير الفاطمى المكلف بهذا الخصوص يتنقل من الواحدة إلى الأخرى ليختار واحدة ليهدمها، غير أنه بهُر بهذا البناء وبالزخارف الهندسية المعمارية البديعة، غير مستقر أيهما يتم هدمه، وعندما أعياه التعب سقط ميتًا، فبلغ هذا الخبر الخليفة الفاطمى فأمر بترك الكنيستين وقال عبارة نصها (أنا أمرت ببناء واحدة، والأخرى دية له).

---

(١) المعالم الأثرية فى البلاد العربية: المرجع السابق جـ٣، ص١٣٨.
(٢) محمود أحمد: المرجع السابق ص٢٢٢-٢٢٣.

والكنيسة أيضًا مساحتها ذات شكل مستطيل بعداها ٢٦ × ١٤,٥ متر وارتفاعها حوالى ١٥ متر[١]، وهى تعد من أجمل كنائس مصر القديمة، يغطى صحن الكنيسة والهيكل الأوسط سقف جمالونى، ومما يلفت الأنظار فى هذه الكنيسة القطع الفنية البديعة من هياكل وأحجبة وأيقونات وزخارف فنية بديعة، لم يعتدِ عليها العرب والمسلمون عبر تاريخهم الطويل، بل صانوها وحفظوها حتى وصلت إلينا فى العصر الحديث.

٤ـ كنيسة أبى سيفين

وهى آخر ما أذكره فى هذه الدراسة من كنائس مصر القديمة، تقع هذه الكنيسة شمال حصن بابليون وتحمل اسم الشهيد القديس (مرقوريوس) المعروف بأبى السيفين، وكان ضابطًا بالجيش الرومانى واعتنق الديانة المسيحية واستُشهد بسبب ذلك سنة ٣٦٥م فسُمِّيت الكنيسة باسمه، والكنيسة ذات شكل مستطيل بعداها ٣١,٥ × ٢١ مترا وبها (٥٠) أيقونة قديمة رُسم معظمها فى حوالى سنة ١٧٧٥ للشهداء أى ما يوافق حوالى سنة ١٤٩١م.

جدير بالذكر أن هذه الكنيسة تضم العديد من الشواهد والتحف الفنية التى لا يوجد لها مثيل فى العالم من أحجبة ذات نقوش بارزة تمثل قديسين وحيوانات وطيور، وبها منبر خشبى نُقش على وجهه زخارف بها حيوانات وطيور متقنة يرجع تاريخها إلى القرن ٥هـ/ ١١م[٢].

---

(١) أبو الحمد محمود فرغلى: الدليل الموجزة لأهم الآثار الإسلامية والقبطية فى القاهرة ـ طبع القاهرة سنة ١٩٨٩ ص٣٣.

(٢) محمود أحمد: المرجع السابق ص٢٤٤ـ٢٧٧.

ثانيًا: أهمية البرديات العربية بوصفها مصدرًا من مصادر التاريخ والحضارة الإسلامية

تمهيد:

لا يختلف الباحثون فى مجال التاريخ والحضارة الإسلامية على أهمية البرديات العربية بوصفها مصدرًا رئيسيًا من المصادر التاريخية التى يمكن الاعتماد عليها فى مجال البحوث والدراسات التاريخية والحضارية؛ وذلك لأن هذه البرديات تعتبر وثائق ثابتة تعاصر الحدث ولا يمكن أن يتطرق إليها أدنى شك، والبرديات تحتوى على العديد من الحقائق والمعلومات والبيانات والإحصاءات التى قلّما نجدها فى مواد أخرى غير البردى.

ويصعب على المرء تحديد موضوعات معينة كُتبت بين طيات البرديات العربية وذلك لأنها شملت تقريبًا جميع نواحى الحياة فى الدولة الإسلامية بداية من عهد الخلفاء الراشدين حتى نهاية عهد الدولة العباسية تقريبًا.

فالبرديات الديوانية الصادرة عن دواوين الدولة تكشف عن العديد من أعمال الديوان من بينها المكاتبات الصادرة من الخلفاء للولاة والعمال وأصحاب الشرطة ورجال الفقه والقضاة، هذا بالإضافة لمقادير الأموال الصادرة إلى بيت المال أو الخارجة منه. كما تكشف أيضًا حقائق بالغة الأهمية عن أنشطة بيت المال وسائر أعمال التدوين والمكاتبات والتظلمات[1] والشكاوى والنظر فيها ومقادير الجزية

---

(١) انظر فى ذلك البردية المحفوظة بدار الكتب المصرية وموضوعها: «إخطارات مدونة بثلاث لغات خاصة بظلامات من التعدى» مؤرخة بين أعوام ١١٧-١٤٠هـ / ٧٥٤-٧٥٧م برقم سجل (١١٩) د. جروهمان: أوراق البردى العربية بدار الكتب المصرية الطبعة الثانية ١٩٩٤م ج٣، ص٦٧.

والخراج الواجبة على أهل الذمة من يهود ونصارى[1]. أيضًا حملت نصوص بعض البرديات العربية معلومات مهمة عن النشاط الاقتصادى والتجارى والمالى فى الدولة الإسلامية خلال القرون الثلاثة الأولى للهجرة، وذلك من خلال المعلومات الواردة فى عقود البيع والشراء وكشوف العمال والأجراء والحرفيين والصنّاع والمبادلات التجارية والصفقات المتبادلة بين التجار والصناع داخل مصر وخارجها، وأسعار السلع والمنتجات والحاصلات الزراعية وأسعار المواشى والأغنام الواردة فى التقارير الزراعية المرفوعة لأرباب العمل. كما تكشف أيضًا عن النشاط التجارى والصناعى والزراعى الملحوظ فى الدولة الإسلامية زمن الخلفاء الراشدين والعهدين الأموى ثم العباسى[2] حيث كشفت نصوص بعض البرديات العربية معلومات بالغة الأهمية عن رواج حركة البيع والشراء بين أقطار العالم العربى والإسلامى، تبين ذلك من خلال ورود أسماء العديد من مراكز الصناعة والتجارة مثل مدن القدس والفسطاط ونيسابور وبغداد وتنيس وتستر والإسكندرية وطبرستان والسوس وإقليم السند وعبادان وخراسان وطبرية والماحوزة والرملة ودمشق وفلسطين.. وغيرها كثير ومتنوع.

فقد ارتبطت صناعات وحرف معينة ببعض هذه البلدان منها صناعة الزيت «زيت فلسطينى»[3] وحرف مختلفة منها: «نعل سندى»[4] و«خف ماحوزى» [5]و»فرش

(١) انظر فى ذلك ما نشره الدكتور أدولف جروهمان من برديات دار الكتب المصرية فى الدراسة السابق ذكرها والتى حملت عنوان «أوراق البردى العربية بدار الكتب المصرية» المجلدات ٢، ٣، ٤، ٥ طبع دار الكتب المصرية بالقاهرة بداية من عام ١٩٣٤ـ١٩٦٧م الطبعة الثانية سنة ١٩٩٤م.

(٢) تجدر الإشارة إلى أن أقدم بردية عربية مؤرخة هى التى عُثر عليها فى منطقة أهناسيا والمؤرخة فى شهر جمادى الآخرة سنة ٢٢هـ والمحفوظة فى مجموعة الأرشيدوق راينر فى فيينا بالنمسا برقم سجل (PERF. No. 558) وهى تعاصر زمن الخليفة الراشد عمر بن الخطاب ـ وفى العهد العباسى قلّ استخدام البردى بسبب ظهور الورق «الكاغد».

(٣) وردت هذه العبارة ضمن نصوص بردية عربية بدار الكتب المصرية برقم سجل (٣٢٦) تُنسب للقرنين ٣ـ٤ هـ/ ٩ ـ ١٠م د. جروهمان: المرجع السابق ج٥، ص٧٨ـ٨٦.

(٤) وردت هذه العبارة ضمن نصوص بردية عربية محفوظة فى مجموعة الأرشيدوق راينر فى فيينا بالنمسا برقم سجل (PERF. NO. 1014).

(٥) وردت ضمن نصوص بردية عربية بدار الكتب المصرية موضوعها «قائمة بثياب مختلفة» تُنسب للقرن ٣هـ/ ٩م برقم سجل (٥٥٢) د. جروهمان: المرجع السابق ج٦، ص٩٠ـ١١٣.

وبساط وحزام وعقال طبرى»[١] و«زمام تنيسى»[٢] و«حصر عبادانى»[٣] و«جبة تسترية»[٤] و«ثياب سوسية من الخز»[٥]، و«ثياب قدسى جياد»[٦].... وغيرها. وفى واقع الأمر إن المتأمل فى النصوص الواردة فى البرديات العربية يلاحظ أنها غنية بالمعلومات ليس فى المجال الإدارى والمالى والصناعى والزراعى والتجارى فحسب، بل فى الأمور العليا للدولة ومنها أمور الديوان وبيت المال ونفقات الجنود[٧] والقادة وأمراء الجيش ومرتباتهم وأعطياتهم. هذا بالإضافة لمعلومات أخرى عن نظم التسليح وأدوات الجيش والمعدات والسفن بأنواعها وأطقمها وملاحيها[٨] وسائر نفقاتها. كما تشمل أيضًا معلومات مهمة عن اتفاقيات حسن الجوار والمعاهدات المبرمة بين الدولة الإسلامية وجاراتها من الدول الأخرى[٩]، وهى معلومات قلَّما

---

(١) وردت ضمن نصوص بردية عربية محفوظة فى معهد البرديات بجامعة هايدلبرج بألمانيا وعبارتها «فرش طبرى بطبرستان المذهب الفائق» برقم سجل (PSR. Arab. No. 394).

(٢) زمام تنيسى: الزمام هو الخيط الذى يشيد به، ولقد وردت هذه العبارة ضمن نصوص بردية عربية فى مجموعة الأرشيدوق راينر فى فيينا بالنمسا برقم سجل (PERF.Arab No. 1014). ومدينة تنيس هى إحدى مدن شرق الدلتا بمصر وزمام تنيسى نسبة لمدينة تنيس.

(٣) وردت هذه العبارة ضمن نصوص بردية عربية محفوظة بمجموعة الأرشيدوق راينر فى فيينا بالنمسا برقم سجل (PERF.Arab No. 721).

(٤) وردت هذه العبارة ضمن نصوص بردية عربية بدار الكتب المصرية بالقاهرة موضوعها قائمة بثياب مختلفة «د.جروهمان: المرجع السابق ج٦، ص٩٦.

(٥) وردت هذه العبارة ضمن نصوص بردية عربية محفوظة بمعهد البرديات بجامعة هايدلبرج بألمانيا برقم سجل (PSR. Arab. No. 394).

(٦) وردت هذه العبارة ضمن نصوص بردية عربية فى مجموعة جون رايلاندز بمدينة مانشستر فى إنجلترا برقم سجل (Dvi - 6, d, Number 39)

(٧) انظر فى ذلك ما ورد ضمن نصوص بردية عربية بدار الكتب المصرية مؤرخة بعام ٢٧٠هـ / ٨٨٣م وردت بها عبارة «ورثة يونس الجندى» وفى بردية أخرى بالمجموعة نفسها تُنسب للقرن ٣ هـ / ٩م برقم سجل (٧١٥) وردت بها عبارة «بن صبره الجندى».
د. جروهمان: المرجع السابق جـ٤، ص١٩، جـ٦ ص١٤٩.

(٨) انظر فى ذلك حرفة (النواتية، الملاحون) ضمن نصوص بردية عربية بدار الكتب المصرية تنسب للقرن ٣ هـ / ٩م موضوعها «كشف بأسماء أقباط مع حرفهم ووظائفهم» برقم سجل (٧٢٣) د. جروهمان: المرجع السابق جـ٧، ص٩٩-١٠٢.

(٩) انظر فى ذلك البردية النادرة المحفوظة بمتحف الفن الإسلامى بالقاهرة برقم سجل (٢٥٤٨) والمؤرخة فى سنة ١٤١هـ / ٧٥٨م وهى عبارة عن «رسالة من والى مصر فى العهد العباسى موسى بن كعب إلى حاكم النوبة» يحثه فيها على الالتزام بالعهود والمواثيق المبرمة بينهم وبين الدولة الإسلامية فى العصر العباسى.

نجدها فى مواد أخرى غير نصوص البرديات العربية؛ حيث تكشف هذه المعاهدات والاتفاقيات عن حقائق بالغة الأهمية توضح مدى ما كانت عليه الدولة الإسلامية من مهابة ومكانة، وضح ذلك من خلال سياق نصوص المعاهدات وما تحمله من عبارات تهديد ووعيد شديد فى حال الإخلال بالنصوص المبرمة بين الدولة الإسلامية والدول الأخرى.. وغيرها من المعلومات التى تعتبر مصدرًا أصيلًا من مصادر التاريخ والحضارة الإسلامية.

البرديات العربية مصدر وثائقى للتاريخ الإسلامى:

١ـ تعريف الوثيقة:

الوثيقة المكتوبة هى المصدَّق عليها من جهة رسمية ويطلق عليها كلمة Act أو Deed [١]. وإذا كانت الوثيقة صادرة من فرد أو شخص معين فلابد أن يكون موقعًا عليها؛ لذلك فإن الوثيقة المكتوبة تحوى ما يمكن أن يُطَلق عليه «العمل القانونى أو الواقعة القانونية». وهناك تعريف آخر للوثيقة المكتوبة؛ حيث عرَّفها بعض الباحثين بأنها «إعلان مدَّون عن شيء له طبيعته القانونية صيغ فى قالب أو شكل خاص مناسب للظروف»[٢]. وعلى العموم فإن كلمة «وثيقة» فى اللغة العربية كلمة عامة غير محددة المعنى وتُطلَق على المستند قانونيًا كان أو غير قانونى[٣]، وفى هذا يذكر صاحب مختار الصحاح أن (الوثيق) هو الشيء المحكم[٤].

وفى هذا السياق تجدر الإشارة إلى ظهور «علم الدبلوماتيك»[٥] وهو العلم

Martin Hinds & Hamdi Sakkuot:, Aletter from the Governor of Egypt to the king of Nubia and Muqurra, American University of Beirut. 1981.

(١) د. محمود عباس حمودة: المدخل إلى دراسة الوثائق العربية ـ طبع دار الثقافة بالقاهرة ١٩٨٤م، ص١٧.

(٢) د. محمود عباس حمودة: المدخل إلى دراسة الوثائق العربية ـ طبع دار الثقافة بالقاهرة ١٩٨٤م، ص١٧.

(٣) توفيق إسكندر: محاضرات فى علم الوثائق ـ طبع القاهرة سنة ١٩٥٥م.

(٤) الرازى (محمد بن أبى بكر بن عبد القادر الرازى): مختار الصحاح ـ ترتيب محمود خاطر ـ المطبعة الأميرية بالقاهرة سنة ١٣٤٥هـ/ ١٩٢٦م ص٧٠٨.

(٥) وهو علم مشتق من كلمة (دبلوما) Diploum إغريقية الأصل، ومعناها الحرفى «الصحيفة التى تُطوى

الذى يتناول بالدراسة النقدية المصادر الأدبية الرسمية للتاريخ كالدساتير والبراءات والمراسيم والمعاهدات والاتفاقيات والوثائق الشرعية وغير ذلك من الوثائق والأوراق التى تزخر بها الأديرة والكنائس والمعابد. أيضًا يُعنى هذا العلم بدراسة وتحليل النصوص المكتوبة فى قالب خاص أو شكل مناسب للظروف ويتضمن فعلًا قانونيًا أو واقعة قانونية. لذلك فإن كلمة الوثيقة الدبلوماتية تعتبر مصدرًا أصيلًا من مصادر التاريخ، ويمكن دراستها من حيث الشكل أى الخصائص الخارجية والداخلية، فالخصائص الخارجية تشتمل على كل ما يتصل بالوثيقة من حيث هيئتها الخارجية مثل المادة التى كُتبت الوثيقة «ورق ـ رق ـ بردى ـ قماش، وغيرها»..[١] «ثم نوع الحبر الذى كُتبت به الوثيقة ولونه ثم نوع الخط». وفى وثائق البرديات العربية استُعمل فى الغالب خط التحرير المخفف أو ما يمكن أن يُطلَق عليه «الخط اللين»؛ لأنه خط يتناسب مع ألياف ورق البردى. أيضًا تشمل الخصائص الخارجية للوثيقة التوقيعات والأختام[٢] وطريقة الإخراج..... وغيرها.

أما بالنسبة للخصائص والسمات الداخلية للوثيقة فهى التى تشتمل على كل ما يتصل بلغة الوثيقة وطريقة صياغتها وما يتعلق بها من مضمون وحقائق ووقائع تاريخية وحضارية، أى كل ما تحتويه الوثيقة من معلومات قد تنفع المؤرخ وتمده بحقائق تاريخية تخدم بحثه. وقد تكون الوثيقة على شكل صفحة أو قطعة

مرتين». وكان الرومان يستعملونها أول الأمر للدلالة على الجواز أو الرخصة بالسفر، أما فى اللغة اللاتينية فلفظ Diploo فمعناه ضعف أو مضاعف (أى مرتين)، ولفظ دبلوما فى هذه اللغة يعنى أيضًا الرسالة المطوية مرتين أو ربما تعنى الرسالة الرسمية الصادرة عن جهة حكومية. وهناك معنى ثالث للفظة (الدبلوما) وهو الورقة التاريخية Historical Document. وفى المعاهد الدراسية تعنى (الدبلوما) الوثيقة التى تُمنح للطالب المتخرج فى كلية أو جامعة تثبت إتمامه المقررات الدراسية وتخرجه فى المعهد أو الجامعة المقيد بها. سالم الألوسى: الدبلوماتيك، أو علم دراسة الوثائق ونقدها طبع دار الحرية للطباعة ببغداد سنة ١٩٧٤م، ص١٣، د. محمود عباس حمودة: المرجع السابق ص٢٢.

(١) هناك العديد من المواد التى استُخدمت فى الكتابة والتدوين والتوثيق ذكرها د. جروهمان فى كتابه:
Grohmann. A: From the world of Arabic Papyri. Cairo. 1952.

(٢) تحتوى نصوص بعض البرديات العربية العديد من التوقيعات والأختام فى نهاية نصوصها. ولقد اشتُق من هذه الأختام ما يُطلَق عليه علم السجليوجرافيا Sigillography وهو العلم الذى يُعنى بدراسة الأختام والتواقيع والإمضاءات وكذلك معرفة موادها والرموز والإشارات والكتابات والرسوم التى حُفرت عليها، مما يزود المؤرخ بمعلومات وافية عن العصر الذى دونت فيه الوثيقة أو الفترة التاريخية وما يصاحبها من نظم وعلاقات وفنون وغيرها. انظر فى ذلك: سالم الألوسى: المرجع السابق ص٦.

Piece [1] أو على هيئة ملف Roll من عدة أدراج[2]، وأحيانًا أخرى تخرج على هيئة كتاب Codex Form [3].

٢ـ البرديات العربية وثائق تاريخية:

يعرف العلماء «التاريخ» بأنه العلم الذى يبحث فى سير الأولين من الأحداث والرجال والدول ووقائع الزمان من حيثية التعيين والتوقيت[4]. وفى تعريف آخر أكثر شمولية اتسع مجال التاريخ فشمل الزمن كله ما مضى منه وما هو حاضر وما هو مقبل، وبذلك أصبح التاريخ يشمل التجربة الإنسانية كاملة، فلم يعد يقتصر على ذكر الأحداث السياسية والعسكرية، بل شمل أيضًا التطورات الاجتماعية والاقتصادية والعلمية والفنية، وأصبح اهتمام المؤرخ موجهًا إلى دراسة أحوال البشر عامة وتطور الجماعة الإنسانية فى مجموعها[5] ويلخص المؤرخ السخاوى موضوع التاريخ بشكل موجز بقوله: «وأما موضوعه فالإنسان والزمان، ومسائله أحوالهما المفصلة للجزئيات تحت دائرة الأحوال العارضة الموجودة للإنسان وفى الزمان»[6].

ومن هذا المنطلق فإن المتأمل فى نصوص البرديات العربية وخاصة الرسائل والخطابات الصادرة عن دواوين الدولة بداية من عهد الخلفاء الراشدين حتى نهاية عهد الدولة العباسية يلاحظ أنها وثائق تاريخية ثابته لا يمكن أن يتطرق إليها أدنى شك؛ لأنها تحتوى بين طياتها العديد من المعلومات المتعلقة بسير الإدارة فى الدولة

(١) غالبية نصوص البرديات العربية عبارة عن قطع صغيرة تم فردها بعضها يتعلق بالأمور المالية كإيصالات الجزية والخراج والعقود بشتى أنواعها (زواج ـ بيع ـ شراء ـ إيجار ـ عمل..) وغيرها.

(٢) درج البردى عبارة عن لفافة كبيرة من ورق البردى تتكون عادة من (٢٠ ورقة) ملصق بعضها ببعض تسمى الورقة الأولى البروتوكول ومعناها باللغة العربية (الطراز)

Grohmann. A; Tiraz. Encyclopaedia of Islam.

(٣) فى حالة واحدة فقط عُثر على كتاب كامل من ورق البردى Codex ـ عثر عليه فى منطقة تل إدفو وعنوانه: «الجامع فى الحديث» للفقيه المصرى عبدالله بن وهب بن مسلم ١٢٥ ـ ١٩٧هـ/ ٧٤٣ـ٨١٣م ـ عدد صفحاته ١٩٩ صفحة نشره المعهد الفرنسى للآثار الشرقية بالقاهرة سنة ١٩٣٩، ١٩٤٨م.

(٤) فرانتس ورزنتال :تاريخ علم التاريخ عند المسلمين ـ ترجمة د.صالح أحمد العلى ـ طبع بغداد ١٩٣١م ص ٣٨٥.

(٥) د. حسين مؤنس: الحضارة ـ سلسلة عالم المعرفة (١) ـ الكويت ـ يناير ١٩٧٨م، ص٧٠.

(٦) السخاوى (شمس الدين السخاوى) ٨٣١ـ٩٠٢هـ/ ١٤٢٧ ـ ١٤٩٧م: الإعلان بالتوبيخ لمن ذم أهل التاريخ ـ ص٣٨٥.

الإسلامية من حيث: مصادر الدخل، أوجه الانفاق، والعطاء، مخصصات الولاة والعمال[1]. كما يُلاحَظ فيها أيضًا توجيهات وملاحظات وإرشادات وتعليمات من الخلفاء للولاة والعمال لمراعاة مصالح الدولة[2] وسياستها العليا وتأمين حدودها وتحسين علاقتها مع جاراتها من الدول الأخرى، هذا من ناحية «**الشئون الخارجية**»[3]. أما من ناحية «**الشئون الداخلية**» فهى فى أغلب الأحوال تتعلق بمصالح الرعية والعدل بينهم وإنصاف المظلومين وحفظ حقوقهم[4] وكذلك مراقبة أعمال أهل الذمة وحل مشكلاتهم والعناية بمصادر الدخل وتنشيط حركة التجارة والاهتمام بالنواحى الاقتصادية، وما يرتبط بها من نشاط زراعى وتجارى وصناعى ورعى[5]..

---

(١) انظر فى ذلك البردية العربية المحفوظة فى دار الكتب المصرية برقم سجل (الطراز رقم ١٠٠) والمؤرخة بين أعوام ٢٤٢ـ٢٤٧هـ/ ٨٥٦ـ٨٦١م موضوعها: «أمر موجه من نائب الوزير الفتح بن خاقان إلى أحد أهالى ضيعة الأمير».
د. جروهمان: المرجع السابق جـ٣، ص١٠٣ـ١٠٥.

(٢) وضح ذلك من خلال النص الذى ورد فى بردية متحف الفن الإسلامى بالقاهرة المؤرخة بعام ١٤١هـ/ ٧٥٨م والسابق الإشارة إليها؛ حيث وردت بها عبارات تتعلق بمصالح الدولة العليا منها ما ورد فى السطور (١١ـ١٤): «وقد وفينا لكم بالذى جعلنا لكم علينا من الكف عن دمائكم وأموالكم وعرفت أمنكم فى بلادنا وسكونكم حيث أحببتم منها وباختلاف تجاركم إلينا لا يصل إليهم منا ظلم ولا غشم ولا يعتدى على أحد ممن قبلنا منكم ولا يُمنع من حقه..».

(٣) هناك العديد من الأوراق البردية التى تنسب للخلفاء وتتعلق بالشئون الخارجية للدولة منها (التماس مرفوع إلى الخليفة المعتز بالله) محفوظ بدار الكتب المصرية برقم سجل (٣٨٠٧) يرجع تاريخه إلى ٢٥٢ـ٢٥٥هـ/ ٨٦٦ـ٨٦٩م وردت فى السطر الثانى بعد البسملة هذه العبارة: «هذا كتاب لعبد الله أبى عبدالله الإمام المعتز بالله أمير المؤمنين».
د. جروهمان: المرجع السابق جـ٣، ص١٠٩.

(٤) انظر فى ذلك البردية العربية المحفوظة فى مجموعة شوت راينهارت بمعهد البرديات ـ جامعة هايدلبرج بألمانيا برقم سجل (PSR. Inv. Arab. 16) والمؤرخة فى شهر جمادى الأولى سنة ٩١هـ/ أبريل ٧١٠م والتى يأمر فيها الوالى الأموى قرة بن شريك العبسى بحفظ حقوق أحد أهل الذمة ويُدعى يحنس بن شنودة.

Becker. C.H.; Papyri Schott - Reinhardt. I. Heidelberg. 1906. P.92.

(٥) انظر فى ذلك عددًا كبيرًا من البرديات العربية تتحدث عن حركة البيع والتجارة وشئون الزراعة والرعى وغيرها من الأمور، بعض هذه البرديات محفوظ فى مجموعات عالمية أبرزها مجموعة الأرشيدوق راينر فى فيينا بالنمسا (PERF) من بينها بردية برقم سجل، (PERF. No, 170) وأخرى برقم سجل (PERF. No, 1248) وبعضها محفوظ فى دار الكتب المصرية وهى برديات عديدة ومتنوعة تتناول شتى الأمور المالية وكشوف العمال والأجراء والحرفيين والصناع تتضمن بعض أموال الدولة وتقارير

وغيره. كما تتضمن أيضًا حث الولاة والعمال على العناية بمرافق الدولة من طرق ومواصلات ومنشآت وموانئ وجسور وتطهير ترع ومصارف لزيادة مصادر الدخل بزيادة مساحة الرقعة الزراعية التى كانت تمثل أحد المصادر الرئيسة للدخل من جراء تحصيل الجزية والخراج على أهل الذمة الذين كانوا يمثلوا الغالبية العظمى من أهالى البلاد الأصليين. ويؤيد هذا القول ما رواه أبو المحاسن فى كتابه «النجوم الزاهرة»[1] أن عمرو بن العاص والى مصر كان قد استأذن الخليفة الراشد عمر بن الخطاب فى انفاق ثلث خراج مصر فى حفر وتطهير ترعها وبناء وصيانة جسورها، وفى هذه الإشارة دلالة واضحة على رعاية الدولة بداية من عهد الخلفاء الراشدين بالزراعة وكل ما يرتبط بها من رى ومراعٍ وإنتاج محاصيل وذلك لزيادة مصادر الدخل؛ حيث كانت الزراعة فى ذلك الوقتً تمثل ركيزة أساسية فى حياة المجتمع واستقراره. وفى العهد الأموى لاحظ الخلفاء والولاة أن العديد من أقاليم الدولة وخاصة فى مصر والشام تمتلك مصادر وفيرة من مياه الأنهار كنهر النيل وفروعه المختلفة ونهر دجلة والفرات.. وغيرها فأقاموا عليها السدود وشقُّوا لها الجداول واستخدموا هذه المياه فى الزراعة[2]، ووضعوا تقويمًا للزراعة عُرف باسم «التقويم القرطبى»[3] أصبح فى واقع الأمر دليلًا ودستورًا لزراعة النباتات والمحاصيل المختلفة طوال العام فى مواعيدها. وتجدر الإشارة إلى أن العديد من شعوب العالم فى ذلك الوقت قد أخذت تعمل بهذا التقويم لزيادة مصادر دخلها أيضًا[4].

دافعى الضرائب وأسعار بعض السلع والحاصلات الزراعية من بينها بردية تحمل رقم سجل (الطراز رقم ٢٢٣) تُنسب للقرن ٣هـ/ ٩م موضوعها (حساب خاص بفرض ضرائب يشتمل على أسماء مُلَّاك الأراضى الذين يمتلكون ضياعًا فى قرى مختلفة مع بيان مبالغ النقود الخاصة بأسماء الأماكن) وبردية أخرى بالمجموعة نفسها أيضًا برقم سجل (الطراز رقم ٢٤١) تُنسب للقرن ٣هـ/ ٩م موضوعها: «تقرير عامل الضرائب يليه إحصاء الحيوان فى قرى مختلفة من كورة الأشمونين».

د. جروهمان: المرجع السابق جـ٤، ص١٦٥ـ١٧٢، ص٢١٩ـ٢٢٤.

(١) أبو المحاسن (جمال الدين أبو المحاسن بن تغربى بردى): النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة، طبع وزارة الثقافة والإرشاد القومى بالقاهرة سنة ١٩٦٣م، جـ١، ص٢٣.

(٢) عاطف أبو زيد سليمان على: إحياء الأراضى الموات فى الإسلام رابطة العالم الإسلامى ـ مكة المكرمة ـ العدد رقم (١٦٤) شعبان ١٤١٦هـ، ص ٤٧.

(٣) د. حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام السياسى ـ الطبعة الثانية ـ مكتبة النهضة المصرية بالقاهرة ١٩٤٨م، جـ٢، ص٢٤٦.

(٤) عاطف أبو زيد سليمان: المرجع السابق ص٤٨.

ويؤيد هذا القول ما رواه ابن حجر فى كتابه «فتح البارى»[1] أن الخليفة عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه أرسل إلى أحد عماله رسالة يقول فيها: انظر ما قبلكم من أرض فأعطوها بالمزارعة على النصف وإلا فعلى الثلث حتى تبلغ العشر، فإن لم يزرعها أحد ما منحها، وإلا فأنفق عليها من مال المسلمين، ولا تبيرن قبلك أرضًا..

من هذا النص يتبين لنا مدى عناية الدولة بمصالح الرعية من خلال الاهتمام بالزراعة والرى وتوفير فرص عمل مناسبة للأهالى؛ حيث كانت تمثل الحرفة الرئيسة لهم. وكما هو معلوم فإن الزراعة وما تخرجه الأراضى من محاصيل تنشط حركة التجارة والبيع والشراء، كما أنها ترتبط أيضًا ارتباطًا وثيقًا بحرف وصناعات أخرى مختلفة مثل حرفة الرعى وصناعة الألبان والخمور والأجبان وملابس الصوف والقطن وصناعة الحبال والسلال.... وغيرها[2].

وفى العصر العباسى اعتنى أيضًا خلفاء بنى العباس بالزراعة وبشئونها المختلفة، ونظرًا لاتساع رقعة الأرض أنشأ العباسيون لماء الرى فى مدينة مرور وهى من أشهر مدن خراسان[3] ديوانًا أطلقوا عليه «ديوان الماء»[4] وكان يشرف على هذا الديوان

---

(١) ابن حجر العسقلانى: فتح البارى بشرح صحيح البخارى ـ طبع دار الفكر بيروت ـ دون تاريخ ـ جـ٥، ص١١ باب «المزارعة بالشطر ونحوه». وانظر فى ذلك أيضًا: يحيى بن آدم القرشى: الخراج ـ تحقيق أحمد محمد شاكر ـ طبع دار المعرفة ـ بيروت ـ بدون تاريخ ص٦٢ـ٦٣ «باب إصلاح الأرض المهملة».

(٢) نشر الدكتور جروهمان العشرات من البرديات العربية التى تتصل موضوعاتها بهذه الأمور جميعها، بعضها محفوظ فى دار الكتب المصرية وبعضها محفوظ فى مجموعات عالمية. فمن برديات دار الكتب المصرية عدد كبير من الأوامر الصادرة من الدولة أو من بعض الأشخاص لتسلم محاصيل زراعية وأجبان وملابس ومراع وغيرها. من بينها بردية برقم سجل (الطراز رقم ٣١٢) تُنسب للقرن ٣هـ/ ٩م موضوعها (أمر لإرسال قمح)، وأخرى (أمر لإرسال خل) بنفس المجموعة برقم سجل (الطراز رقم ١١٧) ينسب للقرنين ٢ـ٣هـ/ ٨ـ٩م، وأخرى (طلب عسل) برقم سجل (٧٣) تنسب للقرنين ٢ ـ ٣هـ/ ٨ـ٩م، وأخرى (أمر بطلب لحم) برقم سجل (الطراز رقم ١٨٣) مؤرخة بسنة ٢٠٧هـ/ ٨٢٣م، وأخرى (أمر لإرسال جبن) برقم سجل (١٦٥) تنسب للقرن ٢هـ/ ٨م، وأخرى (أمر لإرسال عنب) برقم سجل (الطراز رقم ٦١٦) تُنسب للقرنين ٣ـ٤هـ/ ٩ـ١٠م، وأخرى (أمر لإرسال ملابس ومقص) برقم سجل (٩٧٧) تنسب للقرن ٤هـ/ ١٠م.. وغيرها.
د.جروهمان: المرجع السابق جـ٥، ص١٤١، ص١٤٢، ص١٤٤، ص١٤٧، ص١٤٨، ص١٥٢، ص١٥٣.

(٣) ياقوت الحموى: معجم البلدان ـ طبع دار صادر بيروت ١٩٨٤م، جـ٥، ص١١٢ـ١١٦.

(٤) آدم ميتز: الحضارة الإسلامية فى القرن الرابع الهجرى ـ تعريب محمد عبد الهادى أبو ريدة ـ الطبعة الرابعة ـ بيروت ـ دار الكتاب العربى ١٩٦٧م، جـ٢، ص٣٣٦.

موظف كبير يعاونه عشرة آلاف عامل، وتودع فى سجلات هذا الديوان مقادير خراج الأرض حسب كيفية ريها، فيؤخذ العشر إذا كانت تُسقى سيحًا أو تسقيها السماء، بينما يؤخذ نصف العشر إذا كانت تسقى بدلو أو ساقية أو نحوه[1].

وفى واقع الأمر فإن العديد من نصوص البرديات العربية سواء تلك التى تُنسب لعهد الخلفاء الراشدين أو العهدين الأموى ثم العباسى قد تحدثت بشكل تفصيلى عن النواحى الزراعية ومقادير الحاصلات التى تنتجها الأراضى الزراعية، وأحيانًا أوردت نصوص بعض البرديات العربية أسعار بعض المحصولات والكميات الواجب إخراج خراجها، وهناك تقارير زراعية مرفوعة لأولى الأمر تبين نوع المحصولات وكمياتها وأسعارها ومقادير الخراج والجزية الواجبة على أهل الذمة[2]. كما أن هناك وثائق بردية أخرى تبين أجور العمال والحرفيين[3] والأجراء الذين يقومون بأعمال الزراعة فى أوقات معينة أثناء جمع المحاصيل، وهناك أيضًا معلومات وفيرة عن المواشى وأعدادها وأسعارها [4]، وعن صناعة الجبن والألبان واللحوم والمراعى.. وغيرها وكل ما يرتبط بمصادر الدخل، وهى فى واقع الأمر معلومات وتقارير وبيانات وإحصاءات قلَّما نجدها فى مواد أخرى غير نصوص البرديات العربية.

---

(١) أبو يوسف: الخراج ـ تحقيق: د. محمد إبراهيم البنا ـ طبع دار الاعتصام بالقاهرة سنة ١٩٨١م، ص١١٩٩، ٢٠٠٠.

(٢) انظر فى ذلك التقارير والكشوف التى نشرها الدكتور جروهمان بعضها محفوظ فى دار الكتب المصرية أحدها برقم سجل (الطراز رقم ٢٢٩) يُنسب للقرن ٣هـ/ ٩م موضوعه (كشف مزارعين مع بيان مساحة الأراضى الخاصة بكل منهم والإيجارات المستحقة عليهم). وفى بردية أخرى بالمجموعة نفسها أيضًا برقم سجل (الطراز رقم ٢٠٠) وموضوعها (قطعة من كشف خاص بمزارعين مع بيان المحصول المنزرع ومبلغ النقود المدفوعة) ـ وغيرها من البرديات. د. جروهمان: المرجع السابق جـ٤ ص٣٣ـ٤١، ص٦٧ـ٦٩.

(٣) انظر فى ذلك البردية المحفوظة بدار الكتب المصرية التى تحمل موضوع (كشف بأسماء أرباب الحرف) تُنسب للقرن ٣هـ/ ٩م ـ الطراز رقم (٢٣٥).
د. جروهمان: المرجع السابق جـ٣، ص٢٣٢.

(٤) هناك عدد كبير من البرديات التى وردت بها معلومات عن المواشى وأعدادها وأسعارها وبيان حالتها من بينها بردية بدار الكتب المصرية برقم سجل (الطراز رقم ١١٥) مؤرخ سنة ٢٤٩هـ/ ٨٦٥م موضوعها (أمر لدفع أموال ثمنًا لمعيز أرسلت)، وأخرى بالمجموعة نفسها أيضًا برقم سجل (٣٢٠) مؤرخة بسنة ٣٤٨هـ/ ٩٦٠م موضوعها: (حساب غنم مودعة راعيًا) وأخرى موضوعها (حساب ماشية) برقم سجل (٦٨٣) تُنسب للقرنين ٣ـ٤هـ/ ٩ـ١٠م.. وغيرها كثير. د. جروهمان: المرجع السابق جـ٥، ص١٦٢، ج٦ ص٣، ص١٠.

٣ـ نماذج مختارة من البرديات العربية:

(أ) قطعة صغيرة من ورقة بردى محفوظة بمتحف الدولة ببرلين بألمانيا برقم سجل[١] وهى ربما كانت الجزء الأخير من رسالة تتعلق بأمور مالية. والبردية مؤرخة بسنة ٢٢ هـ والقسم المتبقى منها نصه هكذا:

١ـ دينرا ونصف دينرا عددًا فى النصف.

٢ـ سنة اثنتين وعشرين [٢].

ترجع أهمية هذه البردية إلى أنها تعتبر من البرديات المبكرة التى تعاصر فتح مصر وواليها عمرو بن العاص زمن الخليفة الراشد عمر بن الخطاب.

(ب) Protocole بروتوكول[٣] محفوظ حاليًا فى المتحف البريطانى بلندن برقم سجل (Brit. Mus. Inv. 1515) [٤] يتضمن نصًا من ١٣ سطرًا كُتب بلغتين عربية ويونانية، الكتابة العربية فى ٧ سطور فى نهايتها التاريخ وهو سنة ٨٨هـ.

نص البروتوكول: «النص العربى»

قطعة صغيرة من بردية عربية محفوظة بمتحف الدولة ببرلين بألمانيا مؤرخة بعام ٢٢هـ

لوحة رقم (٢): بروتوكول محفوظ فى المتحف البريطانى بلندن برقم سجل (Brit. Mus. Inv, 1515) مؤرخة بعام ٨٨ هـ.

١ـ بسم الله الرحمن الرحيم

---

(١) د. فالح حسين: تعريف بالوثائق البردية العربية وأهميتها فى دراسة التاريخ الإسلامى، مجلة مجمع اللغة العربية الأردنى ـ العدد (٤٠) شوال ١٤١١هـ/ حزيران ١٩٩١م ص١١٢.

(٢) انظر اللوحة المرفقة.

(٣) البروتوكول كلمة يونانية تعنى اللصق الأول فى درج البردى الذى كان يتكون عادة من ٢٠ ورقة وهى تعنى أيضًا (الطراز بالعربية):

Grohmann. A., Tiraz. Encyclopaedia of islam.

(4) (Becker. C.H.; Das Lateinische in den arabischen. Papyrusprotokollen. Strassburg. 1909. P. 171.

٢ـ لا إله إلا الله وحده لا شريك له

٣ـ لم يلد ولم يولد ولم يكن[1] (كين) له كفوًا أحد

٤ـ محمد رسول الله أرسله بالهدى ودين الحق

٥ـ عبدالله الوليد أمير أمير المؤمنين

٦ـ هذا مما أمر به الأمير عبدالله بن عبد الملك

٧ـ فى سنة ثمان وثمنين

وفى واقع الأمر أن العديد من نصوص البروتوكولات تكشف عن العديد من الجوانب المتعلقة لها بدواوين الدولة وطريقة مخاطبة الخلفاء للولاة والعمال وأساليب الكتابة ونظم التدوين وافتتاحيات الخطابات. كما تتضمن أيضًا العديد من أسماء الخلفاء وألقابهم وكذلك أسماء الولاة والعمال وكبار رجال الدولة وغيرهم؛ نظرًا لأن نصوص البروتوكولات تعتبر الافتتاحيات الأولى فى أدراج ولفائف البردى.

(جـ) بردية عربية موضوعها (أمر موجه من نائب الوزير الفتح بن خاقان إلى أحد أهالى ضيعة الأمير)

وهى بردية محفوظة فى دار الكتب المصرية برقم سجل (١٠٠)[2]مؤرخة بين أعوام ٢٤٢ـ٢٤٧هـ/ ٨٥٦ـ٨٦١م تكمن أهميتها فى أنها تكشف حقائق تاريخية مهمة عن إقطاعات الخلفاء للوزراء وأملاكهم وسائر أعمال الأقاليم. والبردية صغيرة نسبيًا (٥ ,١١سم × ١٦سم) تتكون من (٥) سطور نصُّها هكذا:

١ـ (بسم) الله الرحمن الرحيم

٢ـ (هذا كتاب) من محمد بن وكيل الأمير.

٣ـ (الوزير الفتح) بن خاقان لقلته بن بقيم من سكان قلندون من ضياع الأمير.

---

(١) كُتبت فى البردية (كين) والصحيح (يكن).

(٢) د. جروهمان: المرجع السابق جـ٣، ص١٠٣.

٤ـ (أ) يده الله أنى أمرت بترك العرض له والو ( ).

لوحة رقم (٣): بردية عربية محفوظة فى دار الكتب المصرية برقم سجل (١٠٠) موضوعها (أمر موجه من نائب الوزير الفتح بن خاقان إلى أحد أهالى ضيعة الأمير) مؤرخة بين أعوام ٢٤٢ـ٢٤٧هـ/ ٨٥٦ ـ ٨٦١م.

٥ـ (بعد) قرى عليه كتابى هذا.....

وفى هذا الخصوص يذكر الدكتور جروهمان بعض الحقائق التاريخية عند شرحه وتعليقه على هذه البردية فيقول: «منح الخليفة العباسى المتوكل، الوزير الفتح بن خاقان الذى كان قد جعل على بيت المال خلفًا للفضل بن مروان سنة ٢٣٣هـ إقطاع مصر خلفًا لابنه ولولى عهده محمد (المنتصر) فى شهر ربيع الأول سنة ٢٤٢هـ/ أغسطس ٨٥٦م وأصبح للفتح بن خاقان الحق فى استخلاف من يحكم هذه البلاد نيابة عنه..»[١].

(د) بردية عربية موضوعها (إحصاء الحيوان فى قرى مختلفة) محفوظة أيضًا فى دار الكتب المصرية برقم سجل (٤١١) تُنسب للقرن ٣هـ/ ٩م[٢]. تتضمن نصًا يتعلق بالمراعى والماشية وهى تعكس النشاط الملحوظ للنواحى الاقتصادية والزراعية فى مصر فى هذه الفترة من الزمن حيث كانت تسجل معلومات وإحصاءات حول المراعى وما تضمُّه من حيوانات ومواشى إما لخدمة الأراضى الزراعية أو للرعى وللتجارة وغيرها من المعلومات المهمة التى تخدم الباحثين فى مجال التاريخ الاقتصادى عند المسلمين فى القرون الثلاثة الأولى للهجرة،

نص البردية الوجه[٣]

١ـ ( ) و(كباش.........

٢ـ يعقوب والراعى نفسه مما أحضر بلتوس هندوه مما (أحضر)......

٣ـ بد نجاشه كباش

---

(١) د. جروهمان: المرجع السابق جـ٣، ص١٠٤، الكندى: الولاة ص٢٠٣، ٢٠٤.

(٢) د. جروهمان: المرجع السابق جـ٤، ص١٧٣.

(٣) د. جروهمان: المرجع السابق جـ٤، ص١٧٣ـ١٧٩.

٤ـ فلذلك

٥ـ ....

٦ـ فلذلك

٧ـ قرية تدعى طيموه وبويط بسم الله الرحمن الرحيم

٨ـ ثيدر أيوب والراعى نفسه جرجا نحاس والراعى نفسه كباش

٩ـ نوهه ابلوا والراعى سسنه هـ ( ) والرعى نفسه كباش

١٠ـ كباش

١١ـ وله مع مقاره كباش بدر (سوره) بقام والرعى

١٢ـ وله مع مقاره كباش وله كباش

١٣ـ وله مع مقاره كباش جرجه الحارس مما أحضر بسندروف

١٤ـ وله والراعى هلس كباش

(هـ) بردية عربية تتعلق بسجلات أراضٍ زراعية وحاصلات مختلفة ـ محفوظة حاليًا فى مجموعة ناصر الخليلى[١] بإنجلترا برقم سجل (inv. No, 76) بعداها ٥ , ١٧×٥ , ٣٣ سم تُنسب للقرن ٣هـ/ ٩م، وردت بها عبارات عن مساحة الأراضى الزراعية وبعض المحاصيل مثل الكروم والأجنة.... وغيرها. ويُلاحَظ أن البردية تتضمن أيضًا مساحات الأراضى الزراعية بالفدادين [٢] مما يدل على الدقة التى كانت سائدة فى هذه الفترة حيث كانت تقاس مساحات الأراضى الزراعية وتقدر محاصيلها الزراعية باختلاف أنواعها حتى يتم عمل كشوفات الجزية والخراج بشكل دقيق، وذلك لأنه كما ذكرت من قبل أن الجزية والخراج كانت تُعَدُّ من أهم مصادر الدخل فى الدولة الإسلامية خلال القرون الأولى للهجرة؛ لذلك كانت العناية بمساحات

(1) Geoffrey Khan; Arabic Papyri Selected Material from the Khalili Collection. Oxford University. 1992. P. 57.

(٢) الفدان: المزرعة، وفى المساحة: أربعمائة قصبة مربعة وهى كلمة سريانية، وفدان الأرض عند الفلاحين: ما يحرثه الفدان فى يوم واحد قاموس المنجد فى اللغة والأعلام ـ طبع بيروت سنة ١٩٨٦م، ص٥٧٢.

الأراضى الزراعية فى العديد من المدن والقرى أمرًا ضروريًا لتحديد ميزانية الدولة وسائر نفقاتها.

نص البردية: كتابة الوجه Recto [1]

١ـ بسم (الله) الرحمن الرحيم

٢ـ كتاب جماعة ما (ارتفع)

لوحة رقم (٤): بردية عربية بدار الكتب المصرية برقم سجل (٤١١) تنسب للقرن ٣هـ/ ٩م موضوعها (إحصاء الحيوان فى قرى مختلفة).

٣ـ من مساحة كورة دلاص وقرى أهنا (س)

٤ـ من أرض الزرع والكروم والأجنة وغير ذلك ( )

٥ـ (فيها) من كورة دلاص ثمنية ألف وتسعة وثلثين (فدانًا)

٦ـ من ذلك أرض السجلات ثلثة ألف وثمانى مائة (وأربعين فدانًا وأربعة فدادين)

٧ـ الفضل على السجلات ألفين وثلثمائة وأربعة (فدادين)

٨ـ زرع الأمير حفظه الله (ستين فدان/ ستة فدادين)

٩ـ قطيعة عبد....... (

١٠ـ ومنها قرى أهناس خمسة ألف وأربع مائة (وستة وثلثين)

١١ـ (فدانًا)

١٢ـ من ذلك أرض السجلات أربعة ألف ومائتين وخمسة وأربعين (فدانًا)

١٣ـ الفضل على السجلات ألف ومائة وتسعين فدانًا ( )

١٤ـ فجميع فضل كورة دلاص وقرى (أهناس)

١٥ـ على السجلات ( )

---

(١) انظر اللوحة المرفقة.

كتابة الظهر Verso

١٦ـ وبويط وقرى أهناس

البرديات العربية مصدر من مصادر الحضارة الإسلامية

١ـ تعريف الحضارة:

ذكر الفيروز آبادى فى قاموسه عند تعريفه مادة (حضر) بأن «الحاضرة والحضارة خلاف البادية، وأن الحاضر خلاف البادى»[(١)]. وفى تعريف أكثر توضيحًا للحضارة يذكر المؤرخ ابن خلدون: «إنما تكثر العلوم حيث يكثر العمران، وتعظم الحضارة والسبب فى ذلك أن تعليم العلم من جملة الصنائع التى تكثر فى الأمصار، وعلى نسبة عمرانها فى الحضارة والترف حيث نسبة الصنائع فى الجودة والكثرة وذلك لأنه أمر زائد على المعاش...». وفى موضع آخر يذكر: «أن الملك زائد على الرئاسة، وأن الحضارة زائدة على الضرورى من العمران، وأن الترف زائد على الحضارة...»[(٢)].

لوحة رقم (٥): بردية محفوظة فى مجموعة ناصر خليلى فى إنجلترا تُنسب للقرن ٣هـ/ ٩م موضوعها (سجلات أراضى زراعية وحاصلات مختلفة).

ومن ناحية أخرى فإن بعض الباحثين المعاصرين[(٣)] قد ذكر تعريفًا مختصرًا للحضارة يتماشى تقريبًا مع المعانى السابقة فذكر أن: «الحضارة ـ فى مفهومها العام ـ هى ثمرة كل جهد يقوم به الإنسان لتحسين ظروف حياته، سواء أكان المجهود المبذول للوصول إلى تلك الثمرة مقصودًا أم غير مقصود، وسواء أكانت الثمرة مادية أم معنوية».

وواقع الأمر أن المتأمل فى التعريف الأخير يلاحظ أن مفهوم الحضارة مرتبط ارتباطًا شديدًا بالتاريخ وذلك لأن التاريخ كما ذكرت من قبل علم يبحث فى وقائع

---

(١) الفيروز آبادى (مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادى): القاموس المحيط ـ الطبعة الثانية ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م، ص٤٨٢.

(٢) ابن خلدون (عبد الرحمن بن محمد) ت: ٨٠٨هـ/ ١٤٠٦م: المقدمة ـ طبع بيروت ١٩٦١م، ص٧٧٧.

(٣) د. حسين مؤنس: المرجع السابق ص١٣.

الزمان، والناتج الحضارى يحتاج إلى زمن لإظهار ثمرته، فكما أن ثمار الأشجار لا تنضج إلا بفعل الزمن ومرور وقت لنضجها إذ لا يمكن أن تزرع وتحصد الثمار فى وقت واحد معًا، فإن ثمار الحضارة لا تظهر إلا بإضافة الزمن إلى جهد الإنسان.

من ذلك كله ندرك تمامًا أن للحضارة مفهومًا ومعنى شاملًا يتسع تقريبًا لنشاط الإنسان منذ أن وُجد على ظهر الأرض، وفى العصر الإسلامى اتخذت الحضارة مفهومًا مثاليًا وذلك لارتباطها بتعاليم السماء وبهدى خاتم الأنبياء؛ حيث استطاعت القبائل العربية التى عاشت حياة البداوة قبل الإسلام التغلغل فى مواطن الحضارة الفارسية والرومانية فاستوعبتها ونقلتها للعربية وأخذت منها ما يناسب الدين الإسلامى وتركت كل ما يخالف العقيدة، بل أضاف علماء العرب[1] فى شتى فروع العلم إضافات جديدة مما فتح الله عليهم من نور العلم والإيمان فأصبحت الحضارة الإسلامية بوتقة عالمية انصهرت فيها حضارات الأمم السابقة مضافًا إليها حضارة الإسلام وتعاليمه الغراء التى امتنَّ الله تعالى على عباده الصالحين.

٢ـ إنصاف أهل الذمة فى نصوص البرديات العربية كمظهر من مظاهر الحضارة الإسلامية:

مما لا شك فيه أن البرديات العربية وما تحويه نصوصها من موضوعات متعددة ومتنوعة بداية من عهد الخلفاء الراشدين حتى نهاية العهد العباسى تشمل تقريبًا جميع نواحى الحياة فى الدولة الإسلامية، وهى فى واقع الأمر زاخرة بمعلومات غنية عن الحضارة الإسلامية ممثلة فى سياسة الخلفاء والولاة مع العمال والرعية من مسلمين وأهل ذمة، وهى كذلك توضح حسن سير الإدارة الإسلامية فى الأقاليم والولايات التابعة للدولة، أيضًا نجد فى نصوص بعض البرديات العربية معلومات عن تنظيم

---

(١) منهم على سبيل المثال: ابن سينا (وُلد سنة ٣٧١هـ / ٩٨٠م)، ابن الهيثم (٣٥٤ـ٤٣٠هـ / ٩٦٥ ـ ١٠٣٨م)، البيرونى (٣٥١ ـ٤٤٠هـ)، جابر بن حيان (ولد سنة ١٢٠هـ)، الخوارزمى (توفى سنة ٢٣٢هـ)، الكندى (١٨٥ـ٢٥٢هـ)، موسى بن شاكر (عصر الخليفة العباسى المأمون)، ثابت بن قرة (٢٢١ـ٢٨٦هـ/ ٨٣٥ـ٩٠٠م)، أبو بكر الرازى (٢٤٠ـ٣٢٠هـ/ ٨٥٤ـ٩٣٢م)، المجريطى (٩٥٠هـ/ ١٠٠٧م).... وغيرهم.

انظر فى ذلك: د. عبد الحليم منتصر: تاريخ العلم ودور العلماء العرب فى تقدمه ـ الطبعة الأولى ـ دار المعارف بمصر ١٩٦٦م، ص١٣٤ـ١٨٧.

عمل الدواوين ومراجعات الكشوفات والتقارير والسجلات لحصر مصادر الدخل بدقة وكذلك تحديد أولويات الإنفاق والمخصصات والعطايا ليس للجند فحسب بل لأبنائهم وذويهم وأرامل الجنود وكل المستحقين من فقراء ويتامى وغيرهم. ومن الأمور الجديرة بالذكر والملاحظة وجود العديد من الشكاوى والتظلمات مرفوعة من قِبل بعض أهل الذمة (يهود ونصارى) للخلفاء والولاة لأخذ حقوقهم إما من أصحاب العمل وإما فى قضايا ثنائية بين طوائف الملة الواحدة، ويلاحَظ أن الخلفاء والولاة يعطون هذه الشكاوى والتظلمات عناية خاصة وإنصاف المظلومين وإعطاء كل ذى حق حقه، كما نلاحظ أيضًا عدم التعسف فى جباية الجزية والخراج الواجبة على أهل الذمة، ولقد أشارت العشرات من نصوص البرديات العربية إلى هذه الحقيقة ومنها على سبيل المثال بردية عربية محفوظة فى دار الكتب المصرية موضوعها (أمر خاص بالدفع موجه من أهل شبراجيه بنوتيه وما يجاورها)[1] مؤرخة فى شهر صفر سنة ٩١هـ/ ديسمبر ٩٠٧م. تذكر هذه البردية حقيقة بالغة الأهمية وهى أن الجزية التى قُررت على أهل شبراجيه من قرية قوم اشقاو مقدارها (٣٧) دينارًا عددًا وهى أيضًا جزيه متأخرة من أكثر من ثلاث سنوات؛ حيث إن البردية مؤرخة كما أشرت من قبل فى شهر صفر سنة ٩١هـ.

نص البردية:

١ـ بسم الله الرحمن الرحيم.

٢ـ هذا كتاب من قرة بن شريك.

٣ـ لأهل سبراجيه (بنوتيه) كوره اشقوه.

٤ـ أنه أصابكم من جزية سنة ثمان وثمنين سبعة.

٥ـ وثلثين دينرا عددًا وكتب راشد فى.

٦ـ صفر من سنة إحدى وتسعين.

---

(١) هذه البردية تحمل رقم سجل (٣٣٦) وهى عبارة عن قطعتين من ورق البردى الأولى بعداها ٦, ٨ × ٢١ سم وهى القطعة الصغيرة، أما القطعة الكبيرة فبعداها ٧, ١١ × ٨, ٢٠سم، د. جروهمان: المرجع السابق جـ٣، ص٥١ـ٥٣.

وفى واقع الأمر فإن المتأمل فى نصوص البرديات العربية التى تتعلق بجباية الجزية والخراج وتقارير السجلات الإحصائية لأهل الذمة وقوائم الحرفيين والصنَّاع والتجَّار وغيرهم يلاحظ أن المسلمين لم يستخدموا العنف والقسوة مع من خالفهم فى العقيدة كما زعم بعض غلاة المستشرقين أمثال المستشرق B. Evetls محقق كتاب **ساويرس ابن المقفع «سير آباء الكنيسة القبطية فى الإسكندرية»** وكما هو معلوم فإن ساويرس ابن المقفع مسيحى يعقوبى شغل منصب أسقف فى كنسية الأشمونين نحو سنة ٩٥٨م[١] وكتابه مليء بالأكاذيب والوقائع المزورة، ولقد نبه العديد من الباحثين إلى توخى الدقة والحذر عند النقل منه ومنهم على سبيل المثال الباحثة نبية عبود Nabia Abbot[٢] ـ أيضًا حذر المستشرق أيدرس بل H.I. Bell من هذا الكتاب[٣].... وفى هذا الخصوص أذكر إشارة واحدة على سبيل المثال وردت فى كتاب ساويرس بن المقفع السابق الإشارة إليه تتعلق أيضًا بجمع الجزية والخراج وهى تخالف الحقيقة التى أوردتُها من قبل فى الوثيقة البردية السابق ذكرها والمؤرخة بعام ٩١هـ، فذكر ساويرس عن والى مصر عبد العزيز بن مروان الذى حكم مصر بين أعوام ٦٥ ـ ٨٥هـ أنه حاول إيقاف هروب الأقباط إلى الأديرة عندما لاحظ موجة الترهب التى لازمت بعض الأقباط فى زمنه حيث كانت الجزية لا تجبى من الرهبان المنقطعين للعبادة فى الأديرة، فذكر: «أنفذ عبد العزيز بن مروان صاحبًا له يأمن إليه ومعه آخر فأحصى[٤] جميع الرهبان فى كل الكور ووادى هبيب وجبل جراد وسائر الأماكن وجعل عليهم جزية دينارًا واحدًا على كل نسمة وأمرهم ألا يرهبوا أحدًا بعد من أحصاه وهذا أول جزية وزنوها الرهبان..»[٥] هذه العبارة تتناقض مع الوثيقة البردية السابق ذكرها وهى

---

(١) د. أحمد مختار عمر: تاريخ اللغة العربية فى مصر ـ طبع الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر بالقاهرة ١٩٧٠م، ص٢٢.

(2) Nabia Abbott; the Kurrah Papyri from Aphrodito in the Oriental institute Chicago. 1938.

(3) Bell. H.i, the Administration of Egypt under the Umayyed Khalifs. P. 284.

(٤) فى هذا الخصوص ذكر المستشرق B. Evetls وهو محقق كتاب ساويرس بن المقفع عند قراءة عبارة بن المقفع عن عبد العزيز بن مروان (فأحصى الرهبان.. وجعل عليهم الجزية...) قرأ فأحصى (فأخصى) وترجمتها بالإنجليزية Mutilated وربما تعمد هذه القراءة حيث ترتب عليها العديد من الافتراءات الظالمة على حكم الولاة الأمويين فيما بعد. د. أحمد مختار عمر: المرجع السابق ص٢٥.

(٥) ساويرس بن المقفع (القرن ٣هـ/ ٩م): سير آباء الكنيسة القبطية فى الإسكندرية ـ تحقيق س. ف سيبولد، طبع لبسالا سنة ١٩٠٤م، ص١٤٥.

إلى حد ما قريبة من ولاية عبد العزيز بن مروان الذى انتهى حكمه لمصر سنة ٨٥هـ ـ والجزية التى تمت جبايتها والتى وردت فى الوثيقة كانت من متأخرات عام ٨٨هـ... ومقدارها (٣٧) دينارًا عن كل قرية شبراجيه وتوابعها ـ ونلاحظ أن حديث ساويرس ابن المقفع السابق ذكره الذى يزعم فيه أن عبد العزيز بن مروان فرض دينارًا واحدًا على كل نسمة ـ فلو كان هذا الزعم حقيقيًا لكانت الجزية أكثر من هذا بكثير ـ فلا يُعقل إطلاقًا أن يكون عدد سكان شبرااجيه وتوابعها (٣٧) شخصًا ـ ولكن الشيء المؤكد أن هذه الجزية كانت على القادرين الذين يمارسون عملًا أما أغلب أهل القرية من صبية وأطفال وشيوخ ورهبان وراهبات وقساوسة ونساء وعجزه وأرامل وأيتام... وغيرهم مما لا تجب عليهم الجزية والخراج فلا تدخل فى حسابها، وهذه العدالة تعتبر فى واقع الأمر من أبرز سمات العصر الإسلامى فى القرون الأولى للهجرة[١] ومن ناحية أخرى فإن العديد من عقود البيع والشراء التى كُتبت على ورق البردى خلال القرون الثلاثة الأولى للهجرة كشفت أيضًا عن جوانب حضارية تمثلت فى ارتضاء بعض أهل الذمة فى إنفاذ عقود بيعهم وشرائهم وفق شريعة الإسلام الغراء ـ ربما لثقتهم المطلقة فى عدالة هذه الشريعة وإنصافها للمظلومين ولأنها شريعة منزهة عن النقائص وتحفظ حقوق كلا الطرفين، ولعل الدليل على ذلك وجود العشرات من هذه العقود محفوظ فى عدد كبير من المكتبات والجامعات والمعاهد العالمية، منها على سبيل المثال دار الكتب المصرية التى تحتفظ بأعداد منها أحدها عقد بيع منزل يحمل رقم سجل[٢] (١٧٩٤ تاريخ) كُتب على ورق أبيض سميك مصبوغ ظهره بلون أصفر طوله ٣٦,٢ سم وعرضه ٣٦,٨سم وهو فى حالة جيدة نقرأ فى السطور الأربعة الأولى هذا النص:

١ ـ أعرفا البايعين بقبض الثمن من المشتريات بالإحازة وكتب سليمان بن إدريس فى تاريخه.

---

(١) على العكس من ذلك تمامًا فإن الأقباط فى مصر ذاقوا ألوانًا مختلفة من العذاب والاضطهاد والظلم على أيدى الرومانيين قبل الفتح العربى لمصر، وفى هذا الخصوص يذكر المستشرق مليان أن الرومانيين فرضوا الضرائب على جميع ممتلكات الأقباط من ماشية ومنازل وصناعات حتى إنها فُرضت على الموتى فكان لا يُسمح بدفن الموتى إلا بعد سداد ضريبة معينة.

Milne, J.G: History of Egypt Under Roman rule - London. 1898. PP. 115-116.

(٢) د. جروهمان: المرجع السابق جـ١، ص١٦٦.

٢ـ بسم الله الرحمن الرحيم

٣ـ هذا ما اشترا متوس بن ثيدر وزوجته سرنه ابنت سله بن هرمينة من بلهيوا ابنت قوريل ومن والدتها قرهيوه ابنت قرى وهما جميعًا من أهل الضيعة المعروفة ببلجسوق قرية من قراكورة.

٤ـ الفيوم اشتروا منها بصفقة واحد وعقد واحد جميع المنزل الذى هو ملكها إرثًا عن والدها قوريل وعمها ببنوده الشماس فى القبله المعترفة بحارة الكلابين من شرق هذه الضيعة.

وفى السطر الثانى عشر من العقد نقرأ هذه العبارة:

١٢ـ كاين ما كان وبالغ ما بلغ وعلى بيع الإسلام وعهدتهم وذلك فى صحة عقلهم وأبدانهم وجواز أمورهم طايعين غير مكرهين ولا مجبرين طيبة بذلك أنفسهم وكتب فى رجب سنة ست وأربع مائة[١].

وفى واقع الأمر إن ارتضاء بعض أهل الذمة إنفاذ عقود بيعهم وشرائهم وفق شريعة الإسلام الغراء إنما يعد دلالة واضحة على عدالة هذه الشريعة وأنهم يعيشون وسط مجتمع آمن كفل لهم حقوقهم وحفظ لهم ممتلكاتهم، وفى هذا الخصوص يشير المستشرق أ. س ترتون بقوله: «إن المسلمين منذ بداية عهدهم لم يحتلوا أى كنيسة ولم يتدخلوا فى شئون الأقباط، وأن عمرو بن العاص لم يمد يده إلى أى شىء من أملاك الكنائس[٢]. وفى نقطة أخرى يشير إلى أن أول كنيسة بُنيت فى مدينة الفسطاط كانت فى ولاية مسلمة بن مخلد الأنصارى ٤٧ـ٦٨هـ ـ ويذكر أيضًا أنه عندما أنشأ عبد العزيز بن مروان مدينة حلوان سمح بإقامة كنية بها ثم أنشئت كنيسة ثانية فى عهده وبعض الأديرة»[٣]، أيضًا ذكر المسعودى وصفًا شاملاً لأحد احتفالات الأقباط

---

(١) هناك العديد من هذه العقود بدار الكتب المصرية، منها عقود تحمل أرقام سجل رقم ١٨٦٥ تاريخ مؤرخ فى ذى القعدة سنة ٢٣٩هـ، ورقم (١٨٩٩ تاريخ) مؤرخ فى المحرم سنة ٣٤١، ورقم (١٩٠٣ تاريخ) مؤرخ فى جمادى الآخرة سنة ٣٤١هـ، ورقم (١٧٩٨ تاريخ) مؤرخ فى شهر رجب سنة ٤٢٣هـ... وغيرها).

(٢) أ. س ترتون: أهل الذمة فى الإسلام ـ ترجمة د. حسن حبشى. طبع دار الفكر بالقاهرة سنة ١٩٤٩م.

(٣) د. أحمد مختار عمر: المرجع السابق ص٢٤.

فى مصر وفيه إشارة واضحة لمشاركة الحكام المسلمين فى أعياد واحتفالات النصارى.

«فقال: إنه فى سنة ٣٣٠هـ وفى ليلة الغطاس أمر محمد بن طغج الإخشيد والى مصر عندما كان فى قصره المعروف بالمختار فى جزيرة الروضة بإنارة جانب الجزيرة وجانب الفسطاط بالإضافة إلى ما قام به أهل مصر من إنارة المشاعل والشمع فى أنحاء مختلفة احتفالًا بهذا العيد»[١]. وفى هذا إشارة واضحة إلى مشاركة جميع الشعب المصرى والحاكم فرحة وبهجة الأقباط فى عيدهم. وهى تعد مظهرًا راقيًا من مظاهر الحضارة وعدم التعصب. وفيه أيضًا دحض للافتراء الظالم الذى ورد فى كتاب **يوحنا بن النقيوسى** السابق ذكره عن عبد العزيز بن مروان من قسوته فى جباية الجزية والخراج وهذا يتناقض تمامًا مع ما ذكره أ.س. ترتون من أن عبد العزيز بن مروان أمر بإنشاء كنيستين وديرين فى مدينة حلوان بعد تأسيسها[٢].

وبالإضافة إلى ذلك أظهرت بعض عقود العمل التى كتبت على ورق البردى مدى ما تمتع به بعض أهل الذمة من ممارسة أعمال تتناسب مع قدراتهم وحفظ جميع حقوقهم المالية وأجورهم، من هذه العقود عقد محفوظ فى دار الكتب المصرية برقم سجل (٩٦) مؤرخ بسنة ٢٢٧هـ / ٨٤١م، صاحب العمل يُدعى سعيد بن عيسى أما العامل فهو أحد أهل الذمة ويدعى هارون بن بقام مدة العمل شهران ـ ونلاحظ أن العقد حدد **أجرة مناسبة للعامل وهى (سدس دينار) على أن تدفع له على مرحلتين لكل شهر درهمان.**

---

(١) ذكر هذه الواقعة الدكتور أحمد مختار عمر: المرجع السابق ص٢٥.

(٢) أرجع بعض الباحثين أسباب اضطهاد الأقباط فى العصر الإسلامى إلى ظهور خلافات وصراعات فيما بينهم فذكر يحيى بن سعيد الأنطاكى «أن أهل مصر انقسموا إلى قسمين وكذلك تحزب أهل تنيس إلى حزبين، وصار حزب من الكهنة والعلمانيين مع البطريرك وحزب منهم عليه، وكان كل فريق منهم يصلّون فى كنيسة مفردة حتى كان الأب لا يكلم ابنه ولا المرأة تخاطب بعلها، ويستعين كل فريق منهم على الآخر بالسلطان، وخرج جماعة من النصارى من أهل تنيس إلى الإخشيد ساعين به رافعين إليه.. ثم ذكر يحيى بن سعيد الأنطاكى أنه عقب هذه الوشاية أرسل الإخشيد من قام بنهب إحدى الكنائس». انظر: يحيى بن سعيد مقاله المنشور فى مجلة Patrologia Orientalis 1929-1932. أيضًا ذكر فى هذا الخصوص المستشرق أ.س ترتون فى كتابه «أهل الذمة فى الإسلام»: بأن كثيرا من الظلم الذى لحق بالأقباط مصدره أنفسهم ومرده الغيرة الدينية بين أتباع الدين الواحد، د. أحمد مختار عمر: المرجع السابق ص٢٤.

نص العقد:

١ـ بسم الله الرحمن الرحيم

٢ـ هذا ما استأجر سعيد بن عيسى استأجر هارون بن بقام استأجره

٣ـ سعيد بن عيسى شهرين كاملين على أن يعمل له عمل الفول وعلى أن

٤ـ يعطيه فى هذين الشهرين سدس دينر لكل شهر درهمين

٥ـ وأول يوم من الشهر أو يوم من كهيك من شهور العجم

٦ـ من سنة متين وسبعة وعشرين شهد على ذلك

٧ـ أيوب بن موسى وكتب شهادته

٨ـ ومحمد بن أتوب وكتب بخطه

٣ـ نماذج مختارة من نصوص برديات عربية تكشف عن بعض جوانب الحضارة الإسلامية:

(أ) التماس مرفوع من بعض أهل الذمة إلى الخليفة العباسى المعتز بالله

هذا الالتماس محفوظ فى دار الكتب المصرية برقم سجل (الطراز رقم ٣٨٠٧) يرجع تاريخه إلى أعوام ٢٥٢ـ٢٥٥هـ / ٨٦٦ـ٨٦٩م. بعداه ١١,٥ × ٣٤سم[١]. ترجع أهمية هذا الالتماس إلى كونه مرفوعًا من بعض أهل الذمة إلى القيادة العليا فى الدولة ممثلة فى الخليفة العباسى «**أبو عبدالله محمد المعتز بالله بن المتوكل**» الذى تولى الخلافة فى الرابع من شهر المحرم سنة ٢٥٤هـ إلى ٢٧ رجب سنة ٢٥٥هـ[٢]. وهو يكشف مدى ما تمتع به أهل الذمة من حرية فى رفع التماساتهم وتظلماتهم إلى ذوى الشأن فى الدولة لحفظ حقوقهم ورعاية شئونهم، وهذا الأمر يتناقض تمامًا مع ما ذكره ساويرس بن المقفع فى كتابه السابق الإشارة إليه «سير آباء الكنيسة القبطية فى الإسكندرية» حيث أورد فيه عبارات تدل على اضطهاد ولاة أمور المسلمين من خلفاء وولاة لأهل الذمة فذكر على سبيل المثال هذه العبارة[٣]:

---

(١) د. جروهمان: المرجع السابق جـ٣، ص١٠٩ـ١١٠ انظر اللوحة المرفقة.

(2) Zambaur; Manuel de genealogie et de Chronologie. Hanofer 1917. P. 4.

(٣) ساويرس بن المقفع: المصدر السابق ص١٤٩.

عن ولاية الوالي قرة بن شريك العبسي ٩٠ ـ ٩٦هـ / ٧٠٩ ـ ٧١٥ [١]:

«وكانوا الناس يهربوا ونسائهم وأولادهم من مكان إلى مكان ولا يأويهم موضع من أجل البلايا ومطالبات الخراج وعظم ظلمه أكثر ممن تقدمه ثم إنه ولى إنسان اسمه عبد العزيز من مدينة سخا وكان يجمع الهاربين من كل موضع ويردهم ويربطهم ويعاقبهم ويعيد كل منهم إلى موضعه».

والالتماس الذى نحن بصدده على الرغم من فقدان أجزاء كبيرة منه حيث تطرق إليه التلف فإن ورود اسم الخليفة به مقترنًا بتظلم بعض أهل الذمة يدل دلالة واضحة على حرية الرأى والتعبير ورفع المظالم للقيادات العليا فى الدولة لأجل النظر فيها والعمل على حلها.

نص الالتماس:

١ـ بسم الله الرحمن الرحيم

٢ـ هذا كتاب لعبد الله أبى عبد الله الإمام المعتز بالله أمير المؤمنين

٣ـ أطال[١] الله بقاه افخر من أبى ربعى واسماعيل بن داود بن يزيد المقاطعين على مجلس ستر....

٤ـ (.....) ( ) بن يحنس وشنوته بن اصطفى ويعقوب مينا فيساط

٥ـ ( ) ا (..........) ساوكنن النجار وبيبه بن هشام ويحنس بنيه

٦ـ ( ) ا ( ) ا

(ب) وصفة طبية كُتبت على ورق البردى لعلاج بعض الأمراض تُنسب للقرن ١هـ/ ٧م

---

(١) أظهرت العشرات من البرديات العربية عدالة هذا الوالى ومتابعته لعماله على الأقاليم وحرصه على الفصل فى قضايا أهل الذمة ورعاية مصالحهم ـ انظر فى ذلك برديات بدار الكتب المصرية أرقام سجل (٣٤١) مؤرخ فى شوال سنة ٩١هـ / أغسطس ٧١٠م ـ موضوعها: تحذير موجه إلى عامله بسيل عن تقصيره فى أداء واجباته وتعليمات تقضى بحضوره إلى دار الإمارة ومعه أوراقه». انظر فى ذلك: د. جروهمان: المرجع السابق جـ٣، ص٣. د. إبراهيم العدوى: ولاية قرة بن شريك على مصر فى ضوء أوراق البردى ـ المجلة التاريخية المصرية ـ مجلد ١١ ـ سنة ١٩٦٣.

هذه البردية منفذة على قطعة صغيرة من ورق البردى بعداها ٥ × ١٢سم ـ عدد سطورها ستة سطور كُتبت بمداد أسود بخط التحرير المخفف، وهى محفوظة حاليًا فى متحف الفن الإسلامى بالقاهرة[١]، وأسلوب كتابتها يتناسب مع الخطوط المنفذة فى برديات القرن الهجرى الأول. والبردية بصفة عامة تتحدث عن علاج بعض الأمراض الشهيرة باستخدام بعض الوصفات الطبية للعلاج بالأعشاب ومن هذه الأمراض «**أمراض الحما والمغص والزحير ولدغ العقرب والحية وأمراض الأطفال والطحال وأمراض النساء والرمد**». أما بالنسبة للأعشاب الطبية المستخدمة فى العلاج فقد وردت فى البردية نباتات مختلفة تكثر زراعتها فى البلاد العربية منها نبات الشعير وكما هو معروف فإن شرابه مبرد للبطن ومدرٌّ للبول وكان يُستعمل أيضًا علاجًا موضعيًّا، ونبات الحلبة يستعمل لإدرار اللبن ولعلاج بعض أمراض النساء وإزالة تجاعيد الوجه والشيب والإسهال والصرع، ونبات الكسبرة كان يستعمل لعلاج التهاب الرحم وعلاج أمراض الأمعاء والبول الدموى، ونبات الطرفاء وهو نوع من النباتات تكثر فى سيناء وتفرز ماده سكرية وكان يؤتى بها من سيناء وتباع فى مدينة الفسطاط وكانت تُستعمل فى أمراض الحميات وأمراض الطحال وتقوية الباه. أيضًا ورد بالبردية العلاج بلبن الأم للعلاج حيث كان يستخدم علاجًا وغذاء للأطفال وعلاجًا موضعى للعين والأذن، والحمص كان دواءًا ناجعًا لعلاج بعض أمراض النساء وإدرار الطمث والبول وتفتيت حصى الكلى وتنشيط الدورة الدموية كما يساعد على إخراج الجنين، ونبات العديسة كان يستخدم فى علاج بعض أمراض العين وكان يستخدم أيضًا علاجًا موضعيًّا للأمراض الجلدية. أيضًا وردت بالبردية عبارة تفيد العلاج بالماء فى حالتيه البارد والفاتر، حيث يساعد على تنشيط الجسم ويساعد أيضًا على غسل المعدة وتسهيل عمل الكلى[٢]. وهذه الوصفات الطبية قد أيدتها الأبحاث الطبية المعاصرة، وهى إن دلت على شىء فإنما تدل على مهارة العرب والمسلمين منذ القرون الأولى للهجرة فى معرفة علاج بعض الأمراض باستخدام الأعشاب النباتية المتوافرة لديهم فى بيئتهم الصحراوية ومناطق معيشتهم.

---

(١) برقم سجل (٢٥٢٤٩٩) وهى ضمن مجموعة د. هنرى أمين عوض المهداة للمتحف باسمه.

(٢) د. هنرى أمين عوض: بردية طبية منذ فجر الإسلام ـ مركز الدراسات البردية والنقوش ـ جامعة عين شمس ١٩٨٧م ـ انظر اللوحة المرفقة.

نص البردية:

١ـ ( ) للبصر ( ) الـ ( )

٢ـ ( ) وعديسه وحد ( ) حموم تشربه بماء الشعير

٣ـ والحما تشربه بما الكزبر وللمغص والزحير تشربه بما فاتر وللعقرب

٤ـ والحية تشربه بما بارد وللصبى الذى يشتكى أذنه بلبن أمه

٥ـ وللطحال تشربه بما الطرفا ولريح الأرحام تشربه بما الحلبه

والحمص

(جـ) براءة ذمة مالية لأحد أهل الذمة مع التعهد بحمايته من قِبل عمال الأمير.

هذه البراءة كُتبت على قطعة من ورق البردى ـ محفوظة حاليًا فى مجموعة الأرشيدوق راينر فى فينا بالنمسا برقم سجل (PERE. No, 670)[١] مؤرخة فى شهر رمضان سنة ١٩٦هـ/ ٨١٢م ـ تكشف هذه البراءة عن حقائق بالغة الأهمية عن عدالة حكام وولاة أمور المسلمين مع أهل الذمة، منها:

١ـ حرص العمال على إعطاء براءة ذمة مالية لمن سدد ما عليه من خراج وجزية للدولة.

٢ـ تحديد اسم دافع الجزية مع بيان عمله وموطنه بالتحديد مع ذكر قريته.

٣ـ وصف شامل ودقيق لدافع الجزية حتى لا تختلط الأسماء ويقع لبس أو ظلم لأحدهم[٢].

٤ـ إقرار العامل بأنه تسلم من الذمى ما عليه من مبالغ مالية مع تحديد الفترة الزمنية الواجب استحقاق الجزية عنها.

---

(1) Grohman. A., Probleme Der Arabischen Papyrusforschung. 11. Reprinted from Archiv Orientalni vol. 6. 1934. No, 2.P. 393.

(٢) يتبين لنا ذلك من ورود عبارة فى السطر الخامس من البراءة ونصها:
«وهو مجتمع أبيض أقنى أزج أنزع سبط جثر الجسم»
وهو وصف دقيق وبالغ يشمل سبع صفات للشخص يمكن من خلالها تحديد شخصيته بدقة كاملة للعمال ورجال الشرطة فلا يحدث لبس أو خلل مع شخص آخر.

٥ـ أمر من العامل لجميع الجنود والأعوان بعد التعرض لحامل هذه البراءة إلا بخير.

٦ـ تاريخ تحرير هذه البراءة مع التصديق عليها بختم الديوان لتوثيقها.

وفى واقع الأمر إن المتأمل فى هذه البراءات ـ وهى عديدة ومتنوعة تزخر بها المتاحف والجامعات والمكتبات العالمية ـ يلاحظ أنها كفلت لأهل الذمة حقوقهم وأرواحهم وحفظت لهم هيبتهم وشخصيتهم بعدم التعرض لهم إلا بخير من قِبل العمل والأعوان ورجال الإمارة فى الدولة حتى يتمكنوا من ممارسة أعمالهم بحرية ونشاط. وكما هو معلوم فإن الجزية الواجبة على أهل الذمة كانت تُدفع لديوان بيت المال فى الدولة نظير أن تقوم الدولة برعاية شئونهم وحمايتهم، وهى فى واقع الأمر تعتبر قيمة مالية زهيدة كانت تسدد كل عام ـ لا تتعدى فى كثير من الأحوال نصف دينار أو دينارًا فى أغلب الأحوال وكانت لا تجبى من الفقراء والمساكين أو الشيوخ والعجزة واليتامى والأرامل والأطفال ورجال الدين الذين لا يمارسون أعمالًا تدر عليهم أرباحًا ومكاسب مالية ـ ونلاحظ أن البراءة[1] التى نحن بصددها تذكر أن الذمى الذى سدد الجزية يدعى (أبقيره الخباز) أى أنه كان يمارس «حرفه الخبازة»[2] وأن جزيته كانت نصف دينار عن سنة ١٩٥هـ. وتم سدادها فى رمضان سنة ١٩٦هـ أى بعد عام تقريبًا من ميعادها، وهذا التراخى يدل أيضًا على سماحة الولاة فى جبايتهم للجزية وعدم التعسف والقسوة فى جمعها منهم.

نص البراءة:

١ـ بسم الله الرحمن الرحيم

٢ـ هذا كتاب براه من يونس بن عبد الرحمن عامل الأمير عباد بن محمد ابقاه الله.

---

(١) هذه البراءات أيضًا تدحض مزاعم ساويرس بن المقفع ومن على شاكلته من المستشرقين الذين حاولوا النيل من عدالة ولاة أمور المسلمين وحكامهم مع أهل الذمة خلال القرون الأولى للهجرة.

(٢) الخبازة هى حرفة الخباز وصانع الخبز.

قاموس المنجد فى اللغة والأعلام: المرجع السابق ص١٦٧.

٣- على خراج كورة الفيوم ومعونتها وجميع أعمالها[١]

٤- لأبقيره الخباز من سكان أبابطره من مدينة الفيوم

٥- وهو مجتمع أبيض أقنى أزج أنزع سبط جثر الجسم[٢]

٦- أني قبضت منك جزية رأسك نصف دينر

٧- لخراج سنة خمس وتسعين ومايه فمن لقيه من عمال الأمير أبقاه الله

٨- وعمالي وأعواني فلا يعرض له إلا بخير إن شاء الله

٩- وكتب في شهر رمضان سنة ست وتسعين ومايه

١٠- (خاتم)[٣]

---

(١) معونتها وجميع أعمالها: المقصود بها القرى والتجمعات السكانية التابعة للفيوم.

(٢) وصف شامل وكامل لأبقيره فكان أبيض البشرة وأقنى أي به به احديداب في الأنف - أزج أي مستوى الحواجب من جراء حذف الشعر الزائد بها - أنزع أي انحسار الشعر عن جانبي جبهته وموضعه - سبط بمعنى مسترسل الشعر غير جعد - جثر الجسم أي ضخم الجسم سمين. انظر: الرازي: مختار الصحاح ص٢٨٣، ص٦٥٤ قاموس المنجد: المرجع السابق ص٧٧، ص٢٩٤.

(٣) الخاتم كان عادة من الطين تُختم به الوثيقة في نهايتها وهناك أعداد كبيرة منها.

انظر اللوحة المرفقة: في نهايات بعض البرديات العربية - هذا بالإضافة لأختام أخرى خاصة بالولاة والعمال تحمل ألقابهم وأسماءهم، وفي هذه الحالة يكون الختم من المعدن. وبمتحف الفن الإسلامي بعض هذه الأختام وكذلك بدار الكتب المصرية (قاعة البرديات).

المصادر والمراجع العربية والأجنبية

أولا: المصادر العربية:

١ـ ابن حجر العسقلانى (الحافظ أبو الفضل أحمد بن على بن محمد الكتانى) ت: ٨٤٠م فتح البارى بشرح صحيح البخارى ـ طبع دار الفكر ببيروت ـ دون تاريخ.

٢ـ ابن خلدون (عبد الرحمن بن محمد) ت: ٨٠٨هـ/ ١٤٠٦م: المقدمة طبع بيروت ١٩٩٦م.

٣ـ الرازى (محمد بن أبى بكر عبد القادر الرازى): مختار الصحاح ـ ترتيب محمود خاطر ـ المطبعة الأميرية بالقاهرة سنة ١٣٤٥هـ/ ١٩٣٦م.

٤ـ ساويرس بن المقفع (القرن ٣هـ/ ٩م): سير آباء الكنيسة القبطية فى الإسكندرية ـ تحقيق س. ف سيبولد ـ طبع ابسالا سنة ١٩٠٤م.

٥ـ السخاوى (شمس الدين السخاوى) ٨٣١ـ٩٠٢هـ/ ١٤٢٧ـ١٤٩٧م: الإعلان بالتوبيخ لمن ذم أهل التاريخ ـ طبع القاهرة.

٦ـ الفيروزآبادى (مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادى) ت:٨١٧هـ: القاموس المحيط ـ الطبعة الثانية ـ مؤسسة الرسالة ببيروت سنة ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.

٧ـ أبو المحاسن (جمال الدين أبو المحاسن يوسف بن تغرى بردى): النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة ـ طبع وزارة الثقافة والإرشاد القومى بالقاهرة سنة ١٩٦٣م.

٨ـ ياقوت (أبى عبدالله ياقوت بن عبدالله الحموى) ت: ٦٢٦هـ/ ١٢٢٨م: معجم البلدان ـ طبع دار صادر ببيروت سنة ١٩٨٤م.

٩ـ يحيى بن آدم (القرشى): الخراج ـ تحقيق: أحمد محمد شاكر ـ طبع دار المعرفة ببيروت.

١٠ـ أبو يوسف: الخراج ـ تحقيق د.محمد إبراهيم البنا ـ طبع دار الاعتصام بالقاهرة سنة ١٩٨١.

ثانيًا: المراجع العربية:

١١ـ د. إبراهيم العدوى: ولاية قرة بن شريك على مصر فى ضوء أوراق البردى ـ المجلة التاريخية المصرية ـ مجلد ١١ سنة ١٩٦٣م.

١٢ـ د. أحمد مختار عمر: تاريخ اللغة العربية فى مصر ـ طبع الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر بالقاهرة سنة ١٩٧٠م.

١٣ـ آدم ميتز: الحضارة الإسلامية فى القرن الرابع الهجرى ـ تعريب محمد عبد الهادى أبو ريده ـ الطبعة الرابعة ـ دار الكتاب العربى ببيروت سنة ١٩٦٧م.

١٤ـ ترتون. أ.س: أهل الذمة فى الإسلام ـ ترجمة د. حسن حبشى ـطبع دار الفكر، بالقاهرة ١٩٤٩م.

١٥ـ توفيق إسكندر: محاضرات فى علم الوثائق ـ طبع القاهرة سنة ١٩٥٥م.

١٦ـ د. جروهمان: أوراق البردى العربية بدار الكتب المصرية ـ مجلدات القاهرة، الطبعة الثانية ـ١٩٩٤م.

١٧ـ د. حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام السياسى ـ الطبعة الثانية ـ مكتبة النهضة المصرية بالقاهرة سنة ١٩٤٨م.

١٨ـ د. حسين مؤنس: الحضارة ـ سلسلة عالم المعروفة رقم (١) ـ الكويت ـ يناير ١٩٧٨م.

١٩ـ سالم الألوسى: الدبلوماتيك أو علم دراسة الوثائق ونقدها ـ طبع دار الحرية للطباعة بغداد سنة ١٩٧٤م.

٢٠ـ عاطف أبو زيد سليمان على: احياء الأراضى الموات فى الإسلام ـ رابطة العالم الإسلامى ـ مكة المكرمة ـ العدد رقم (١٦٤) شعبان ١٤١٦هـ.

٢١ـ د. عبد الحليم منتصر: تاريخ العلم ودور العلماء العرب فى تقدمه ـ الطبعة الأولى ـ دار المعارف بمصر سنة ١٩٦٦م.

٢٢ـ د. فالح حسين: تعريف بالوثائق البردية العربية وأهميتها فى دراسة التاريخ الإسلامى ـ مجلة مجمع اللغة العربية بالأردن ـ العدد رقم (٤٠) شوال ١٤١١هـ/ ١٩٩١م.

٢٣ـ فرانتس روزنتال: تاريخ علم التاريخ عند المسلمين ـ ترجمة د. صالح أحمد العلى ـ بغداد ١٩٣١م.

٢٤ـ د. محمود عباس حمودة: المدخل إلى دراسة الوثائق العربية ـ طبع دار الثقافة بالقاهرة ١٩٨٤م.

٢٥ـ د. هنرى أمين عوض: بردية طبية منذ فجر الإسلام ـ مركز الدراسات البردية ـ جامعة عين شمس ١٩٨٧م.

ثالثاً: المراجع الأجنبية:

26- Abbott (Nabia); The Kurrah Papyri from Aphrodito in the Oriental Institute - Chicago - 1938.

27- Becker (C.H.); Papyri schott - Reinhard T.I. Heidelberg. 1906.

Becker (C.H); Das Lateinische in den arabischen Papyrusprotokollen Strassburg. 1909.

28- Bell (H.i); The Administration of Egypt under the Umayyed Khalifs.

29- Geoffrey Khan; Arabic papyri Selected Material from the khalili Collection. Oxford university. 1992.

30- Grohmann. A; From the World of Arabic Papyri - Cairo 1952.

Grohmann. A; Encyclopaedia of Islam.

31- Martin Hinds & Hamdi Sakkout; Aletter from the Governor of Egypt to the king of Nubia and Muqurra - American University of Beirut 1981.

32- Milne (j.G); History of Egypt under Roman Rule. London. 1898.

ثالثا: الحضارة الإسلامية فى ضوء دراسات المستشرقين للبرديات العربية فى أوروبا

تمهيد:

تميزت مصر منذ آلاف السنين بزراعة نبات البردى وتصنيعه ورقًا حيث تمكن المصرى القديم من صنع لفائف غاية فى الإبداع من هذا الورق منذ أكثر من أربعة آلاف عام، بالإضافة للاستخدامات الأخرى فى الحياة اليومية فى مصر القديمة؛ حيث استُعمل فى صنع القوارب والسلال والحبال والحصر كما استخدمه المصرى القديم فى تسقيف المنازل، ووقودًا للتدفئة والطهى[1]... وغيرها من الاستخدامات إلا أن أبرز استخدام لهذا النبات كان تصنيعه ورقًا سجلت عليه العديد من ألوان وفنون الحضارة المصرية القديمة ثم الحضارة اليونانية الرومانية ثم استخدام البردى على نطاق واسع فى العهد الإسلامى حيث اعتنى الولاة بداية من عهد الخلفاء الراشدين حتى العهد العباسى بهذا النبات وبمصانعه التى كانت منتشرة فى العديد من مدن وقرى صعيد مصر فى الوجهين القبلى والبحرى حيث كان يصدَّر منذ القدم إلى العديد من دول العالم القديم وفى العهد الإسلامى فى المدينة المنورة والشام وبغداد.. وغيرها.

ونظرًا لأهمية ورق البردى ذكر المستشرق (جيس برستيد) هذه العبارة:

«كان لاختراع الكتابة واختراع استعمال ورق البردى أثر عظيم فى رفع مستوى الجنس الإنسانى أكثر من أى شىء آخر؛ لأنه أهم من جميع الحروب التى خاض

(1) Lucas A, Anciant Egyptian Materials and industries, London - 1934, P130.

الناس غمارها، وأهم من جميع النظم أو الدساتير التى وُضعت منذ أن خلق الله هذا الكون»[1].

العقل الحضارة:

وردت عدة تعريفات عن الحضارة أوردها بعض الباحثين، فقد ذكرها د. حسين مؤنس بقوله: «الحضارة ظاهرة إنسانية عامة موجودة ما وجد الإنسان الذى أنعم الله عليه بالعقل والإرادة والبيان، فالإنسان دائمًا قادر على تجميع خبراته واحتوائها وتذكرها والإفادة منها.. وهذا من دقة لفظ «العقل» فى العربية ومعناها الذى يقبض على الشىء ويعقله...[2].

وحول الحضارة الإسلامية يذكر المرحوم الشيخ الغزالى هذه العبارة: «الحضارة الإسلامية روحية مادية فى اعتدال وتناسق وتمازج عجيب وطريقها إلى ذلك:

١ـ ما نزل به الوحى السماوى على قلب محمد بن عبدالله ﷺ.

٢ـ ما توصل إليه العقل بالبحث العلمى.

٣ـ ما يكتسبه الإنسان بخبرته وتجربته وممارسته التطبيقية.

«فهى حضارة تحمل فى طياتها ما هو خالد. وتعتبر أن حاجة الدين إلى الدنيا كى يستقر ويمتد كحاجة الروح إلى البدى السوى كى يسمع ويبصر ويمشى على هذه الأرض»[3].

وحول حضارة المسلمين المستمدة من العقيدة الإسلامية الغراء يذكر المستشرق الإيطالى الشهير فرانشيسكو جابرييلى هذه العبارة: «ولد الإسلام فى منطقة صحراوية من العالم القديم، ولكنه سرعان ما تجاوزها وأصبح عقيدة تشعُّ منها قوة عجيبة أنتجت حضارة تدعو إلى الإعجاز رغم اختلاف البيئات والمستويات الثقافية التى

---

(١) د. حسن رجب: البردى ـ سلسلة اقرأ العدد رقم ٤٦٣ (دار المعارف) ـ أبريل ١٩٨١ـ ص٥.

(٢) د. حسن مؤنس: الحضارة ـ سلسلة عالم المعرفة ـ الكويت محرم ١٣٨٩هـ/ ١٩٧٨م، ص١٥.

(٣) محمد الغزالى: كيف نفهم الإسلام ـ طبع القاهرة، ص٥٢ـ٥٣.

ازدهرت فيها..»[1]، أما العقل فهو ما يعقله الإنسان ويدركه، ولقد أفاضت كتب اللغة فى تعريف العقل ولا داعى لتكرارها.

أبرز مجموعات البرديات العربية فى أوربا:

هناك العديد من مجموعات البرديات العربية تحتفظ بها بعض الجامعات والمعاهد العلمية ومراكز البحوث فى غالبية الدولة الأوربية بالإضافة إلى مجموعات أخرى تقتنيها بعض المتاحف التاريخية والفنية، هذا بالإضافة لبعض المجموعات الخاصة التى يمتلكها بعض الهواة.

ولقد بُدئ فى جمع وثائق البرديات العربية منذ عام ١٨٢٤م وذلك عندما عثر بعض الفلاحين فى منطقة سقارة بمحافظة الجيزة على جرة من الفخار وُجد بداخلها برديتان عربيتان، ونظرًا لعدم معرفتهم لمحتواهما وقيمتهما العلمية فإن هاتين البرديتين وصلتا بطريق أو بآخر لأحد ممثلى البعثات الأجنبية الأوربية فى مصر آنذاك ويدعى برناردو دروفيتى Bernardo Drovetti وكان يشغل منصب قنصل فرنسا بمصر[2]، ونظرًا لعدم معرفته أيضًا بمحتواهما العلمى فقد سلمهما لأحد المستشرقين المعنيين بعلم الآثار الإسلامية وهو البارون سلفستر دى ساسى Silvester De Sacy الذى اعتنى بهما مع برديات أخرى وصلت إليه عن طريق قنصل المملكة المتحدة (بريطانيا). بمصر ويدعى Henry Satt. وتجدر الإشارة إلى أن أول نشر علمى للبرديات العربية كان للبارون «سلفستر دى ساسى» فى مجلة العلماء Journal des Savants وذلك فى عام ١٨٢٥م[3]، ومنذ هذا التاريخ نشطت بعثات وقناصل وسفارات العديد من الدول الأوروبية فى جمع مجموعات البرديات العربية من العديد من مدن وقرى مصر التى اشتهرت بوجود وثائق البردى مثل الأشمونين والبهنسا والفيوم وأهناسيا والفسطاط وإدفو وأسوان وكوم اشقاو.. وغيرها.

ولم تمض سنوات قلائل حتى تكونت فى عدد كبير من الدول الأوربية مجموعات

---

(١) فيصل حسون: التحديات الحضارية للأمة الإسلامية ـ الندوة العالمية للشباب الإسلامى ـ الرياض ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م، ص٢٠١.

(٢) د. عائشة عبد الرحمن: ذخائر البردى فى مكتبة فيينا (ألبرتينا) موسكو ١٩٦٦م، ص٢٢.

(3) Silvester. S. Journal des Savants. Paris - 1825. PP. 462-473.

مختلفة من البرديات العربية النادرة غالبيتها تُنسب للقرون الأولى للهجرة، ولقد عُرفت بعض هذه المجموعات بأسماء من كان لهم الفضل في جمعها تخليدا لذكراهم، أبرز هذه المجموعات مجموعة الأرشيدوق راينر المحفوظة بقاعة ألبرتينا في المكتبة الوطنية بالنمسا، هذا بالإضافة لمجموعات أخرى في ألمانيا وبريطانيا وجمهورية التشيك وفرنسا وإيطاليا وبولندا والنرويج وسويسرا... وغيرها[1].

من أبرز المجموعات:

١ـ مجموعة الأرشيدوق راينر في فيينا بالنمسا (PERF)

أكبر وأغنى مجموعات البرديات العربية في العالم. يرجع الفضل في اقتنائها إلى الأمير النمساوي راينر بداية من عام ١٨٨١م بمساعدة المستشرق جوزيف كارباتشيك J.Karabacek والتاجر تيودور جراف الذي كان يقيم في مصر وكان على صلة وثيقة بتجار الآثار والعاديات[2]. بفضل دعم الأمير راينر تم تكوين أكبر مجموعة وثائق بردية عربية في العالم في فيينا وصل عددها تقريبًا إلى (٤٠٠٠٠) أربعين ألف وثيقة، هذا بالإضافة لعدد من الصناديق الخشبية لم يتم حصر ما بداخلها حتى اليوم[3]. ويكفي للتدليل على أهمية هذه المجموعة أنها تضم أقدم وثيقة بردية عربية مؤرخة حتى اليوم وهي المعروفة «ببردية أهناسيا» المؤرخة في شهر جمادى الأول سنة ٢٢هـ / ٦٤٢م. هذا بالإضافة لوجود أكثر من (١٢) بردية عربية تُنسب للخليفة عمر بن الخطاب وعدد (٥) برديات تُنسب لعهد الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنهما.

أيضًا يكفي للتدليل على أهمية هذه المجموعة أنها لم تُدرس حتى اليوم الدراسة الكافية، وغالبية ما دُرس منها لا يتعدى بضع مئات، كما أن غالبيتها تُنسب للقرون

---

(١) عن هذه المجموعات انظر د. عبد العزيز الدالي: البرديات العربية ـ مكتبة الخانجي بالقاهرة ١٩٨٣م، ص٦٢ـ٩٨.

(2) Hunger. H, Aus der Vorgeschichte Der Papyrussammlung Der Osterreichischen Nationalbiblio Thek = Briefe Theodor Grafs. j. V Karabacek. Erzherzog Rainer. Wien 1962.

(٣) قمت بزيارة علمية لهذه المجموعة في صيف عام ١٩٩٢م، أثناء إعدادي رسالة الدكتوراه في البرديات العربية ـ كلية الآثار ـ جامعة القاهرة.

الأولى للهجرة، ويحتوى على العديد من الموضوعات المهمة الصادرة عن دواوين الدولة فى عهد الخلفاء الراشدين ثم العهدين الأموى ثم العباسى.

٢ـ مجموعة شوت ـ راينهارت بمعهد البرديات ـ جامعة هايدلبرج بألمانيا (PSR)

من المجموعات المهمة مجموعة شوت راينهارت المحفوظة فى معهد البرديات بجامعة هايدلبرج بألمانيا. ويرجع الفضل فى اقتنائها إلى المستشرق الدكتور راينهارت Reinhardt الذى بدأ فى جمعها سنة ١٨٩٧م من الفيوم وأخميم والأشمونين.. وغيرها ثم بعد وفاته انتقلت لصديقه «شوت» مدير مكتبه بجامعة هايدلبرج بوصية من د. راينهارت قبل وفاته، ثم قام صديقة شوت Schott بإهداء المجموعة إلى جامعة هايدلبرج التى أطلقت اسميهما على المجموعة لتصبح مجموعة «شوت ـ راينهارت» التى وصل عددها تقريبًا إلى حوالى ثمانية آلاف بردية (٨٠٠٠) غالبيتها أيضًا لم يُدرس حتى اليوم[١].

٣ـ مجموعة كارل فسلى C.Wessly فى براغ بجمهورية التشيك

تكونت هذه المجموعة المهمة سنة ١٩٠٤م بواسطة المستشرق كارل فسلى C.Wessly الذى اشتراها من تاجر أرمنى فى باريس، وهى محفوظة حاليًا فى مكتبة المعهد الشرقى فى مدينة براغ بجمهورية التشيك. ولقد استطاع المستشرق الدكتور أدولف جروهمان نشر بعض برديات هذه المجموعة النادرة التى ترجع أهيمتها لتعدد أماكن العثور عليها فى مصر فبعضها يُنسب للفيوم والأشمونين والفسطاط وأهناسيا وغيرها[٢].

٤ـ مجموعة ناصر خليلى بأكسفورد فى إنجلترا.

من مجموعات البرديات العربية التى اقتناها بعض الباحثين ويدعى ناصر خليلى وهى فى الواقع مجموعة مهمة ونادرة؛ لأن غالبيتها عبارة عن خطابات ومكاتبات صادرة عن الديوان، هذا بالإضافة لبعض العقود والصفقات التجارية، وغالبيتها

---

(1) Becker. C.H, Papyri Schott - Reinhardt - I. Heidelberg. 1906.

(2) Grohmann. A, Arabische Papyri Aus der Sammlung Carl Wessely in Orientalischen Institut zu Prag. 1938-1943.

بحالة جيدة. قام بدراسة بعضها المستشرق الإنجليزى المعروف «جيفرى خان»[١]. وصل عدد هذه المجموعة إلى حوالى (١٠٠٠) بردية عربية.

٥ـ مجموعة فوليانو A. Vogliano بجامعة ميلانو بإيطاليا[٢]

يرجع الفضل فى اقتناء هذه المجموعة إلى الباحث الإيطالى (فوليانو) وذلك عندما وفد إلى مصر فى نطاق بعثات حفائر الآثار الأجنبية العاملة فى مصر سنة ١٩٣٤م ممثلا لجامعة ميلانو الملكية، وقد تمكن أثناء إقامته بمصر من جمع عدد كبير من البرديات العربية من تجار العاديات المنتشرين آنذاك فى مدن وقرى مصر فى الوجهين القبلى والبحرى.

٦ـ مجموعات أخرى متنوعة فى عدد كبير من المتاحف الأوروبية

فى ألمانيا وفرنسا وبريطانيا وهولندا وبلجيكا وسويسرا والنرويج[٣]... وغيرها. هذا بالإضافة لمجموعة آن أربر Ann Arbor بالولايات المتحدة الأمريكية ـ بجامعة ميتشجن... وغيرها.

البرديات العربية وأهميتها فى الدراسات الإسلامية:ـ

للبرديات العربية أهمية قصوى فى إبراز جوانب مازالت غامضة فى تاريخنا وحضارتنا الإسلامية الغراء، فالبرديات تساعد على معرفة معلومات مهمة عن مكانة الدولة من خلال نصوص الاتفاقيات وعلاقات حسن الجوار[٤] وأيضًا من خلال المكاتبات الديوانية الصادرة عن دواوين الدولة. وهى توضح مصادر الدخل وموارد الدولة، سواء من الحاصلات الزراعية أو المنتجات الصناعية أو التجارية وغيرها.

---

(1) Geroffrey Khan, Arabic Papyri selected Material From the Khalili Collection Oxford Un - versity. 1992 w.

(٢) د. عبد العزيز الدالى: المرجع السابق ص٩٥.

(٣) من أبرز هذه المجموعات مجموعة متحف اللوفر فى باريس، والمتحف البريطانى فى لندن، متحف برلين بألمانيا وغيره.

(٤) من أمثلة هذه الاتفاقات والمعاهدات بردية محفوظة فى متحف الفن الإسلامى بالقاهرة مؤرخة فى شهر رجب عام ١٤١هـ ـ٧٥٨م برقم سجل (٢٥٤٨) طولها ٥ , ٢٦٤سم ترجع لعهد والى مصر فى العهد العباسى موسى بن كعب.

كذلك تكشف البرديات العربية عن أحوال الدولة الاقتصادية والزراعية والمالية وذلك من خلال كشوف إيصالات الجزية والخراج وقوائم وكشوف العمال والجنود والحرفيين والصنَّاع والموظفين سواء فى الدولة أو فى قطاعات التجار ورجال الحرف والصناعات. ونصوص البرديات العربية تساعد أيضًا على كشف العديد من أسماء الخلفاء الولاة والعمال ورجال الشرطة والفقة والقضاء وقادة الجيوش وأسماء الجنود ومخصصاتهم المالية. أيضًا تكشف عن أسماء بعض أهل الذمة من اليهود والنصارى وذلك من خلال إيصالات الجزية والخراج وعقود العمل والزواج والبيع والشراء والإيجار. كذلك توضح نصوص البرديات ـ خاصة تلك التى تتعلق بالتظلمات [1] وأمور التقاضى والشكاوى ومجالس الفقه والقضاء ـ العديد من الأمور التى مازالت خافية عن علاقة الحاكم بالمحكومين من مسلمين وأهل الذمة، ومدى ما كانت عليه مكانة الدولة فى تطبيق شرع الله وأخذ حقوق المظلومين بتكليفات مباشرة من الخليفة للوالى ومن الوالى للعامل. وهناك العديد من التظلمات والشكاوى منفذة على لفافات من ورق البردى بعضها محفوظ فى دار الكتب القومية بالقاهرة ـ أغلبها فى عدد كبير من المكتبات والمتاحف والجامعات فى أوربا والولايات المتحدة الأمريكية.

وبالإضافة إلى ذلك فإن نصوص بعض البرديات العربية تكشف أيضًا عن أسماء العديد من السلع والمنتجات والحاصلات الزراعية التى كانت شائعة ومتداولة خلال القرون الأولى للهجرة، فهناك على سبيل المثال حرف وفنون وصناعات وسلع تجارية وزراعية وردت فى العديد من كشوف العمال والحرفيين والصناع والزراعيين [2]... وغيرها، جميع هذه الأمور قلما نجدها فى مواد أخرى غير البردى.

كذلك تضم نصوص البرديات العربية العديد من قضايا المرأة مثل: الزواج

---

(١) من أمثلة هذه البرديات بردية طويلة نسبيًا محفوظة فى دار الكتب القومية بالقاهرة برقم سجل (١١٩) مؤرخة بين أعوام ١٣٧ـ١٤٠هـ/ ٧٥٤ـ ٧٥٧م موضوعها مختارات مدونة من ثلاثة لغات خاصة تظلمات من التعدى نشرها د. جروهمان: أوراق البردى العربية بدار الكتب المصرية ـ المجلد الثالث دار الكتب ١٩٥٥، ص٦٧.

(٢) عن الحرف والصناعات والوظائف التى وردت فى نصوص البرديات العربية انظر:
سعيد مغاورى محمد: الألقاب والحرف والوظائف فى ضوء البرديات العربية ـ رسالة دكتوراه بكلية الآثار ـ جامعة القاهرة ١٩٩٤ تحت الطبع.

والطلاق والإرث والعلاقات الاجتماعية المختلفة مثل خطابات الاطمئنان على الزوج الغائب والأبناء والأحفاد بنين وبنات وكذلك طلب الحوائج ومتطلبات الزينة للمرأة مثل «العطور»[1] والمناديل والملابس والأحذية والحلى... وغيرها.. جميع هذه الأمور وردت فى نصوص البرديات العربية بشكل مفصل مع بيان بأسعارها ومقاديرها. أيضًا تكشف نصوص بعض البرديات العربية عن مدى ما كانت تتمتع به المرأة من مكانة فى المجتمع الإسلامى وخاصة من ناحية التعليم والعصمة[2] وحفظ الحقوق وممارسة التجارة والعمل وغيرها. كذلك تضم نصوص البرديات العربية قضايا الأسرة مثل رعاية الأبناء وكفالة الأيتام وتربيتهم وحفظ حقوقهم حتى يكبروا ويكلَّفوا بإدارة شئونهم بأنفسهم مثل وثائق الوقف والهبة والعتق وتوزيع الميراث.. وغيرها.

وبالإضافة إلى ذلك تضم نصوص البرديات العربية معلومات بالغة الأهمية عن قضايا حقوق الإنسان وخاصة أهل الذمة الذين يعيشون فى مجتمع المسلمين، فهناك عقود عمل لبعض أهل الذمة وتصاريح المرور[3] والإقامة والسماح لهم بمزاولة أعمالهم وحرفهم. كما تشير نصوص بعض البرديات إلى حسن معاملة المسلمين حكامًا ومحكومين لرجال الدين المسيحى وتمكينهم من ممارسة شعائرهم الدينية دون تدخل فى شئونهم الداخلية.... وغيرها.

أبرز دراسات المستشرقين فى البرديات العربية:

(أ) **د. جروهمان** Grohmann. A: يعتبر الدكتور أدولف جروهمان من أبرز المستشرقين الذين اعتنوا عناية خاصة بدراسة البرديات العربية سواء تلك التى فى أوربا أو فى دار الكتب القومية بالقاهرة، وهو عالم نمساوى كان يشغل منصب أستاذ اللغات السامية وتاريخ الثقافة الشرقية بجامعة براغ فى جمهورية التشيك.

---

(١) عن العطور انظر بردية بدار الكتب القومية برقم (١٨٧) نشرها د. جروهمان: المرجع السابق جـ٦، ص١٤٧.

(٢) انظر فى ذلك بردية بدار الكتب القومية برقم (١٥٩) مؤرخة فى شهر ربيع الأول سنة ٢٥٩هـ.

(٣) انظر فى ذلك تصريحًا بالعمل لأحد أهل الذمة فى مدينة الفسطاط محفوظة فى المتحف البريطانى بلندن برقم سجل (British Mus No. 10528) مؤرخ سنة ١٦٣هـ.

ثم استُدعى إلى مصر سنة ١٩٣٤ ليعمل أستاذًا زائرًا للتاريخ الإسلامى والآثار الإسلامية بجامعة فؤاد الأول «جامعة القاهرة الآن»[١]، وللدكتور جروهمان العديد من الأبحاث والدراسات حول عدد كبير من مجموعات البرديات العربية فى مصر وأوروبا لعل أبرزها دراسته لأكثر من ٧٥٠ [٢] بردية عربية محفوظة فى دار الكتب القومية بالقاهرة أصدرها فى ١٠ مجلدات تحت عنوان «أوراق البردى العربية بدار الكتب المصرية» صدر المجلد الأول منها سنة ١٩٣٤م ـ وباقى المجلدات ظهرت تباعًا حتى صدر المجلد السادس سنة ١٩٦٢م. ولقد كتب الدكتور جروهمان مقدمة هذا المجلد فى أعياد الميلاد بمدينة انسبروك بالنمسا سنة ١٩٦٢م، وحاليًا هناك محاولات جادة من قِبل دار الكتب المصرية لنشر باقى المجلدات من السابع حتى العاشر. وبالإضافة لمجموعة دار الكتب القومية بالقاهرة استطاع الدكتور جروهمان نشر عدد كبير من برديات المجموعات العالمية فى أوربا أبرزها مجموعة الارشيدوق راينر فى فيينا بالنمسا[٣]. وهناك دراسات أخرى له حول مجموعة البرديات العربية فى متحف برلين بألمانيا[٤]، ودراسة ثالثة حول مجموعة المحفوظة كارل فسلى فى مدينة براغ بجمهورية التشيك وذلك بين سنوات ١٩٣٨ـ١٩٤٣م[٥]، ثم دراسته الموسعة للبرديات العربية التى عُثر عليها فى منطقة (خربة المرد) بفلسطين المحتلة وهى برديات نادرة يُنسب أغلبها للقرنين الهجريين الأولين ١ـ٢هـ / ٧ـ٨م[٦] أيضًا هناك دراسة أخرى حول مجموعة البرديات العربية فى مكتبة جامعة جيسن بألمانيا[٧] وغيرها من الدراسات والأبحاث والندوات التى ألقاها الدكتور جروهمان حول

---

(١) د. أدولف جروهمان: أوراق البردى العربية بدار الكتب المصرية ـ المجلد الأول «خطبة الكتاب» القاهرة سنة ١٩٣٤.

(٢) درس الدكتور جروهمان (٧٨٩) بردية على وجه التحديد من برديات دار الكتب المصرية تأكد لى ذلك بعد ندبى من المجلس الأعلى للآثار للإشراف على برديات دار الكتب المصرية لإعادة تصنيفها تمهيدًا لإعدادها للنشر وترميم التالف منها. شمل المجلد الأول نشر (٧٢) بردية وكذلك المجلدان الثانى والرابع، بينما نشر المجلد الثالث (٦٨) بردية والمجلد الخامس (٧٣) بردية والسادس (٨٢) بردية وباقى البرديات وعددها (٣٤٥) بردية فى المجلدات من السابع حتى العاشر.

(3) Grohmann A, corpus Papyrorum Raineri Archiducis Austria - Wien 1923.

(4) Grohmann A, Arabische papyri Aus Dem Staatlichen Museum Zu Berlin. 1953.

(5) Grohmann A, Arabische papyri Aus Der Sammlung Carl Wessely - Prag 1938- 1943.

(6) Grohmann A, Arabische papyri from Herbit El Mird. Louvain. 1963.

(7) Grohmann A, Die Arabischen papyri aus Der Giessener Universitatbibothek - Giessen 1960.

نصوص البرديات العربية وما يتصل بها من حضارة وفنون وخطوط وكتابات ونقوش وغيرها.

(ب) جوزيف فون كاراتشيك Karabacek. J. V

من المستشرقين الأوائل الذين كان لهم دور كبير فى اقتناء النمسا أكبر مجموعة برديات عربية فى العالم حتى اليوم؛ حيث تمكن من إقناع الأمير النمساوى الأرشيدوق راينر بشراء هذه المجموعة من التاجر النشط «تيودور جراف» الذى استطاع بمفرده وهو فى مصر تهريب أعداد كبيرة من البرديات العربية واليونانية والمصرية القديمة إلى النمسا تقدر بحوالى (١٠٠٠٠٠) مائة ألف بردية ـ المجموعة العربية منها يبلغ عددها (٤٠٠٠٠) أربعين ألف بردية وذلك بين أعوام (١٨٨١ـ١٨٨٧م). لقد صدر فى فيينا بالنمسا سنة ١٩٦٢م كتاب يكشف حقيقة تهريب أكبر وأغنى مجموعة برديات عربية فى العالم بواسطة التاجر تيودور جراف والمستشرق جوزيف كاراباتشيك والأمير النمساوى راينر ـ راعى المجمع العلمى فى النمسا والذى قام بتمويل هذه العملية، التى كانت سرًا لا يمكن الإفصاح عنه إلا سنة ١٩٦٢م، حيث استطاع الباحث النمساوى هربرت هونجر[1] كشف خبايا هذه العملية من خلال مجموعة الخطابات التى تداولت بين الأشخاص الثلاثة السابق ذكرهم بين أعوام (٨١/ ١٨٨٧م) والتى تم خلالها تهريب هذه المجموعات التى حُفظت فى مكتبة فيينا القومية بالنمسا تحت اسم مجموعة «الأرشيدوق راينر» صاحب الفضل فى اقتنائها.

ولقد عكف المستشرق كاراباتشيك على دراسة ونشر مجموعة[2] من برديات هذه المكتبة لا تتعدى بضع مئات أصدرها فى كتاب «دليل كارباتشيك للبردى» الذى عُثر عليه فى مدينة الفيوم بمصر فى هيئة لوحات بالزنكوغراف لأهم الوثائق التى فُحصت من بردى الفيوم ثم كتابه الآخر الذى يحمل عنوان:

دليل مجموعة بردى الأرشيدوق راينر صدر سنة ١٨٩٤م فى فيينا[3]، وفى هذا

(1) Hunger. H, Aus Der Vorgeschichte Der papyrussammlung Der Osterreichischen Nationalbibliothek. Btiefe theodor Grafs, j.v. karabacek. Erzherzog Rainer - Wies - 1962.

(2) Karabacek. J.v., Der Papyrusfund Von el Fayum - Wien - 1883.

(3) Karabacek j.v., Fuhrer durch die Papyrus Erzherzog Rainer - Wien - 1894.

الكتاب عرض لأبرز البرديات العربية التى فحصها كاراباتشيك شمل تقريبًا (٩٥٠) بردية منذ عهد الخلفاء الراشدين حتى العهد المملوكى مرتبة ترتيبًا تاريخيًا مع تعليق منه حول نص كل بردية، ويبدأ مسلسل النشر من رقم ٥٥٠ حتى رقم ١٤٠٠، هذا بالإضافة لأبحاث ودراسات أخرى حول بردى الأرشيدوق راينر.

(جـ) كارل هنرى بيكر Becker. C.H

من أشهر العلماء والمستشرقين الألمان الذين عكفوا لسنوات طويلة على دراسة أعداد كبيرة من نصوص البرديات العربية. وتجدر الإشارة إلى أن «بيكر» كان قد شغل منصب مدير جامعة هايدلبرج ثم وزيرًا للمعارف بألمانيا، وهو أول من درس ونشر نصوصًا من البرديات العربية فى مجموعة «شوت ـ راينهارات» المحفوظة بمعهد البرديات بجامعة هايدلبرج وخاصة تلك التى تُنسب لعهد الوالى الأموى وقرة شريك العبسى ٩٠ـ٩٦هـ [١] والتى عثر عليها فى مدينة كوم اشقاو فى صعيد مصر. صدرت هذه الدراسة سنة ١٩٠٦م ثم أعقبها بعد ذلك بدراسات أخرى فى أعوام تالية وجميعها دراسات متعمقة.

(د) ألبرت ديترش Dietrich. A

أيضًا يعتبر المستشرق ألبرت ديترس ـ الذى شغل منصب مدير معهد الدراسات العربية والإسلامية بجامعة جوتنجن ـ من الرواد الأوائل الذين درسوا نصوص برديات عربية بعضها محفوظ فى جامعة هامبورج وذلك سنة ١٩٥٦م[٢] ودراسات أخرى متعلقة أيضًا ببعض نصوص البرديات العربية فى أوربا.

(هـ) فارنر ديم Diem.W

من المستشرقين المعاصرين[٣] فى ألمانيا ـ له بعض الدراسات والأبحاث حول البرديات العربية المحفوظة فى جامعة هايدلبرج «مجموعة شوت ـ راينهارت» وهو يعمل حاليًا أستاذًا للدراسات الشرقية بجامعة كولن بألمانيا.

---

(1) Becker. C.H, Papyri Schott - Reinhardt. I. Heidelberg1906.

(2) Dietrich A, Arabische Papyri aus der Hamburgerstaats. Hamburg 1956.

(3) Diem. W. Arabische Briefe Auf Papyrus und Papier Aus Der Heidelberger - Papyrussa - mlung Wiesbaden 1991.

(و) ديفيد ويل David Weill [1]

من الباحثين الذين عكفوا على دراسة العديد من البرديات العربية بمتحف اللوفر فى فرنسا وبعض البرديات من المجموعات العالمية من بينها الكتاب الوحيد فى العالم الذى كُتب على البردى والمحفوظ بدار الكتب المصرية وهو «الجامع فى الحديث» الذى عُثر عليه فى إدفو بصعيد مصر.. وغيرهم من المستشرقين فى شتى أنحاء العالم.

نماذج من دراسات المستشرقين لبعض نصوص البرديات العربية فى أوربا

هناك العديد من الدراسات والأبحاث التى تناولت نصوص البرديات العربية فى عدد كبير من الجامعات والمعاهد ومراكز البحوث فى أوربا والولايات المتحدة الأمريكية. غالبية هذه الأبحاث والدراسات اعتنت فى المقام الأول بنشر النصوص والتعليق عليها، مع إرفاق صور لبعض اللوحات المنشورة من وثائق وبرديات.

١ـ البردية الأولى «رسالة من الوالى إلى العامل يوجهه فيها بمحاربة جشع التجار ومنع احتكار الأطعمة».

هذه الوثيقة المهمة عبارة عن رسالة من الوالى الأموى قرة بن شريك العبسى إلى أحد العمال الأقباط ويدعى «بسيل» وكان يشغل وظيفة «العامل» على قرية كوم اشقاو فى صعيد مصر وهى مؤرخة فى شهر ربيع الأول سنة ٩١هـ/ ١٠ـ٧١١م[2] نقرأ فى الرسالة عبارات واضحة وتوجيهات محددة للعامل بالنهى عن تخزين الأطعمة لدى التجار انتظار غلاء سعرها ثم بيعها للناس، وتوجيهات أخرى للعامل يحثه فيها على إرسال نصف الطعام الموجود لدى التجار فى قرية كوم اشقاو إلى مدينة الفسطاط لخلوها من الأطعمة. أيضًا هناك إشارة فى الرسالة تفيد قيام الوالى بإصدار هذه الأوامر نفسها إلى سائر العمال فى الدولة. وفى واقع الأمر أن المتأمل فى نص هذه البردية النادرة يلاحظ أن سياسة الحكام المسلمين فى القرن الهجرى الأول كانت تمنع احتكار الأطعمة من قِبل التجار انتظارًا لغلاء أسعارها. أيضًا

---

(1) david Weill. J. le D. jami D ibn Wahb. i.F. A le Cairo. 1939.

(2) Becker. C.H, Papyri Schoot - Reinhardt. Heidelberg - 1906 p62.

يُلاحَظ مدى حرص الولاة وعدالتهم فى توزيع الأرزاق ومحاربة الغلاء ومعاقبة الخارجين من التجار الجشعين، ثم الإنصاف فى إرسال الطعام الزائد إلى الأماكن التى تشكو من عجز، وكانت مدينة الفسطاط تشكو من قلة الأطعمة حسب ما ورد فى نص السطر(٧) من البردية ـ هذه الأمور جميعها توضح مدى ما كانت عليه حضارة المسلمين منذ القرون الأولى للهجرة.

نص البردية:

١ـ بسم الله الرحمن الرحيم
٢ـ من قرة بن شريك إلى
٣ـ بسيل صاحب اشقوه (٢) فانى أ
٤ـ حمد الله الذى لا إله إلا هو
٥ـ أما بعد فـ.. أهل أرضك
٦ـ .. بأيديهم فلا يبيعون
٧ـ منه شيئًا تربصا بالناس
٨ـ وانتظار غلاء السعر
٩ـ وايم الله لا انبان
١٠ـ برجل حبسه طعامه
١١ـ ان يبيعه الا انهيته [١]
١٢ـ فانظر فمن كان بارضك
١٣ـ من التجار الذين يشترون
١٤ـ الأطعمة ويجمعونها
١٥ـ فمرهم فليبيعوا طعامهم
١٦ـ ومر كل تاجر فليحمل
١٧ـ نصف ما عنده
١٨ ـ من الطعام إلى
١٩ـ الفسطاط واكتب
٢٠ ـ مع كل تاجر يقدم
٢١ـ من قبلك ما حمل
٢٢ـ حين يقبل ثم مرهم فليبيعوا
٢٣ـ بالفسطاط فانى قد أ
٢٤ـ مرت صاحب المكس
٢٥ـ أن يعلم ما يقدمون به
٢٦ـ من ذلك فإن
٢٧ـ الطعام نافق بالفسطاط
٢٨ ـ ليس يقدم أحد بطعام
٢٩ـ الا أنفقه وانظر
٣٠ ـ النصف الباقى

(١) قرأ (بيكر) هذه الكلمة (انبهه) وأعتقد بأن القراءة الصحيحة (انهيته) وهى تتمشى مع نص البردية.

٣١ـ فليبيعوا فى أهل الأرض ٣٢ـ فإن لم ينفق فى الأرض

٣٣ـ فليحمله إلى الفسطاط ٣٤ـ ولا تؤخرن ذلك

٣٥ـ وأمر به حين يأتيك ٣٦ـ كتابى هذا وابعث

٣٧ـ على ذلك من ينفذه فإنى ٣٨ـ قد أمرت العمال

٣٩ـ كلهم بذلك فاكفنى ٤٠ـ ذلك ولا ألومنك فيه والسلام

٤١ـ على من اتبع الهدى وكتب ٤٢ـ عبدالله بن نعمان فى

٤٣ـ (شهر) ربيع الأول (سنة إ) ٤٤ـ حدى وتسعين

تعليق موجز على نص البردية

المتأمل فى نص البردية يُلاحَظ فى بدايتها أنها موجهة إلى العامل الذى يُدعى «بسيل» وهو أحد الأقباط من أهل قرية كوم اشقاو فى صعيد مصر[١]، وفى ذلك إشارة واضحة إلى مشاركة أهل الذمة فى تسيير شئون الدولة الإسلامية بداية من القرن الأول الهجرى ـ فلم يكن هناك تعصب أو تحامل من قبل ولاة الأمور المسلمين على أهل الذمة، بل إن بعضهم شغل مناصب رفيعة فى الدولة مثل العامل «بسيل» وفى هذا رد واضح على كل زعم باطل يريد النيل من حضارة المسلمين محاولًا تشويهها والزعم بأن أهل الذمة لم يمارسوا حقوقهم وينخرطوا فى أعمال الدولة، بل على العكس من ذلك فإن العديد منهم مارس أعمالًا ووظائف مهمة فى دواوين الدولة مثل أعمال الجهبذة[٢] والتسجيل والمحاسبة والتدقيق والمراجعة وغيرها من المناصب المهمة التى حققت مكاسب كبيرة لهم، وهى تدل على سماحة الإسلام وعدالة شريعته الغراء مع أهل الذمة[٣].

---

(١) قرية تقع بين أبى تيج وطهطا فى صعيد مصر ـ محمد رمزى: القاموس الجغرافى ـ القسم الأول ص٢١.

(٢) الجهبذ كلمة فارسية معناها الناقد الخبير العارف بتمييز الجيد من الردىء الفيروزآبادى: المصدر السابق ص٤٢٤.

(٣) د. جاك تاجر: أقباط ومسلمون ـ طُبع فى مصر سنة ١٩٥١م، ص١٠٦.

٣ـ البردية الثانية: رسالة من امراة إلى أحد الخدم أو العمال تطلب حوائج وطلبات منزلية

ترجع أهمية هذه البردية لأنها تكشف المستوى الثقافى والتعليمى الذى كانت عليه بعض السيدات فى العصر الإسلامى الأول ومدى مشاركتها المجتمع بالاطمئنان على الأهل والجيران مع التعبير عن مكنون النفس وطلب الحوائج ومتطلبات المنزل من سلع غذائية وخلافه.

والبردية محفوظة فى مجموعة الأرشيدوق راينر فى فيينا بالنمسا، وهى تنسب للقرنين ٢ـ ٣هـ/ ٨ـ٩م، كُتبت على الوجه والظهر[١].

نص الظهر: من أم الحكم ابنة الحكم إلى مينا بجوش.

نص الوجه:

١ـ بسم الله الرحمن الرحيم

٢ـ من أم الحكم ابنت الحكم إلى مينا بجوش سلم عليك

٣ـ فإنى أحمد الله الذى لا إله إلا هو ٤ـ أما بعد أخبرك أن قامة أخبرتنى أنك

٥ـ سألتها عنى وقد كنت بعثت إليك أن تشترى ٦ـ لنا ثلثة دراهم زيتون ودرهم بصل ولا أدرى

٧ـ هل فرغت من ذلك أم لا وقد كنت ٨ـ بالفسطاط حتى قدم زوج بنتى قد يصل عليها

٩ـ فإن كنت فرغت مما بعثت إليك فإنى ١٠ـ قد بعثت إليك بمولاى بفاش فابعث منه

١١ـ معه واقد حتى نراك وإن كان عندك ١٢ـ عنب شتوى فابعث إلى بشىء منه

---

(١) البردية تحمل رقم سجل (١٥٠١٦ inv. Ar. Pap). مساحتها ١٦ × ٢٦سم نشرها المستشرق:
قرأ د. كارل هذه العبارة: (قد يصل عليها) واعتقد أن القراءة الصحيحة (فدخل عليها)

Karl, John: Vom Fruhislamischen BireEfwesen - Reprinted From Archiv Orientalini, vol 9 - 1937 No l - 2p 188.

١٣- ابعث لك شيء واخبرك أن أختى أم هاشم ١٤- قد توفيت رحمها الله وعبد الرحمن وأخوه

١٥- يقروك السلام واقرنى عبدالله منا ١٦- السلم والسلم عليك وكتبت

١٧- وإن كان عندك فضلة قمح فاسلفنى ثلثة أرادب من

١٨- قمح أو شعير إلى الغلة أبعث به إليك والله

١٩- محمود وعبد الرحمن يقول لك ابعث إلى برنجه [١] ٢٠- طيبه واقدم إلينا حتى تجدد بنا عهد

٢١- ولو أتى به من المدينة لمررت بك ٢٢- والسلم عليك

تعليق وموجز:

المتأمل فى نص هذه البردية يدرك مدى مكانة المرأة فى القرون الأولى للهجرة فهى تستطيع أن تتعلم وتكتب وتعبر من خلال الكتابة عن كل ما تحبه وتريده وترغبه من حيث العلاقات الاجتماعية والاطمئنان على الأهل والأقارب والأحباب ومواساة الموتى والدعاء لهم ثم قضاء الحوائج وشراء متطلبات المنزل وعيادة المريض والاقتراض لأجل.... وغيرها.

رسالة من امرأة إلى أحد الخدم أو العمال تطلب حوائج وطلبات منزلية.

---

(١) قرأ المستشرق كارل جان هذه الكلمة (بنرجه) ولكن هيئة حروفها تشير إلى (الرنجة) وهو اسم السمك المملح من طعام المصريين منذ القدم.

المصادر والمراجع العربية والأجنبية

(أ) المصادر العربية:

١ـ الرازى (محمد بن أبى بكر الرازى): مختار الصحاح ـ عنى بترتيبه محمود خاطر، المطبعة الأميرية بالقاهرة سنة ١٣٤٥هـ/ ١٩٢٦م.

٢ـ الفيروزآبادى (مجد الدين بن يعقوب): القاموس المحيط ـ ط٢، بيروت ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.

(ب) المراجع العربية:

٣ـ د. أدولف جروهمان: أوراق البردى العربية بدار الكتب ـ المجلد الثالث ـ دار الكتب ١٩٥٥م.

٤ـ د. أدولف جروهمان: المحاضرة الثانية بالجمعية الجغرافية المصرية، تعريب توفيق اسكاروس ـ طبع دار الكتب المصرية ١٩٣٠م.

٥ـ د.جاك تاجر: أقباط ومسلمون طبع مصر سنة ١٩٥١م.

٦ـ د. حسن رجب: دار المعارف ـ سلسلة اقرأ ـ العدد ٤٦٣، سنة ١٩٨١م.

٧ـ د. حسين مؤنس:الحضارة ـ سلسلة عالم المعرفة ـ الكويت ـ سنة ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨.

٨ـ د. عائشة عبد الرحمن: ذخائر البردى فى مكتبة فيينا (ألبرتينا) موسكو سنة ١٩٦٦م.

٩ـ د. عبد العزيز الدالى: البرديات العربية ـ مكتبة الخانجى بالقاهرة سنة ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٣.

١٠ـ فيفى تاكهلم ومحمد دراز: نباتات مصر ـ نشرة كلية العلوم ـ جامعة القاهرة ـ رقم ٢٨ـ٢ / ٣ سنة ١٩٥٠م.

١١ـ فيصل حسون: التحديات الحضارية للأمة الإسلامية ـ الندوة العالمية للشباب الإسلامى ـ الرياض ـ ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.

١٢ـ محمد الغزالى: كيف نفهم الإسلام ـ طبع القاهرة.

(جـ) المراجع الأجنبية:

1- Becker. C.h, Payri schott - Reinhardt .I. Heidelberg. 1906.

2- Grohmann. A, Apercu de Papyeologie arape. Etude De Papyrologie. Societe Royal Egyptienne. Tome I.Le Caire 1932.

3- Grohmann. A, Die Arabischen Payri Aus der. Giessen universitatsbibliothek.

4- Jahn (Karl)., Vom fruhislamischen Briefwesen.Prag 1937.

5- Lucas. A, Ancient materal and industries London. 1934.

6- Silvester.s jounal des savants paris 1825.

رابعًا: ألقاب رجال الدين المسيحى من خلال نصوص البرديات العربية

تحتوى نصوص البرديات العربية وخاصة إيصالات الجزية والخراج وقوائم وكشوف أرباب الحرف والصناعات والتجار وكذلك العقود بشتى أنواعها «بيع ـ شراء ـ إيجار ـ عمل ـ زواج».. وغيرها العديد من المعلومات المهمة والمتعلقة بأعمال الكنائس والأديرة والمعابد وبمهام رجال الدين المسيحى..

وكما هو معلوم لدى الباحثين فإن البرديات العربية تعتبر سجلًا وثائقيًّا كاملًا للحياة فى مصر الإسلامية خلال القرون الثلاثة الأولى للهجرة، وهى الفترة التى كان للبردى فيها المكانة المتميزة بين غيره من مواد الكتابة الأخرى الشائعة فى ذلك الوقت مثل الرق(١) والجلد أو الأديم(٢) والكتان(٣) والفخار والعسب والألواح والخشب(٤) ولحاء الشجر... وغيرها من مواد الكتابة.

ومن خلال تتبعى لعدد كبير من نصوص البرديات العربية وخاصة المحفوظة

---

(١) الرق: بفتح الراء وكسرها وهو Diphtera Le Membrand يصنع عادة من جلود صغار العجول والحملان، والجداء، والغزلان. وكانت الجلود تُغسل جيدًا، ثم تُكشط لإزالة الوبر والشعر، ثم يتم دعكها بحجر الخفاف حتى تصبح ناعمة ملساء وبعد ذلك يتم حكها بطباشير لتصبح بيضاء. انظر فى ذلك:
د. عبد العزيز الدالى: البرديات العربية، طبع مكتبه الخانجى بالقاهرة: ١٩٨٣.

(٢) استُعمل الجلد أو الأديم على نطاق واسع فى مصر والجزيرة العربية وخاصة زمن الرسول
Lucas. A: Ancient Egyptian Materials and industries - London 1943 P. 30.

(٣) استُعمل فى مصر منذ أقدم العصور سواء فى مجال الكتابة أو فى استخدامات أخرى
Grohmann. A: From the World of Arabic Papyri - Cairo - 1952 p. 58.

(٤) د. عبد العزيز الدالى: المرجع السابق ص١٣ ـ ٢٠.

فى المجموعات العالمية أبرزها مجموعة الأرشيدوق راينر فى مكتبة فيينا القومية بالنمسا (PERF) ومجموعة «شوت ـ راينهارت» المحفوظة فى معهد البرديات بجامعة هايدلبرج بألمانيا (PSP) ومجموعة دار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة (P. CCair.B.E)، ومجموعة كارل فسلى المحفوظة فى مكتبه الجامعة فى مدينة براغ بجمهورية التشيك (P.Wessely)، وغيرها من المجموعات العالمية النادرة، لاحظت وجود العديد من ألقاب رجال الدين المسيحى فى عدد كبير من نصوص البرديات العربية. وفى واقع الأمر فإن دراسة هذه الألقاب فى ضوء نصوص البرديات العربية تُلقى الضوء على جوانب عديدة مازالت غامضة فى حياة هذه الفئة من رجال الدين قلَّما نجدها فى مواد أخرى غير نصوص هذه البرديات المبكرة، وغالبها يُنسب للقرون الثلاثة الأولى للهجرة كما سبق وأن أشرت.

وهناك العديد من نصوص البرديات العربية تكشف عن مقادير الجزية والخراج الواجبة على أهل الذمة ومنهم بعض رجال الدين المسيحى، كما كشفت نصوص بردية أخرى عن أعمال حرفية ومهن وصناعات كان يمارسها بعض رجال الدين المسيحى إلى جانب عملهم الرئيسى فى الكنائس والأديرة. والمعابد، كما أشارت نصوص بردية أخرى إلى قيام بعض رجال الدين المسيحى بحصر أسماء أهل الذمة المترددين على الكنائس فى مناطق وقرى مختلفة لإعطاء معلومات وافية لبيت مال المسلمين حتى يتسنى للجهابذة جمع الجزية والخراج وضريبة الطعام المتأخرة ـ وغيرها من المعلومات التى قلما نجدها فى مواد أخرى غير البردى فى هذه الفترة المبكرة من التاريخ الإسلامى.

أهل الكنيسة:

ورد هذا التعبير ضمن نصوص إحدى برديات مكتبة جون رايلاندز المحفوظة فى مدينة مانشستر بإنجلترا، وهى بردية غير مؤرخة وغير معلوم مكان العثور عليها، والبردية عبادة عن «إيصال بسداد خراج» وردت بها أسماء العديد من الأقباط ومنهم: سرجه، بول، ثيدر.. وغيرهم[1].

وتعبير أهل الكنيسة ربما قُصد به أصحاب الكنيسة أى أتباعها أو القائمون عليها

---

(١) هذه البردية تحمل رقم سجل (B 13 - Old Number 35) مساحتها ٨ × ٢٥سم.

من القساوسة والرهبان والأساقفة والشمامسة.. وغيرهم. ولقد ورد التعبير نفسه أيضًا ضمن نصوص بردية أخرى من المجموعة نفسها بهذه الصيغة: «جرجه قيِّم الكنيسة»[1] والمقصود بها جرجه القائم بأعمال الكنيسة. ولقد أشار الفيروزآبادى إلى أن لفظ «الكنيسة» - بالإضافة إلى كونها متعبد اليهود وتُطلق أيضًا على متعبد النصارى - فهى تعنى أيضًا سبعة مواضع فى مصر أى سبعة قرى فى مدن وأقاليم مصر[2].

وبالإضافة إلى ما سبق ذكره لاحظت وجود تعبير آخر لصيغه (أهل الكنيسة) ضمن نصوص إحدى برديات مجموعة «شوت - راينهارت» المحفوظة فى معهد البرديات بجامعة هايدلبرج بألمانيا بهذه الصيغة النادرة: «أهل منية كنيسة ماريا»[3] وذلك فى بردية مؤرخة بعام ٩١هـ/ ٧٠٩م تُنسب لفترة ولاية الوالى الأموى قرة بن شريك العبسى «٩٠-٩٦هـ/ ٧٠٩-٧١٥م»، ولعل المقصود بهذا التعبير الأقباط الساكنون فى ناحية كنيسة مارية من قرية كوم إشقاو فى صعيد مصر، وهى قرية تقع بين أبى تيج وطهطا على بعد ٧ كيلو مترات جنوب غرب طما[4] جدير بالذكر أن هذه القرية قد عُثر بها على أعداد كبيرة من برديات هذا الوالى الأموى بحالة جيدة جميعها عبارة عن خطابات[5] منه إلى العمال وبعضهم كان من أهل الذمة يحثهم فيها على الإسراع والمبادرة بجمع الجزية والخراج من أهل الذمة الساكنين فى قراهم ونواحيهم. جدير بالذكر أيضًا أن العديد من برديات هذا الوالى موزعة حاليًا فى العديد من المجموعات العالمية لعل أبرزها: مجموعة الأرشيدوق راينر فى فيينا بالنمسا (PERF)، مجموعة

---

(١) هذه البردية تحمل رقم سجل (D.vig Verso Old Number 12) مساحتها ٢١ × ٢٤سم. وقد نشر هاتين البرديتين المستشرق مرجليوث فى كتابه:

Margoliouth (D.S): Catalogue Of Arabic Papyri In The John Rylands Library, Manchester - 1933 pp. 134-136, No. 6-X11.

(٢) الفيروزآبادى (مجلد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادى) ت: ٨١٧هـ: القاموس المحيط الطبعة الثانية - مؤسسة الرسالة بيروت ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م، ص٧٣٦.

(٣) هذه البردية تحمل رقم سجل (PSR. NO. 3079).

(٤) محمد رمزى: القاموس الجغرافى للبلاد المصرية من عهد قدماء المصريين إلى سنة ١٩٤٥م القسم الأول (البلاد المندرسة) طبع دار الكتب المصرية بالقاهرة سنة ١٩٥٣م-١٩٥٤م، ص٢١.

(٥) د. إبراهيم العدوى: ولاية قرة بن شريك على مصر فى ضوء أوراق المجلة التاريخية المصرية - مجلد ١١ سنة ١٩٦٣.

«شوت ـ راينهارت» المحفوظة فى معهد البرديات بجامعة هايدلبرج بألمانيا (PSR)، مجموعة دار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة وغيرها[1].

١ ـ الأسقف

ورد هذا اللقب ضمن العديد من نصوص البرديات العربية إحداها بردية محفوظة فى دار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة مؤرخة فى شهر صفر صنة ٢٤٧هـ/ مايو ٨٦١م[٢] ورد اللقب مرتبطًا باسم: «إبراهيم بن كيل بن سويرس الأسقف». أيضًا ورد ضمن نصوص بردية عربية أخرى محفوظة فى مكتبة المعهد الشرقى فى شيكاغو بالولايات المتحدة الأمريكية ـ مؤرخة بعام ٩٠هـ / ٧٠٩م [٣] أحيانًا أخرى بصيغة «رسول الأسقف»، ولقب الأسقف من ألقاب أصحاب المراتب فى الدين المسيحى وهو موجود فى كل بلد من تحت يد المطران[٤].

وفى واقع الأمر أن تكرار ورود هذا اللقب فى العديد من نصوص البرديات العربية ـ وخاصة إيصالات الجزية والخراج[٥] وقوائم وكشوف أهل الذمة وخاصة النصارى

---

(1) Becker (C.H): Papyri Schott - Reinhardt. I. Heidelberg. 1906 Nabia Abbott: The Kurrah Papyri From Aphrodito In The Oriental Institute - Chicago. 1938.

د. محمد عبد الهادى شعيرة: اختصاصات صاحب الكورة فى القرن الأول الهجرى حسب مجموعة أفروديتو البردية (باللغة الفرنسية) مجلة كلية الآداب ـ جامعة الإسكندرية مايو ١٩٤٢م.

(٢) هذه البردية تحمل رقم سجل (١٠٢) أبعادها ٤, ١٢ × ٢, ١٣سم غير معلوم مكان العثور عليها
Grohmann (A): Arabic Papyri In The Egyptian Library. Vol. 2 Cario 1966 P. 181.

(٣) هذه البردية تحمل رقم سجل (Oriental Institute No. 13757)
Nabia Abbott: The Kurrah Papyri From Aphrodito in The Oriental Institute P. 11.

(٤) الخوارزمى (أبو بكر الخوارزمى) ت: ٣٨٧هـ / ٩٧٧م: مفاتيح العلوم د. يحيى الخشاب، د. السيد الباز العرينى: ضبط وتحقيق الألفاظ الاصطلاحية التاريخية المصرية ـ الجمعية المصرية للدراسات التاريخية ـ المجلد السابع ـ القاهرة ١٩٥٨م، ص٢٣٧.

(٥) الجزية: هى الضريبة الحقيقية المفروضة على من لم يكن مسلمًا وهى واجبة الأداء على الشخص غير المسلم. د. جروهمان: المحاضرة الرابعة ـ ترجمة (الأستاذ/ توفيق أسكاروس) ـ طبع دار الكتب ١٩٣٠م، ص٦.

وفى هذا الخصوص يذكر أيضًا ابن عبد الحكم فى كتابه (فتوح مصر) أن الخليفة عمر بن الخطاب كتب إلى أمراء الأجناد ألا يضربوا الجزية إلا على من جرت عليه المواسى (المقصود بهم أهل الذمة القادرون على العمل والبالغون) وجزيتهم أربعون درهمًا على أهل الورق منهم وأربعة دنانير على الذهب وعليهم من أرزاق المسلمين من الحنطة والزيت مديان من حنطة وثلاثة أقسام من زيت فى كل شهر.

ـ إنما يرجع لشيوعه وانتشاره فى العديد من المدن والقرى المصرية فى الوجهين القبلى والبحرى، وربما عُهد إليه بعمل حصر بأسماء وأعداد الأقباط الساكنين فى هذه القرى حتى يتسنى للعمال والولاة تحديد مقادير الجزية والخراج اللازم جمعها كل عام لديوان بيت المال فى الفسطاط.

٢ـ البابا

ورد هذا اللقب ضمن نصوص العديد من البرديات العربية إحداها فى مجموعة (خربه المرد) وهى تتعلق بوثائق البحر الميت فى فلسطين وهى بردية صغيرة نسبيًا تُنسب للقرن الثانى الهجرى/ الثامن الميلادى موضوعها عبارة عن: «قائمة بقيمة سلع غذائية مختلفة»(١)، والبردية تحتوى على كتابتين عربية ويونانية، ولقد ورد

أين عبد الحكم: فتوح مصر ص١٥١ـ١٥٢.

د. حورية عبده عبد المجيد سلام: علاقات مصر ببلاد المغرب ـمن الفتح العربى حتى قيام الدولة الفاطمية فى مصرـ رسالة دكتوراه إشراف الأستاذ الدكتور/ حسن أحمد محمود كلية الآداب جامعة القاهرة (قسم التاريخ) ١٩٧٤، ص٢٣٨.

بخصوص الجزية أيضًا ذكر الدكتور جروهمان: ان الجزية وجبت على أهل الكتاب كما وجبت الزكاة على المسلمين؛ حتى يتكافأ الفريقان، وهما رعيه لدولة واحدة فى المسئولية، كما تكافآ فى التمتع بالحقوق وتساويا فى الانتفاع بالمرافق العامة للدولة، وإنما تجب الجزية على الرجال الأحرار العقلاء الأصحاء القادرين على الدفع، ولا تؤخذ جزية من مسكين يُتصدق عليه ولا ممن لا قدرة له على العمل، ولا من الأعمى أو المقعد أو المجنون وغيرهم من ذوى العاهات. ومن الأمور الجديرة بالذكر أيضًا فى هذا الخصوص تلك السياسة الحكيمة التى اتبعها حكام وولاة أمور المسلمين مع رجال الدين المسيحى وخاصة الرهبان فى الأديرة، حيث لم يؤخذ منهم جزية الرءوس إلا من كان غنيًا منهم وذلك لانقطاعهم للعبادة.

أما بخصوص مقادير الجزية فقد قسمها الإمام أبو حنيفة إلى ٣ أقسام هى على التوالى:

(أ) أغنياء: يؤخذ منهم ثمانية وأربعون درهما، (ب) متوسطون: يؤخذ منهم أربعة وعشرون درهمًا.

(جـ) فقراء يكسبون: ويؤخذ منهم اثنا عشر درهمًا.

انظر: الماوردى: الأحكام السلطانية ص١٠٨، ١١٧، ١٣١، ١٣٧، أبى يوسف: الخراج، ص٦٩ـ٧٢، ود. جروهمان: أوراق البردى العربية بدار الكتب المصرية جـ٣، ص١٥.

والخراج: هى الضريبة التى كانت تؤخذ عن خراج الأرض من محاصيل ومزروعات، انظر الماوردى (أبى الحسن على بن محمد) ت: ٤٥٠هـ/ ١٠٤٦م: الأحكام السلطانية ـ طبع بيروت ١٩٧٨م، ص٣٠ـ٣٢، ص١٠٠، ١٥٢، محمد ضياء الدين الريس: الخراج والنظم المالية للدولة الإسلامية ـ الطبعة الثانية مكتبة الأنجلو المصرية ١٩٦١م، ص١٧٨.

(١) هذه البردية تحمل رقم سجل (Mird No. 26 a) مساحتها ٧, ١٧ × ٢, ١٨سم.

لقب البابا فى موضعين بالبردية أحدهما فى السطر التاسع والآخر فى السطر(١٣). ولقب البابا جمعه باباوات، ولقب النسبة «بابوى» وهو الحبر الأعظم رئيس البيعة المنظور، وفى العصر الحديث يعتبر خليفة القديس بطرس ومقره الفاتيكان فى روما بإيطاليا[١].

٣ـ الأنبا

لقب الأنبا من الألقاب التى وردت بكثرة فى نصوص البرديات العربية إحداها بردية محفوظة فى مجموعة «خربه المرد المعروفة بوثائق البحر الميت فى فلسطين»، تُنسب للقرن الأول أو الثانى الهجريين/ السابع والثامن الميلاديين موضوعها عبارة عن: «خطاب شخصى للاطمئنان على صحة شخص معين» ولقد ورد لقب الأنبا بهذه الصيغة: «لأبونا أنبا مجلة من حيان بن يوسف»[٢].

كما ورد أيضًا ضمن نصوص بردية أخرى بالمجموعة نفسها، وهى بردية تُنسب للقرن ٣هـ/ ٩م[٣] موضوعها ربما يتعلق بجمع حاصلات الجزية والخراج للدولة الإسلامية وذلك لورود عبارات تتعلق بأمور مالية ربما كانت خاصة بجمع مستحقات الدولة من أهل الذمة [٤]. ولقد ورد لقب الأنبا بهذه الصيغة ضمن نصوص السطور ٦، ١٢ بهذه الصيغة: «قد صنعت أنت والأنبا يوسف حفظه الله...».

والمتأمل فى هذه العبارة يلاحظ ورود كلمتى الدعاء وهى «حفظه الله»[٥] الشائعة فى خطابات الولاة والعمال المسلمين فيما بينهم، وربما كان ذلك من التأثيرات اللغوية التى انتقلت إلى كتابات أهل الذمة فى خطاباتهم ومكاتباتهم، ولعل الدليل

---

(١) قاموس المنجد فى اللغة والعلوم ـ طبع بيروت سنة ١٩٧٣م ص٢٤ (اللغة).

(٢) هذه البردية تحمل رقم سجل (Mird No. 131, 130) مساحتها ٥, ١٥ × ٢, ٦سم.

(٣) هذه البردية تحمل رقم سجل (Mird No. 6) مساحتها ٢٠ × ٨, ١٧سم Grohmann: Ibid pp.55-60.

(٤) لعل الدليل على ذلك أيضًا ورود لفظ (الخراج) ضمن نصوص السطر السادس من نص هذه البردية.
Grohmann: Arabic papyri from Hirbet El. Mird. Pp. 55-30.

(٥) انظر فى ذلك البردية رقم () بمجموعة الأرشيدوق راينر فى فيينا بالنمسا وهى تؤرخ بين أعوام ١٥٩ـ١٦١هـ/ ٧٧٥ـ٧٧٨م مساحتها ١٠ × ٥, ٩سم ـ نشرها فارنر ديم.
W. Diem: Einge Fruhe Amtliche Urkunden Aus Der sammlung Papyrus Erzherzog Rainer - Le Museon - Tome 97 - Fasc 1-2 Louvain. 1984. P. 101.

على ذلك أيضًا ورود كلمات ومصطلحات عربية صرفة فى مكاتبات رجال الدين المسيحى فى كنائسهم، منها إدراج كلمة (بن) ضمن الأسماء القبطية، ومنها على سبيل المثال اسم «بقطر بن يعقوب» الذى ورد ضمن نصوص بردية عربية محفوظة فى مكتبه جون رايلاندز بمدينة مانشستر فى إنجلترا موضوعها «كشف بأسماء أشخاص مع حاجياتهم»، أيضًا هناك بردية أخرى محفوظة فى دار الكتب القومية بالقاهرة مؤرخة بسنة ٣٤٦هـ / ٥٩٨م موضوعها عبارة عن: «صك صادر عن أحد الجباة»[١] كاتبها أحد أهل الذمة يدعى «جريج بن قوريل» ورد اسمه فى السطر (٧) من نص البردية، ولقد ظهر التأثير العربى الإسلامى جليًا فى العديد من عبارات هذه البردية فنقرأ فى السطر (٣) من النص عبارة الكنية لأحد أهل الذمة مع إضافة كلمة (بن) إلى اسمه بهذه الصيغة: «قبض من أبو جميل مرقورة بن مينا الجهبذ أيده الله» وفى واقع الأمر أن مثل هذه الأساليب اللغوية هى بلاشك مستمدة من اللغة العربية وخاصة فى صيغة «الكنية» وإضافة كلمة (بن) ثم الدعاء للشخص، وهى عادة أمور غير شائعة فى أساليب الكتابة القبطية.

أيضًا تقتنى جامعة هايدلبرج بألمانيا (معهد البرديات) «بردية نادرة» عبارة عن رسالة تتعلق بأمور السحر والشعوذة (فك المربوطين) ـ برقم سجل (PSR NO. 820) بدأت الوثيقة بهذه العبارة: «بسم الثالوث المقدس نبتدى بعون الله تعالى وحسن توفيقه بكتب صلاة قبر يانوس بركته تكون معنا أمين وهى حرزًا من الشياطين وقبول أمام السلطان تفك المربوطين وتبطل ساير الأعمال البردية...»، ورد بهذه الوثيقة ذكر للقب (الأنبا) وذلك فى العديد من سطور الوثيقة منها السطور (٦٩ـ٧٢) ونصها «أب البرية بسمعان العمودى وأنبا يخوم وتادرس ومكسموس وأخيه دوماديوس وأنبا بشاى الكامل وأنبا شنودة وتلميذه ويصا....». أيضًا ورد لقب (المسيح) فى هذه الوثيقة فى السطر (٨) (يسوع المسيح) والمراد به عيسى ابن مريم عليه السلام[٢].

---

(١) هذه البردية تحمل رقم سجل (الطراز رقم ١٧٦) نشرها الدكتور جروهمان.

د. جروهمان: أوراق البردى العربية بدار الكتب المصرية ـ المجلد ٣، ص ١٨١.

(٢) انظر:

Bilabel (F) & Grohmann (A), Griechische Koptische und Arabische Texte zur Religion und Religiosen Literatur In Agyptens Spatzeit Heid elberg 1934. 1934. P. 260.

٤ـ البطريق

ورد هذا اللقب ضمن نصوص إحدى البرديات العربية المحفوظة فى دار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة (مؤرخة بعام ٣٣٤هـ / ٩٤٥م)، موضوعها عبارة عن: «إرسال خشب وقضاء ديوان». ورد اللقب ضمن نصوص السطر السادس من البردية بهذه الصيغة: «من يوم الحوادث عدة كتب إلى البطريق وكنت قد أوصيتك أن تكاتبنى»[١]، ولقد أشار الدكتور جروهمان إلى أن لفظ البطريق هنا يدل على من يملك أو يدير مزرعة[٢].

ولقد فسَّر الفيروزآبادى اللقب بقوله: «هو القائد من قواد الروم تحت يده عشرة آلاف رجل.. جمعها بطارقه»[٣]. أما صاحب مختار الصحاح فيعرِّفه بقوله: «البطريق بكسر الباء هو القائد من قواد الروم وهو لفظ معرب والجمع بطارقه»[٤]. أيضًا يعرِّفه صاحب قاموسى المنجد بقوله: «البطرك والبطريرك والبطريك جمعها بطارقه وبطاريك، رئيس رؤساء الأساقفة على أقطار معينة أو فى طائفة من الطوائف المسيحية»[٥].

ومن ناحية أخرى فإن الدكتور حسن[٦] الباشا قد أورد تعريفًا آخر لهذا اللقب بقوله: «هو لقب عام على رئيس النصارى فى مصر والشام.....».

مما سبق ذكره يتبين لنا أن لقب البطريق هو من ألقاب رجال الدين المسيحى سواء فى مصر أو الشام، وكما ذكرت من قبل فإن الدكتور جروهمان قد ذكر أن هذا اللفظ ربما كان يدل على من يملك أو يدير مزرعة، وفى هذا إشارة واضحة إلى مشاركة

---

(١) هذه البردية تحمل رقم سجل (٤٥٤) مساحتها ٢٠,٧ × ١٢,٧سم ـ د. جروهمان: المرجع السابق جـ٥، ص٥٨.

(٢) د. جروهمان: المرجع السابق جـ٥، ص٦٢ برقم (٣٠٦).

(٣) الفيروزآبادى: المصدر السابق ص ١١٢١.

(٤) الرازى: مختار الصحاح ـ طبع القاهرة ١٩٢٦م، ص٥٦.

(٥) قاموس المنجد فى اللغة والأعلام:/ ص٤١ـ٤٢.

(٦) أستاذ الآثار والفنون الإسلامية ـ كلية الآثار جامعة القاهرة.

د. حسن الباشا: الألقاب الإسلامية فى التاريخ والوثائق والآثار ـ طبع دار النهضة العربية بالقاهرة ـ ١٩٧٨م، ص٢٢٤.

العديد من رجال الدين المسيحى فى الأعمال الزراعية أو التجارية على الرغم من عمله الذى يتعلق بالكنيسة. كما أشار إلى إلى ذلك صاحب قاموس المنجد بأنه رئيس رؤساء الأساقفة على أقطار معينة أو فى طائفة من الطوائف المسيحية... وغيرها.

٥ـ راعى (أ)

الراعى هو كل من ولى أمر قوم وجمعها: رعاة ورعيان ورعاء[١]. وعلى ذلك فإنه يمكن القول إن عمل الراعى يشمل العديد من الأعمال منها على سبيل المثال: من ولى أمر قوم «كالأسقف والبطريرك»[٢] وغيرها من ألقاب رجال الدين المسيحى. وفى واقع الأمر، فإن هذا اللقب قد ورد كثيرًا فى نصوص البرديات العربية وخاصة إيصالات الجزية والخراج وقوائم وكشوفات العاملين فى الأديرة والكنائس.... وغيرها من النصوص. وتحتفظ دار الكتب القومية بالقاهرة بالعديد من البرديات العربية التى ورد ضمن نصوصها هذا اللقب من بينها بردية مؤرخة بسنة ٢٧٠هـ/ ٨٣٣ـ٨٨٤م موضوعها عبارة عن: «جزء من سجل خاص بدفع ضرائب...»[٣].

ولقد ورد اللقب مرتبطًا باسم «أبو سنان الراعى»، ومما يدل على أن هذا اللقب كان يُقصد به أيضًا رجال الدين المسيحى وورود لفظ الأسقف ضمن نصوص هذه البردية أيضًا. وعلى ذلك يمكن القول إن لقب «الراعى» بالإضافة إلى كونه لقب حرفة الرعى للإبل والماشية، فإنه ربما قُصد به أيضًا رجل الدين المسيحى القائم بأعمال الكنائس والأديرة، ومازال هذا اللقب يُستعمل حتى اليوم.

ومن الأسماء الشهيرة فى نصوص البرديات العربية اسم «يحنس الراعى» الذى ورد كثيرًا فى نصوص البرديات العربية إحداها محفوظة بدار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة تُنسب للقرن ٣هـ / ٩م موضوعها عبارة عن: «كشف بأسماء دافعى جزية الرءوس»[٤].

---

(١) الفيروزآبادى: المصدر السابق ص١٦٦٣.

(٢) المنجد: المرجع السابق ص٢٦.

(٣) هذه البردية تحمل رقم سجل (٢٢٦) مساحتها ٢٢٠٦ × ٨ , ٢٦سم.
د. جروهمان: المرجع السباق جـ٤، ص٨١ـ٨٩ برقم ٢٣٤ـ٢٣٥.

(٤) هذه البردية تحمل رقم سجل (٢٩٢) مساحتها ٢٢ × ٩سم.
د. جروهمان: المرجع السابق جـ٣، ص٢٠٣ـ٢٠٧ برقم ٢٠٣.

هذا وتجدر الإشارة أيضًا إلى ورود لقب راعى بصيغة الجمع «رعاة» ضمن نصوص إحدى برديات ««شوت ـ راينهارت» المحفوظة بمعهد البرديات بجامعة هايدلبرج بألمانيا، وهى بردية تُنسب للقرنين ٢ـ ٣هـ/ ٨ـ٩م.[١]

راعية (ب)

لقب راعية من الألقاب التى لم ترد بكثرة ضمن نصوص البرديات العربية، وهى الصيغة المؤنثة للقب الراعى، ولقد ورد هذا اللقب ضمن نصوص إحدى البرديات العربية المحفوظة بدار الكتب القومية بالقاهرة والتى تُنسب للقرن ٣هـ / ٩م موضوعها عبارة عن: «بيان بإيصالات واردة من عدة أشخاص»[٢]، وربما كان المقصود بها السيدة القائمة على شئون نساء الأقباط فى الكنيسة أو التى تتولى تعليمهن تعاليم الدين المسيحى كالراهبات.. وغيرهن.

ولم يرتبط لقب الراعية باسم معين، وإنما ورد اسم شخص يدعى «ثبيت القوصى» ضمن نصوص البردية التى ورد بها اللقب، ولقب النسبة القوصى هو لقب نسبة لمدينة قوص إحدى مدن محافظة قنا فى الصعيد الأعلى بمصر، ولقد أشار بعض المصادر التاريخية إلى أن مدينة قوص تُعَدُّ من قلاع الأقباط فى مصر فلقد ذكرها المسعودى فى القرن ٤ هـ/ ١٠م بقوله: «قوص من صعيد مصر وهى راكبة للنيل ولها أخبار عجيبة فى بدء عمرانها وما كان فى أيام الأقباط»[٣]ـ أيضًا ذكرها ياقوت الحموى بقوله: «كلمة قوص هى كلمة قبطية ومدينتها كبيرة وعظيمة وواسعة وقصبة الصعيد كله..»[٤].

من ذلك يمكننا القول إن عمل الراعية ربما كان خاصًا بأعمال الديانة المسيحية

---

(١) هذه البردية تحمل رقم سجل (PSR. INV ARAB. 135).

(٢) هذه البردية تحمل رقم سجل (١٤١) مساحتها ١٦,٣ × ٨ × ٩,٨سم.

د. جروهمان: المرجع السابق جـ٦، ص١٤١ ـ ١٤٢ رقم (٤٠٦).

(٣) المسعودى: مروج الذهب ومعادن الجوهر ـ تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد ـ طبع دار المعرفة ببيروت ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٢م جـ٢، ص٢٦.

(٤) ياقوت (أبى عبدالله ياقوت بن عبدالله الحموى) ت: ٦٢٦هـ/ ١٢٢٨م: معجم البلدان ـ طبع دار إحياء التراث العربى ببيروت ١٩٧٨م جـ٤، ص٤١٣، عبد العال عبد المنعم الشامى: مدن مصر وقراها عند ياقوت ـ الطبعة الأولى ـ الكويت ١٩٨٠، ص٥١.

لنساء الأقباط، واللقب يمكن أن يُفهم منه أيضًا أعمال رعى الإبل والماشية، وأعتقد أن سياق نص كل بردية هو الذى يمكن أن يحدد المعنى المقصود هل هو عمل يتعلق بأعمال الكنيسة ورجالها أو أعمال الرعى للإبل والماشية. وربما كان المقصود بها المعنيين معًا، فهنالك بعض رجال الدين المسيحى قام بأعمال زراعية وتجارية ومهنية إلى جانب عمله الدينى.

٦ـ راهب

من الألقاب الشائعة فى نصوص البرديات العربية، ولقد ورد هذا اللقب فى العديد من آيات القرآن الكريم، منها قوله تعالى: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ ۖ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ .﴾ [المائدة: ٨٢].

ومنها أيضًا قوله تعالى: ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓاْ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾[التوبة: ٣١].

وقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْأَحْبَارِ وَٱلرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۗ وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾[التوبة: ٣٤] صدق الله العظيم.

ولقد ورد هذا اللقب ضمن نصوص العديد من البرديات العربية المحفوظة فى المجموعات العالمية، من بينها بردية محفوظة فى مجموعة «شوت ـ راينهارت» المحفوظة فى معهد البرديات بجامعة هايدلبرج بألمانيا، وهى بردية تُنسب للقرن ٣هـ/ ٩م ـ وقد ورد اللقب مرتبطًا باسم «بن ثيدر الراهب»[(١)].

كما ورد أيضًا ضمن نصوص إحدى برديات دار الكتب القومية بالقاهرة[(٢)]

---

(١) هذه البردية تحمل رقم سجل (PSR. ARAB. NO. 660).

(٢) هذه البردية تحمل رقم سجل (٣١٦) ـ د. جروهمان: المرجع السابق جـ٦، ص١٥٣، ص٢٠٠.

موضوعها عبارة عن «تذكره خاصة بأداء دين» وهى مؤرخة بعام ٤٣٤هـ/ ١٠٤٢م، ورد اللقب بهذه الصيغة: «عن عجالة الراهب لسنة أربع وثلثين وأربعمائة».

كما ورد أيضًا مرتبطًا باسم «فيب الراهب» ضمن نصوص إحدى البرديات الغربية فى مجموعة الأرشيدوق راينر فى فيينا بالنمسا وغيرها من البرديات[١].

ولقب الراهب معروف لدى العرب منذ القدم وهو يطلق على النصارى الذين أوقفوا حياتهم على العبادة فى الخلوة، ومصدره الرهبة والرهبانية أو الرهبان «بالجمع» وجمعها رهابين ورهابنة ورهبانون ورهبان والمؤنث راهبة، وقد يكون الراهب منقطعًا للعبادة بنفسه أو يكون مع جماعة فى دير[٢].

ويُلاحَظ أن لقب الراهب لم يرد كثيرًا فى إيصالات الجزية والخراج التى كان يتم تحصيلها لديوان بيت مال المسلمين[٣] ـ وربما كان ذلك راجعًا لسماحة الولاة

---

(١) هذه البردية تحمل رقم سجل (PERF. INV. 17203). ولقد ورد هذا اللقب ضمن نصوص السطر الثامن من البردية.

(٢) الفيروزآبادى: المصدر السابق ص١١٨.

(٣) انظر صلح الإسكندرية بين عمرو بن العاص والروم بعد فتح الإسكندرية فى الثامن من شهر نوفمبر سنة ٦٤١م والذى تم فيه تحديد الجزية ومقدارها ديناران على كل رجل إلا على الشيخ العاجز والولد الصغير والرهبان فى الأديرة.

د. جروهمان: أوراق البردى العربية بدار الكتب المصرية ـ جـ٣، ص٤٧ـ٥٦.

C.H Becker. Papyri Schott - Reinhardt P. 84.

يؤيد هذا نصوص عديدة من البرديات العربية من بينها إيصالات جزية وخراج وقوائم وكشوف مالية متنوعة ـ بعضها محفوظ فى دار الكتب القومية بالقاهرة وبعضها محفوظ فى مجموعات عالمية ـ منها وثيقة محفوظة فى دار الكتب القومية بالقاهرة برقم سجل (الطراز رقم ٣٥٧) يُنسب للقرن ٣هـ/ ٩م وردت بها أسماء عدد من أهل الذمة، من بينهم أسماء جهابذة مثل «اصطفن بنى جريج الجهبذ» وبعض الكتَّاب أمثال «ثيدر ين سياح الكاتب». كما وردت ضمن نصوص الوثيقة أجزاء مختلفة للعملة مثل القطع وهى جزء صغير من عملة تزن قيراطًا أو طسوجًا، بل تزن حبه اقتطعت من درهم أو من دينار ـ أيضًا هناك برديات عربية أخرى بعضها محفوظ فى معهد البرديات بجامعة هايدلبرج بألمانيا مجموعة (شوت ـ راينهارت) تكشف عن ضآلة المبالغ المالية المستحقة لبيت مال المسلمين من جزية أهل الذمة منها بردية تحمل رقم سجل (PSR. N.O 13) مؤرخة فى صفر سنة ٩١هـ/ ٧١٠م ـ تُنسب لعهد الوالى الأموى قرة بن شريك ٩٠ـ٩٦هـ ـ خاصة بجزية أهل منية بربرية من قرية كوم أشقاو وردت بها هذه العبارة «هذا كتاب من قرة بن شريك لأهل منية بربرية من كورة أشقوه أنه أصابكم من جزية سنة ثمان وثمنين عشرة دانير عددًا» أى أن عشرة دنانير كانت مقدار جزية جميع أهل الذمة فى ضاحية منية بربرية عن عام كامل وهو سنة ٨٨هـ. أيضًا تقتنى دار الكتب القومية بالقاهرة برديات أخرى شبيهة بهذه البردية

والحكام المسلمين الذين تعاقبوا على حكم مصر تجاه هؤلاء الرهبان الذين انقطعوا للعبادة فى الأديرة والمعابد، وهى فى واقع الأمر تعليمات سامية استمدها هؤلاء الولاة والحكام من الأحاديث النبوية الشريفة التى وردت عن رسول الله، ومنها ما أخرجه ابن عبد الحكم بسنده، أن رسول الله قال:

«إنكم ستقدمون على قوم جعد رءوسهم، فاستوصوا بهم خيرًا، فإنهم قوة لكم، وبلاغ إلى عددكم بإذن الله» (1) يعنى بهم القبط ومن مظاهر تسامح الولاة والحكام فى مصر الإسلامية مع أهل الذمة وخاصة رجال الدين المسيحى من أساقفة ورهبان... وغيرهم... منشور أسقفى محفوظ بدار الكتب القومية والوثائق بالقاهرة (صدر من الأنبا بطرس بطريرك الإسكندرية مؤرخ بسنة ٩٥هـ/ ٧١٣م وهى السنة الأخيرة من ولاية قرة بن شريك العبسى على مصر) صدر هذا المنشور بمناسبة أعياد الفصح عند النصارى وهو مكتوب على درج بردى بأوله بروتوكول يونانى ـ عربى تاريخه سنة ٨٨هـ/ ٧٠٧م (2). أيضًا هناك فى وثائق دير سانت كاترين عبارات تشير إلى إعانات كان يمنحها حكام مصر منذ السنوات الأولى للفتح سنة ١٨هـ لرهبان الأديرة على الحدود بين بلاد الحجاز والشام وسيناء(3).

نلاحظ أن مقادير الجزية الواجبه على أهل عدد من القرى التابعة لكوم أشقاو متفاوتة فى مقدارها، منها على سبيل المثال بردية برقم سجل (الطراز رقم ٣٣٥) مؤرخة أيضًا فى صفر ٩١هـ وردت بها هذه العبارة «لأهل شبرا بسيرو ومن كوره اشقوه أنه أصابكم من جزية سنة ثمان وثمنين مائة دينار وأربعة دنانير وثلثى دينار عددًا ومن ضريبة الطعام أحد عشر أردب قمح وثلث أردب». وفى بردية أخرى بدار الكتب مؤرخة فى صفر سنة ٩١هـ برقم سجل (الطراز رقم ٣٣٣) تحت عنوان: أمر خاص بالدفع موجه من أهالى دير مارى جرجس وردت بها هذه العبارة «لأهل أروس مريه من القرى الشرقية أنه أصابكم من جزية سنة ثمان وثمنين ثلثين دينار وسدس دينار». مما سبق ذكره يتبين لنا تفاوت مقادير الجزية والخراج التى كانت تُجبى من أهل الذمة فى مناطق مختلفة بصعيد مصر ـ كما يُلاحَظ أن المسلمين لم يكونوا متشددين أحيانًا فى جمع الجزية والخراج، بدليل أن البرديات السابقة كانت تحصَّل عن سنة ٨٨هـ ـ بينما البردية مؤرخة فى صفر سنة ٩١هـ ـ أى أن الجزية كانت تُجمع فى تواريخ لاحقة فى بعض الأيحان (بعد مرور ٤ سنوات).

انظر: د. ألفرد بتلر: فتح العرب لمصر ـ تعريب محمد فريد أبو حديد ـ طبع دار الكتب ١٩٣٣م، ص٢٧٧ـ٢٧٨.

(1) ابن عبد الحكم: فتوح مصر ص٤، المقريزى: الخطط ـ جـ١، ص٣٩.

(2) د. جروهمان: المحاضرة الثانية ـ طبع دار الكتب القومية بالقاهرة سنة ١٩٣٠م، ص٥ـ٦.

(3) مراد كامل: فهرست مكتبة دير سانت كاترين بطور سيناء ـ المطبعة الأميرية بالقاهرة سنة ١٩٥١م.

٧ـ الشمَّاس

من الألقاب الشائعة فى نصوص البرديات العربية لقب الشمَّاس، وهو من الألقاب الدينية المسيحية وهو دون القسيس وهى كلمة سريانية معناها الخادم[١] ذكرها الفيروزآبادى بقوله: «إنه من رءوس النصارى الذين يحلق وسط رأسه لازمًا للبيعة، وجمع الشماس: شمامسة ومنها الشمَّاس الإنجيلى ويطلق على وظيفة الشماس: شماسية»[٢].

ولقد ورد هذا اللقب ضمن العديد من البرديات العربية المحفوظة فى المجموعات العالمية وغالبيتها إيصالات جزية وخراج وكشوفات وقوائم صنّاع وحرفيين وأرباب مهن. ولعل ذلك راجع لقيام العديد من الشمامسة بممارسة أعمال وحرف أخرى إلى جانب المهام المنوطة بهم فى الكنائس والأديرة، ومما يؤيد هذا القول بردية عربية تُنسب إلى القرن ٤هـ/ ١٠م محفوظة فى مكتبة المعهد الشرقى فى براغ بجمهورية التشيك[٣]، ورد بها اسم أحد أهل الذمة مرتبطًا بلقب الشمَّاس وبحرفة الخباز بهذه الصيغة «أبو الخير الشماس الخباز»، والخباز كما هو معلوم هو صانع الخبز، والخبازة هى حرفة الخباز[٤].

ومن البرديات العربية التى ورد بها هذا اللقب «الشمَّاس» مرتبطًا بأسماء أهل الذمة الأقباط إيصال خاص بدفع خراج «مؤرخ بسنة ٣١٢هـ/ ٩٢٥م ورد بها اسم «أبميرة الشماس»[٥]، وبالإضافة إلى ذلك أيضًا ورد اسم (بن براقية الشماس) ضمن نصوص إحدى برديات المعهد الشرقى فى براغ بجمهورية التشيك، ويُلاحَظ وجود كلمة (بن) فى مطلع الاسم وهو من التأثيرات العربية فى أساليب كتابة رجال الدين المسيحى[٦]. من الأسماء الشهيرة التى ارتبطت بلقب الشماس اسم «أندونة الشمَّاس»

---

(١) المنجد: المرجع السابق ص٤٠٢ (اللغة). (٥)

(٢) الفيروزآبادى: المصدر السابق ص٢١٧.

(٣) تحمل رقم سجل (Arab I-20) مساحتها ٢ ,١٢ × ١٨سم.

(٤)الفيروزآبادى: المصدر السابق ص٦٥٥ـ٦٥٦.

(٥) هذه البردية تحمل رقم سجل (١٦٣) ـ انظر: د. جروهمان: المرجع السابق جـ٣، ص١٥٩.

(٦) هذه البردية تحمل رقم سجل (Ar. 11-127).

الذى ورد اسمه فى عدد من برديات دار الكتب القومية بالقاهرة[١] وفى برديات جامعة جيسن بألمانيا[٢].

٨ـ القس

من الألقاب الدينية الشائعة عادة فى نصوص البرديات العربية لقب «القس» ولقد ورد ذكره فى العديد من آيات القرآن، منها قوله تعالى: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ ۖ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّا نَصَٰرَىٰ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ [المائدة: ٨٢].

والقس هو لقب دينى يتلَّقب به رجل الدين المسيحى. ومرتبته بين الأسقف والشمَّاس، ولا يقوم بهذا العمل النساء[٣]. ولقد أشار المؤرخ القلقشندى إلى «أن القس هو الذى يقرأ على المسيحيين الإنجيل والمزامير»[٤]. وأصل هذه الكلمة سريانية معربة معناها الشيخ[٥].

ولقد ورد هذا اللقب ضمن نصوص العديد من إيصالات الجزية والخراج وقوائم وكشوف أرباب العمل التى كُتبت على أوراق البردى، وربما كان ذلك راجعًا لممارسة بعضهم عددًا من الحرف والصناعات إلى جانب عملهم فى الكنائس والأديرة.

ومن البرديات العربية التى ورد بها هذا اللقب بردية محفوظة فى مجموعة «شوت ـ راينهارت» بمعهد البرديات بجامعة هايدلبرج بألمانيا[٦] مرتبطًا باسم «بقطر القس»، كما ورد أيضًا ضمن نصوص بردية أخرى فى مجموعة جون ريلاندز المحفوظة فى مدينة مانشستر بإنجلترا مرتبطًا باسم «بطرس القس»[٧]. أيضًا ورد مرتبطًا باسم

---

(١) ورد هذا اللقب مرتبطًا باسم أندونة بإحدى برديات دار الكتب برقم سجل (٣٢٧).

(٢) ورد هذا اللقب مرتبطًا باسم أندونة بإحدى برديات جامعة جيسن بألمانيا برقم سجل ( ).

(٣) المنجد : المرجع السابق ص ـ٦٢٧.

(٤) القلقشندى: صبح الأعشى فى صناعة الإنشا ـ جـ٥، ص٤٧٣.

(5) Hitti: History of Syria. P. 525.

(٦) هذه البردية تحمل رقم سجل (PSR. Inv. Arab. 59).

(٧) هذه البردية تحمل رقم سجل (APRL Fiv - 5. Old Number 311).

«هرميس القس» ضمن نصوص بردية عربية محفوظة فى دار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة، وهى بردية نادرة لأنها مؤرخة بعام ١١٦هـ/ ٧٣٤م[١].

ولعل الدليل على ممارسة القساوسة الحرف والصناعات بجانب عملهم رجال دين مسيحى بردية جامعة هايدلبرج بألمانيا التى ورد بها هذا اللقب مرتبطًا بالعديد من الحرف ومنها حرف (البناء، الإسكافى)[٢].

٩ـ القسيس

لم يرد هذا اللقب كثيرًا فى نصوص البرديات العربية والوثائق التاريخية بالمقارنة بلقب «القس» السابق ذكره.

ولقد ورد ضمن نصوص إحدى الأوراق المحفوظة فى مجموعة كارل فسلى بمكتبة المعهد الشرقى فى براغ بجمهورية التشيك وهى وثيقة تُنسب للقرنين ٤ـ٥هـ/ ١٠ـ١١م ورد بها لقب القسيس مرتبطًا باسم شخصين أحدهما يدعى «إسحق القسيس» والآخر باسم «كيل القسيس»[٣].

ولقب القسيس كما هو معلوم من ألقاب رجال الدين المسيحى، ومرتبته بين الأسقف والشمّاس[٤].

هذا وتجدر الإشارة إلى أن لقب القسيس قد ورد كثيرًا ضمن نصوص عدد من الكتابات التذكارية لشواهد القبور، ومنها شاهد قبر رخامى يرجع إلى سنة ٤٥٠هـ/ ١٠٦٨م محفوظ حاليًا فى متحف القدس الشريف ببيت المقدس ـ ورد بهذه الصيغة: «القسيس المكلنا أبو ألو....»[٥].

جدير بالذكر أيضًا أن المتحف الأهلى فى باليرمو بصقلية به شاهدا قبر نُقش عليهما

---

(١) هذه البردية تحمل رقم سجل (٧٠) د: المرجع السابق جـ٣، ص١٨٨ـ١٨٩ ـ رقم ٢١٠.

(6) Margoliouth: Catalogue of Arabic Papyri in the John Rylands library. Manchester. 1933 P. 64. Ar.11.

(3) Grohmann: Arabische papyri Aus der Sammlung Carl Wessely.
(131-B), (Ar. 11-127). Prag. 1938-1943 pp. 57-66.

(٤) المنجد: المرجع السابق ـ ص٦٢٧.

(3) Combe (ET) Sauvaget (I) & wiet (G): Repertoire - VII, P 137- No, 2618.

لقب «القسيس» أحدهما مؤرخ بسنة ٥٤٣هـ/ ١١٤٨م ورد اللقب بهذه الصيغة: «أنه أم القسيس أكريزنت قسيس الحضرة المالكة الملكية.. «والشاهد الآخر مؤرخ بسنة ٥٤٨هـ ورد به اللقب بهذه الصيغة: «درغو والدا اكرزنت قسيس ملك صقلية..»[١].

ولقد أشرت من قبل إلى ورود هذا اللقب فى عدد من آيات القرآن الكريم ومنها قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾[المائدة: ٨٢].

١٠ـ القمص، القمس

من ألقاب رجال الدين المسيحى ويُقصد به الرجل الشريف[٢] وجمع القمس قمامسة بمعنى البطارقة[٣]، ولقد أشار القلقشندى إلى أن هم القسس[٤].

أيضًا ذكر القلقشندى عبارة مطولة عن القمامسة فقال: «وإلا فلعنك البطريرك الأكبر والمطارنة والشمامسة والقمامسة والديرانيون وأصحاب الصوامع..»[٥].

ولقد ورد هذا اللقب ضمن نصوص إحدى برديات دار الكتب القومية بالقاهرة وموضوعها عبارة عن «قطعة من كشف خاص بدافعى الضرائب مع بيان ما يدفعه كل منهم تُنسب للقرن ٣هـ/ ٩م.

أيضًا ورد ضمن نصوص بردية أخرى فى مجموعة «شوت ـ راينهارت» المحفوظة بمعهد البرديات بجامعة هايدلبرج بألمانيا موضوعها «كشف بأسماء دافعى الضرائب» ورد اللقب مرتبطًا باسم «بهو القمص»[٦].

---

(١) د. حسن الباشا: الفنون الإسلامية والوظائف على الآثار العربية ـ طبع دار النهضة ١٩٦٥م ـ جـ٢، ص٨٩٥.

(٢) المنجد: المرجع السابق ص٦٥٤ (اللغة).

(٣) الفيروزآبادى: المصدر السابق ص٧٣٢.

(٤) القلقشندى: صبح الأعشى فى صناعة الإنشا ـ جـ١٣، ص٢٨٨.

(٥) محمد قنديل البقلى: التعريف بمصطلحات صبح الأعشى ص٢٧٦.

البطرك: من أعظم أرباب المراتب فى الدين المسيحى وإذا عرب قيل بطريق المطران: ويكون تحت يد الجاثليق وهو يعنى الرئيس الدينى فى عاصمة من العواصم المسيحية.

د. يحيى الخشاب والباز العرينى: المرجع السابق ص٢٧٤.

(٦) برقم سجل (٢٦٣) ـ د. جروهمان: المرجع السابق جـ٤، ص١١٣ ـ ١١٤.

وتجدر الإشارة إلى أن لقب القمص غالبًا ما يرد بصيغتين إما بحرف السين «قمس» أو بحرف الصاد «قمص» ففى بردية دار الكتب القومية بالقاهرة ورد بحرف السين «قمس» وفى بردية مجموعة «شوت ـ راينهارت» ورد بحرف الصاد «قمص»، ومثل هذه الحالة شائعة عادة فى نصوص البرديات العربية وتسمى ظاهرة (الإبدال) فأحيانًا تُكتب كلمة (سفقة واحدة) بالسين وأحيانًا أخرى تكتب بالصاد (صفقة واحدة)[١]، وأحيانًا تكتب كلمة (فلسطين) بالسين وأحيانًا أخرى (فلصطين) بالصاد[٢]... وغيرها.

جدير بالذكر أيضًا أن القمص غالبًا ما كان يمارس أعمالًا وحرفًا أخرى غير عمله رجل دين وذلك لوروده بكثرة فى نصوص إيصالات الجزية والخراج وقوائم الحرفيين ودافعى الضرائب وغيرها.

١١ ـ المطران

ورد هذا اللقب ضمن نصوص بردية عربية محفوظة فى مجموعة (ناصر خليلى)[٣] بإنجلترا وهى بردية يتعلق موضوعها «بشراء حوائج ومتطلبات ربما لأحد الأديرة أو الكنائس»، أطول البردية ١٨ × ٢٥سم.

ورد بها ذكر شراء ورق وذهب وطيلسان وقناديل الفصح.. وغيرها. ورد لقب المطران ضمن نصوص السطر (٥) بهذه الصيغة (وخرج فى إصلاح دالية المطران) والشىء اللافت للنظر فى نصوص هذه الوثيقة وجود الأرقام والتواريخ المدونة بين السطور باللغة العربية وليست بها كلمة قبطية أو يونانية واحدة، فنجد على سبيل المثال التواريخ العربية بهذه الصيغة (ومن ذلك ما دفع به دفعة ليوم السبت لثلث خلون من شهر ربيع الآخر من الورق سنة آلاف وخمس مائة وستين درهم).

ـ السطر (١) وجه.

---

(١) برقم سجل (PSR. 595).

(٢) بردية بدار الكتب القومية القاهرة برقم سجل (١٩٠٣ تاريخ). بردية بدار الكتب برقم سجل (٣٢٦).

(3) Geoffrey Khan; Arabic papyri - Selected Material From the Khalili Collection Oxford. 1992 P.84.

الأسقف ودون البطريرك.

وهى كلمة مقتطعة من لفظة «ميتريبوليتس» اليونانية ومعناها (المدينة الأم)؛ وذلك لأن كرسى المطران يكون عادة فى مدينة أو قصبة[1].

(١) المنجد فى اللغة والأعلام: ص٧٦٦ (الأعلام).



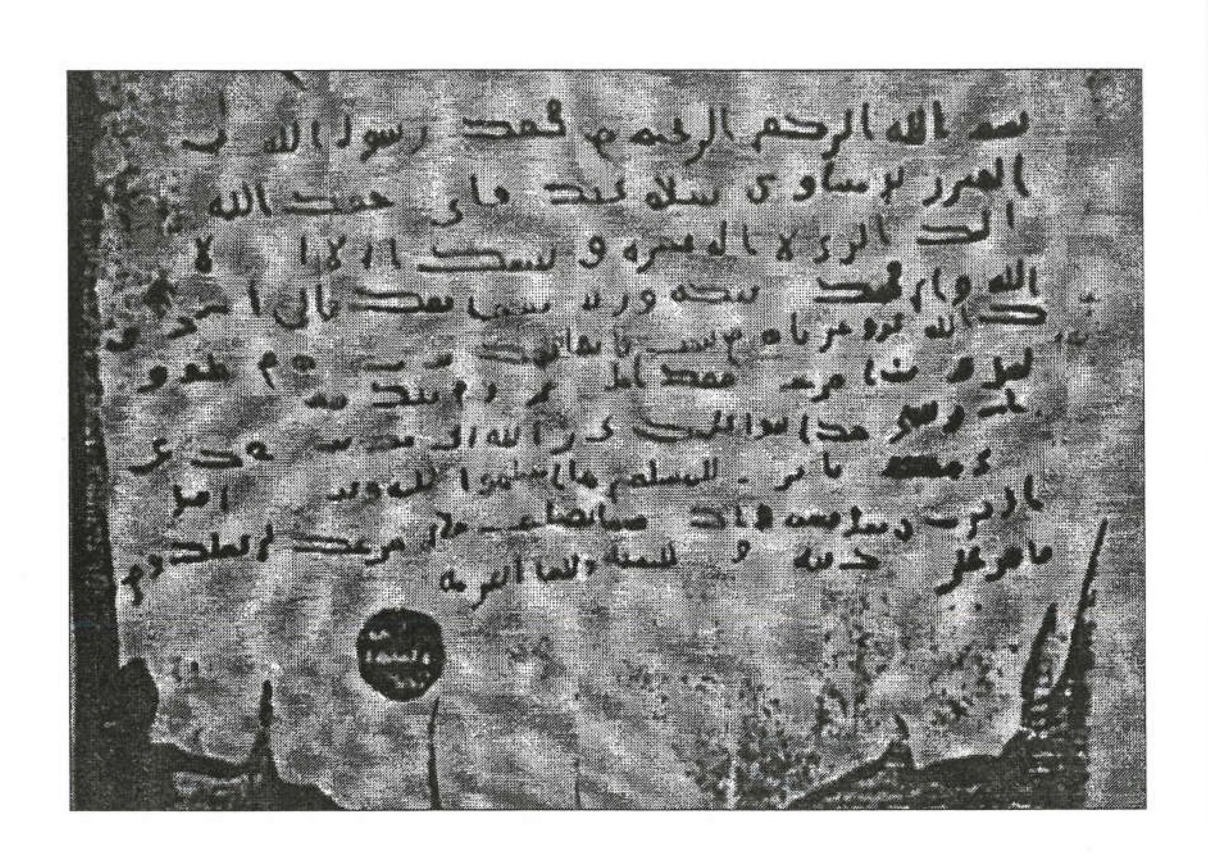
الفهرس

القسم الثانى

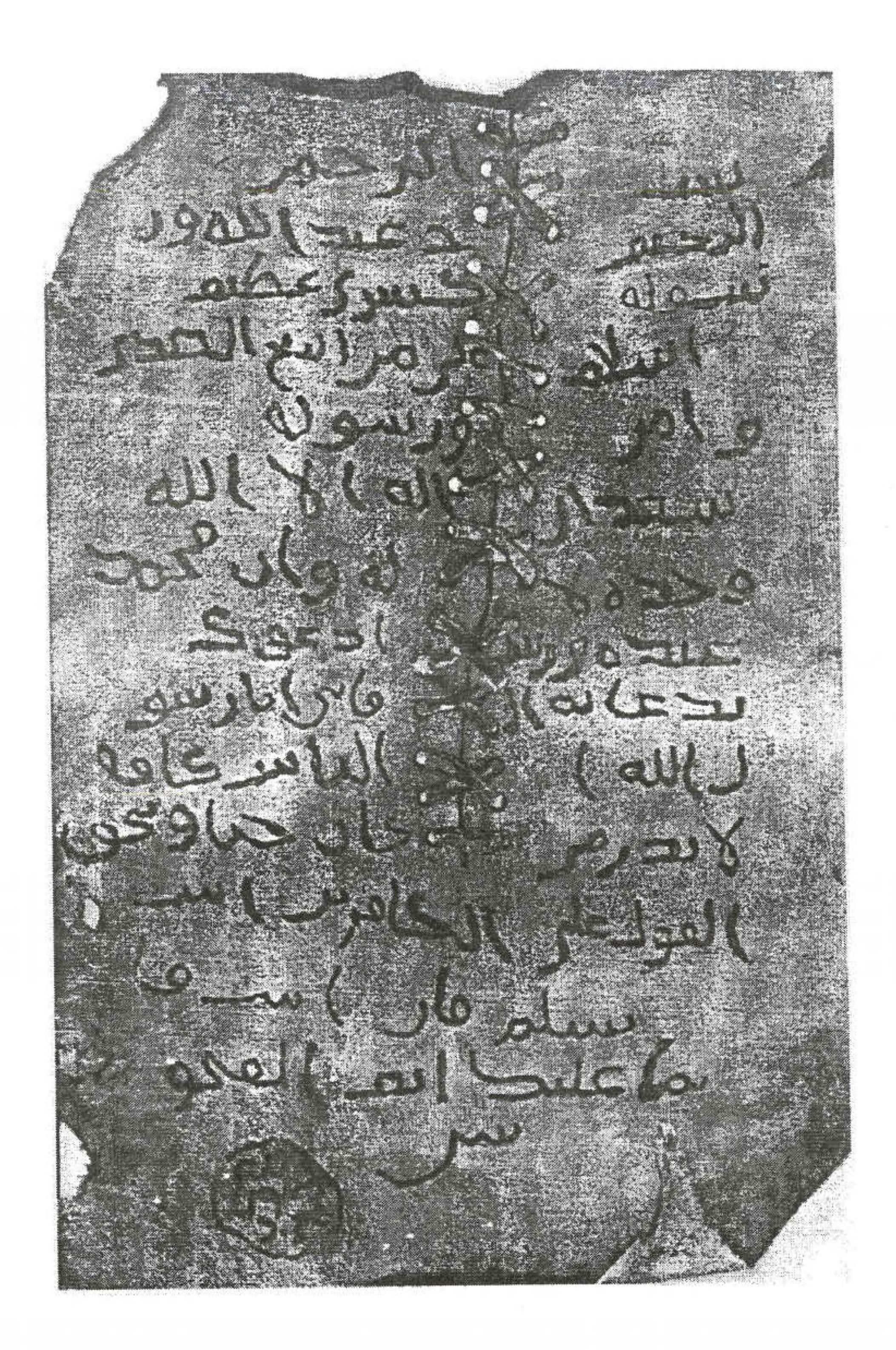


الصور واللوحات





صورة من خطاب الرسول ﷺ إلى المنذر بن ساوي



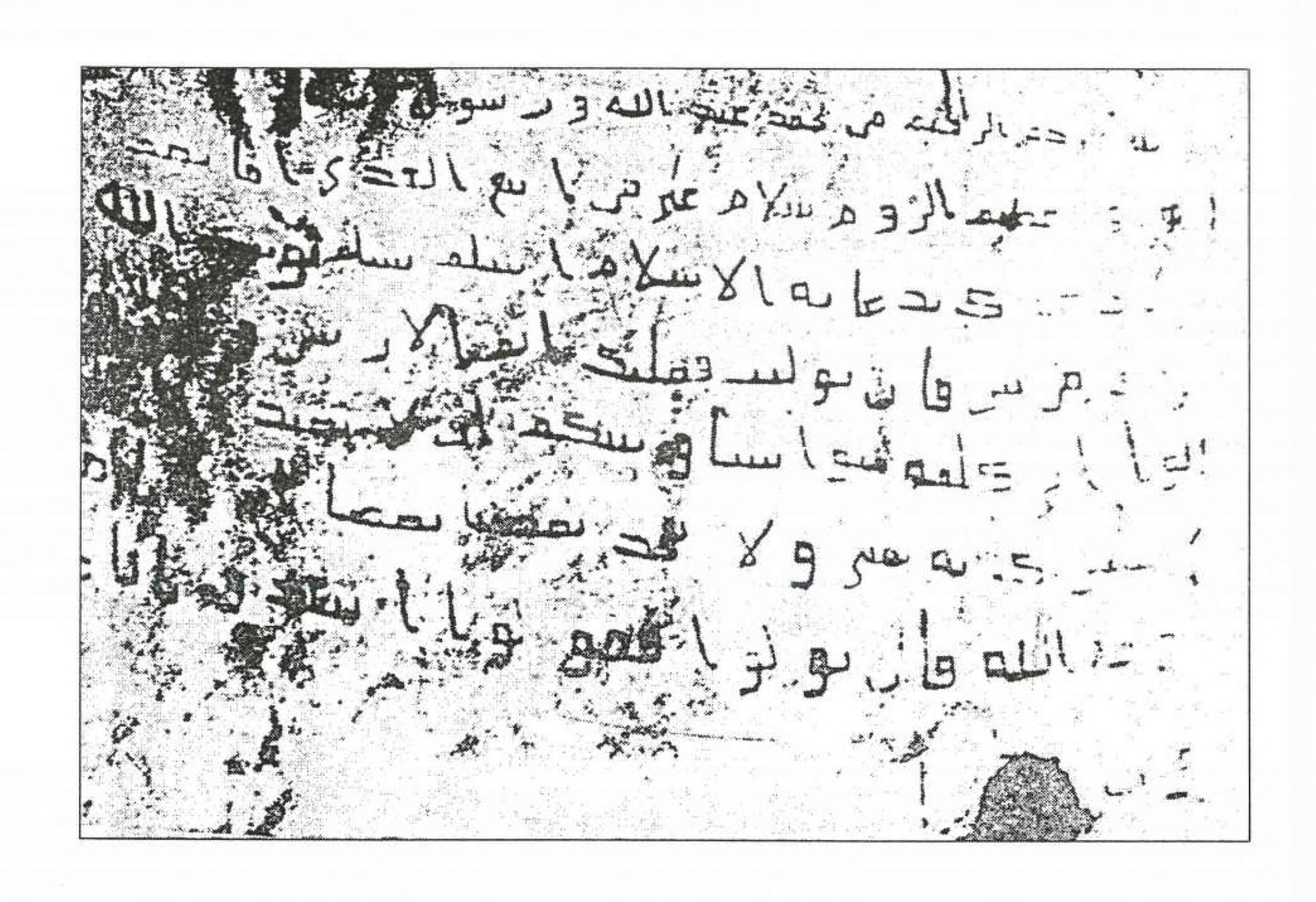
صورة من خطاب الرسول ﷺ إلى كسرى عظيم الفُرْس



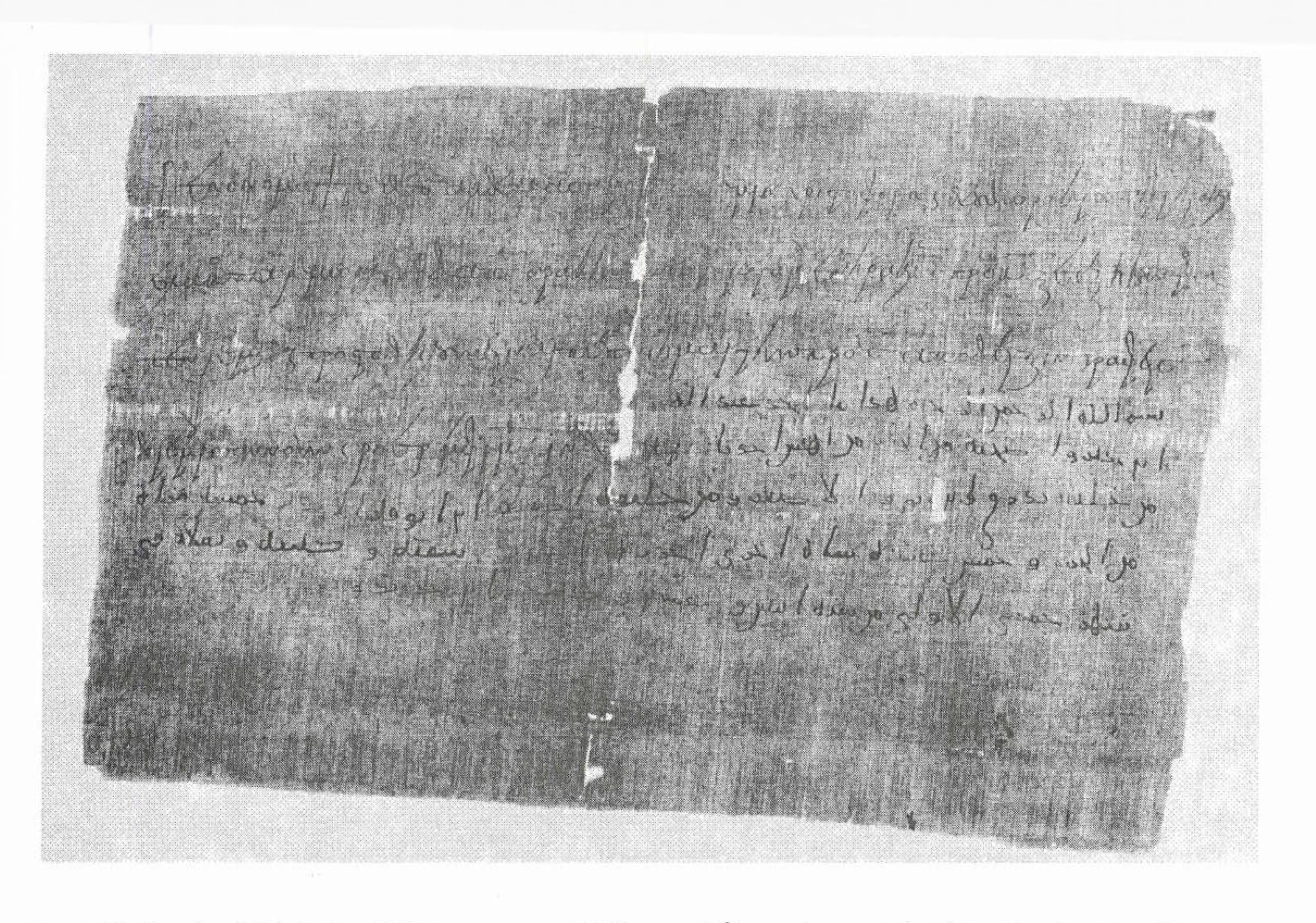
بسم الله الرحمن الرحيم
من محمد رسول الله الى
جيفر و عبد ابني الجل
ندى سلام على من اتبع الهدى
اما بعد فاني ادعوكما بدعا
ية الاسلام اسلما تسلما فاني
رسول الله الى الناس
كافة لانذر من كان حيا
ويحق القول على الكافرين
فانكما ان اقررتما بالا
سلام وليتكما وان ابيتما
فان ملككما زائل و خيلي
تحل بساحتكما وتظهر نبو
تي على ملككما

صورة من خطاب الرسول ﷺ إلى ابني جلندي أميري عُمان

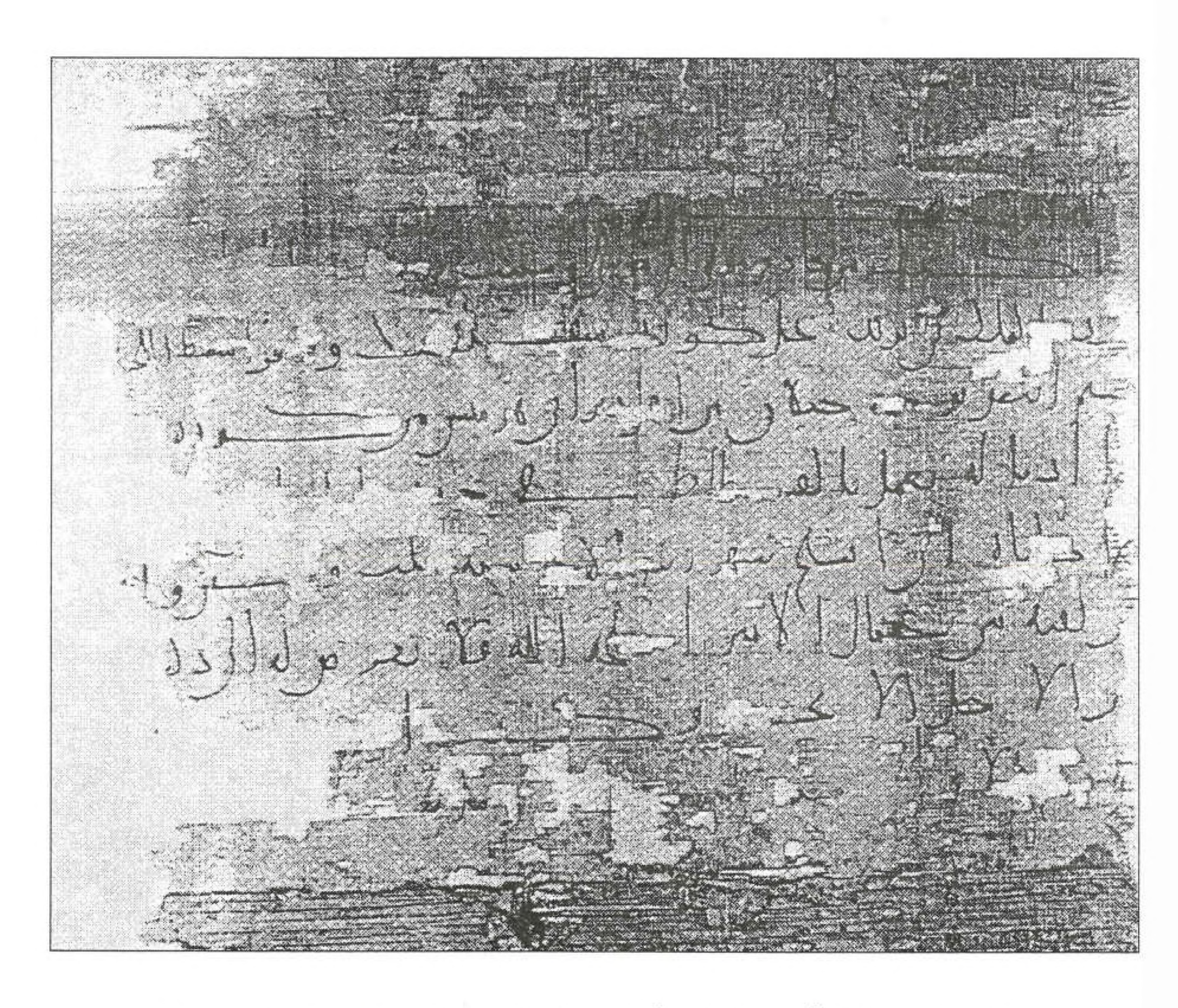
صورة من خطاب الرسول ﷺ إلى المقوقس عظيم قبط مصر.



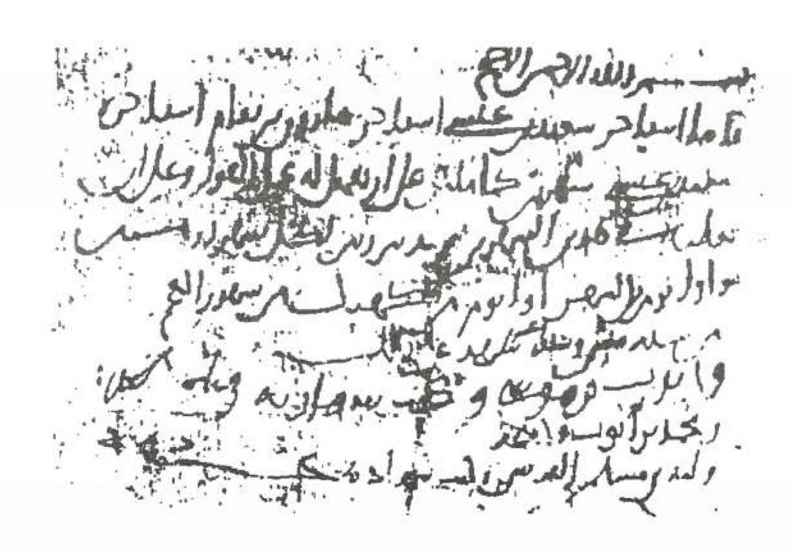
صورة من خطاب الرسول ﷺ إلى هرقل عظيم الروم.



بردية إهناسيا، المؤرخة بشهر جمادى الأولى سنة ٢٢ هـ. محفوظة في المكتبة الوطنية بالنمسا.



عقد إقامة وعمل لأحد شباب أهل الذمة. مؤرخ بالعام ١٣٣ هـ/ ٧٥٠ م.
محفوظ في المتحف البريطاني بلندن.



بسم الله الرحمن الرحيم

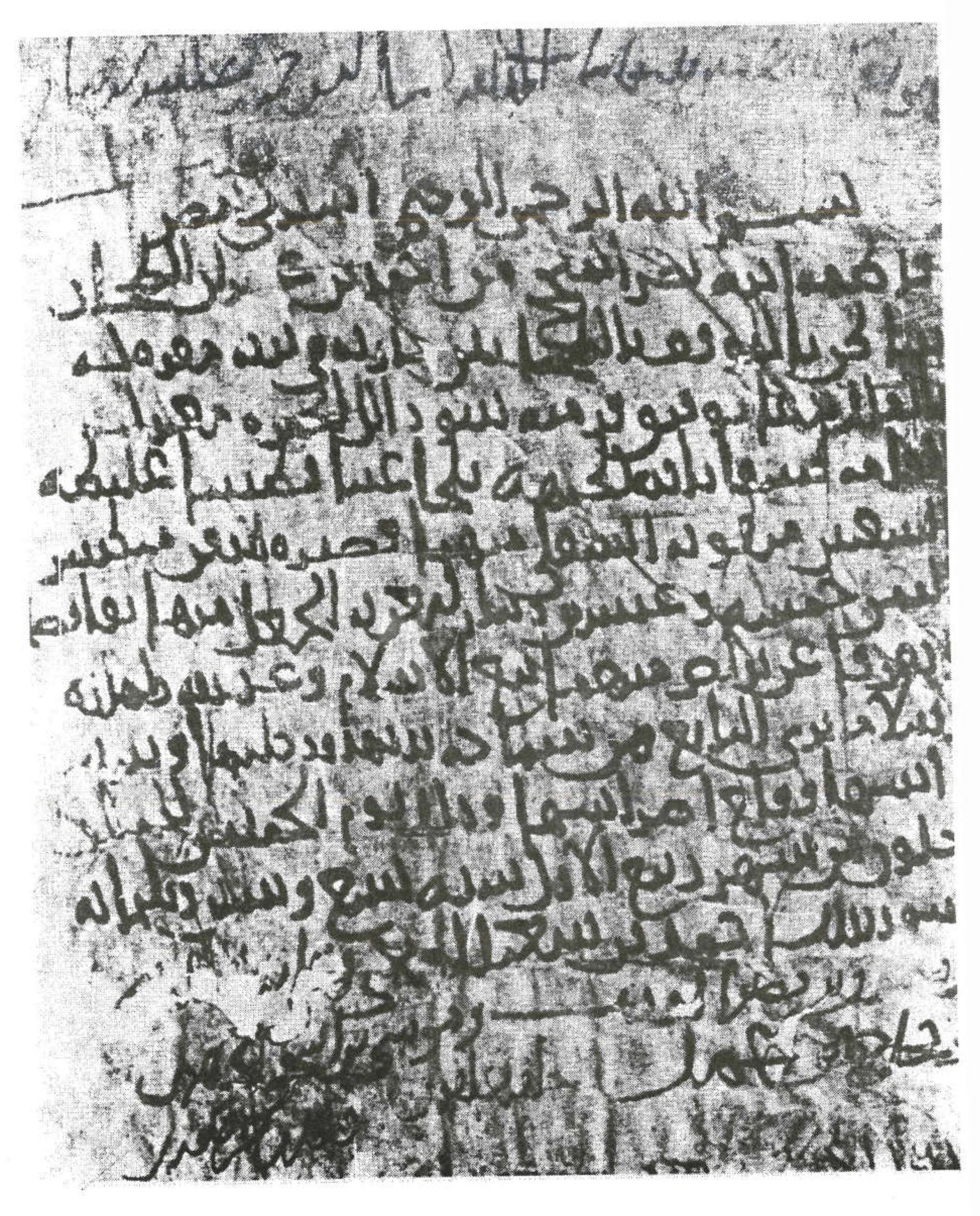
عقد عمل لأحد شباب أهل الذمة. مؤرخ بالعام ٢٢٣ هـ.



بسم الله الرحمن الرحيم

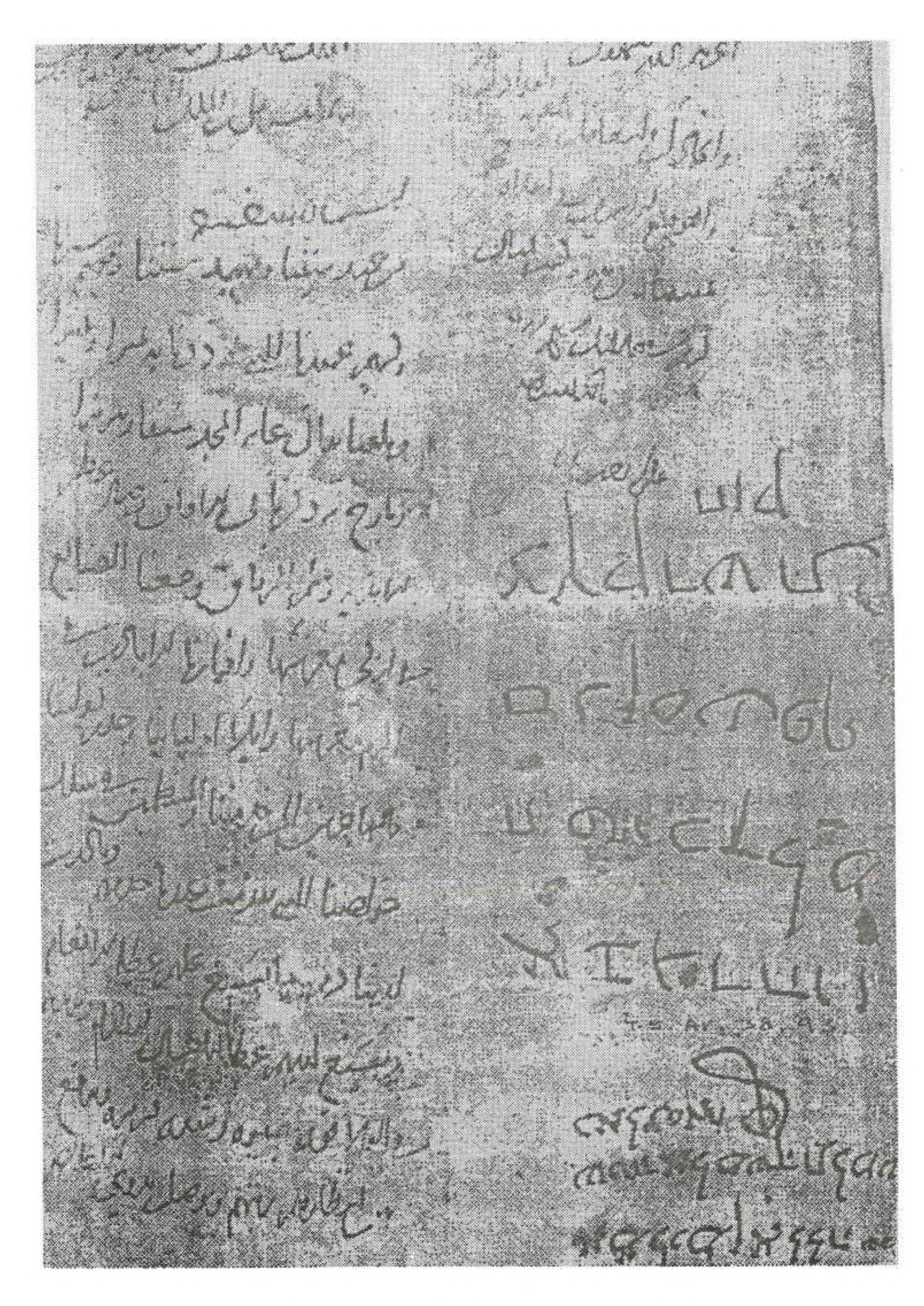
إيصال بتسلُّم جزية قرية "منية بربرية" بصعيد مصر. مؤرخ بشهر صفر سنة ٩١ هـ/ ٧١٠م. محفوظ في معهد البرديات بجامعة هايدلبرج بألمانيا.

عقد بيع منزل بين بعض أهل الذمة الذين ارتضوا إنفاذ عقدهم وفق شريعة الإسلام. مؤرخ بشهر محرم سنة ٣٤١ هـ/ يونيو ٩٥٢ م.
محفوظ في دار الكتب المصرية بالقاهرة.



وثيقة عتق رقبة جارية (قرمية).
مؤرخة بشهر ربيع الأول سنة ٣٦٧ هـ/ أكتوبر ٩٧٧م.

وثيقة تتعلق باستنجاد يهودي للإقامة والمعيشة بمصر بعد ما لحقه من فقر وفاقة. محفوظة في معهد البرديات بجامعة هايدلبرج بألمانيا.



التماس من زعيم طائفة اليهود بالشام إلى الملك الأفضل نور الدنيا والدين الأيوبي، طالبا منه تعيين اليهود في وظائف الدولة.
مؤرخ بسنة ٥٨٩ هـ. محفوظ بمكتبة جامعة كمبردج بإنجلترا.

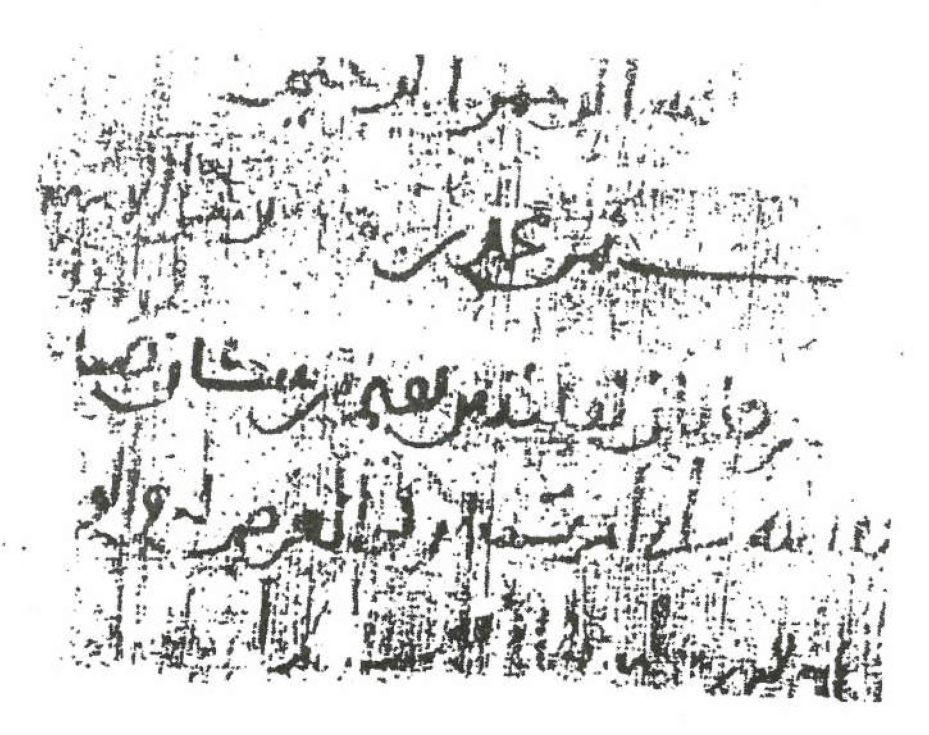
بروتوكول.

محفوظ في المتحف البريطاني بلندن، برقم سجل:Brit.Mus.Inv,1515.

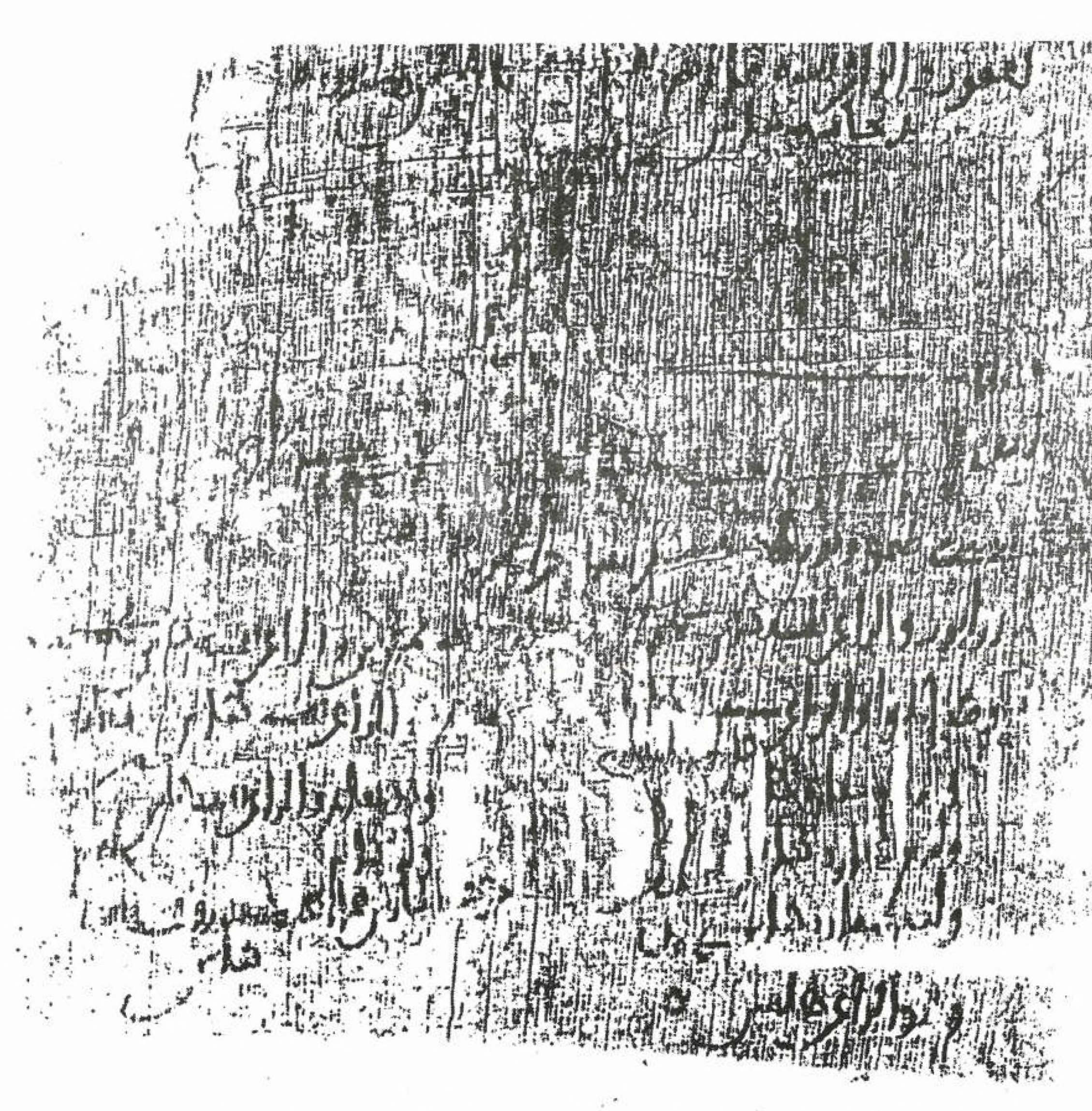
مؤررخ بالعام ٨٨ هـ.

(بقية اللوحة السابقة)

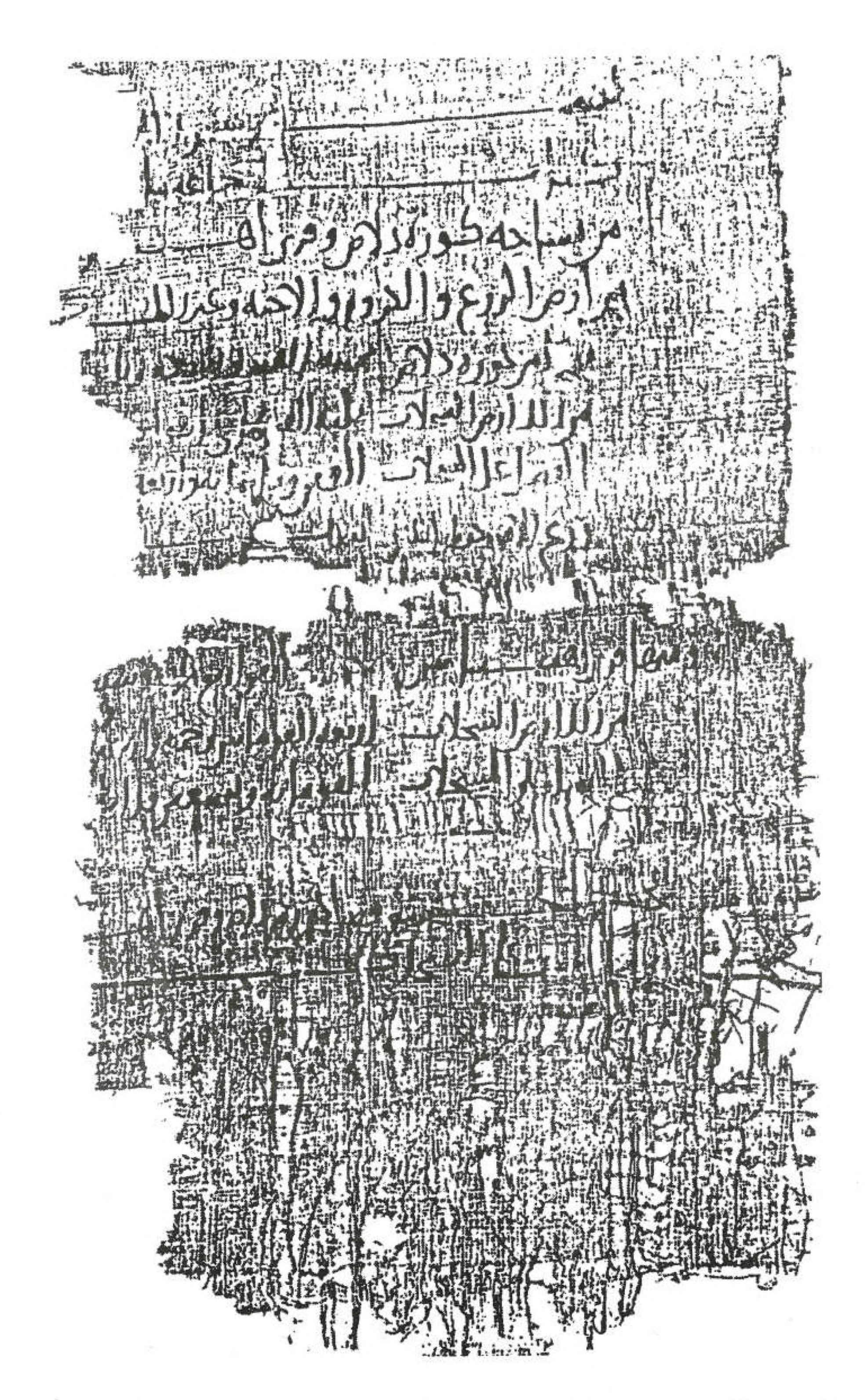
التماس من زعيم طائفة اليهود بالشام إلى الملك الأفضل نور الدنيا والدين الأيوبي، طالبا منه تعيين اليهود في وظائف الدولة.
مؤرخ بسنة ٥٨٩ هـ. محفوظ بمكتبة جامعة كمبردج بإنجلترا.



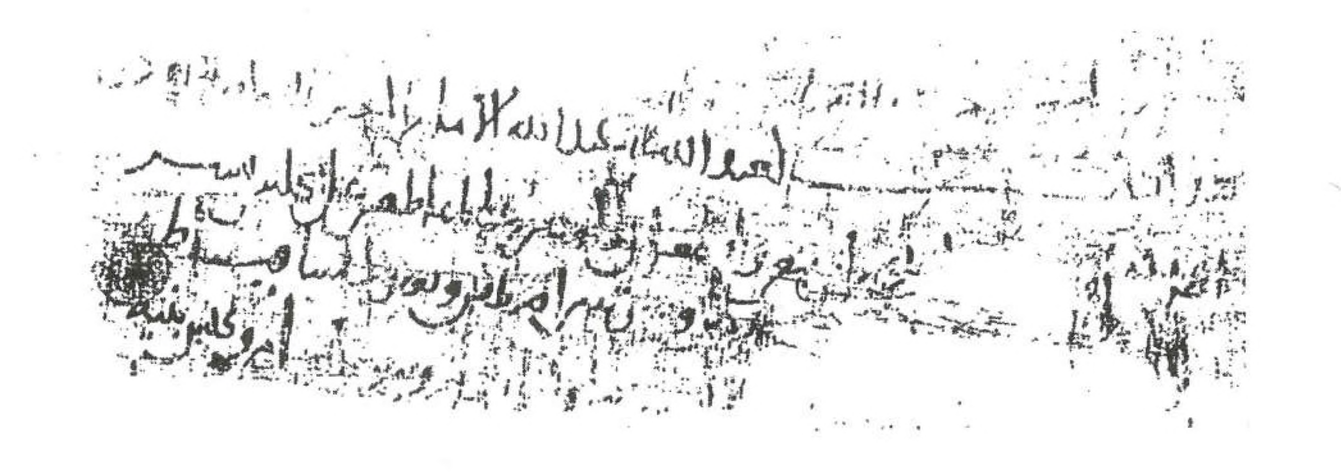
بردية عربية، محفوظة في دار الكتب المصرية برقم سجل (١٠٠).
موضوعها: أمر موجه من نائب الوزير «الفتح بن خاقان» إلى أحد أهالي ضيعة الأمير. مؤرخة بما بين العامين ٢٤٢ـ ٢٤٧ هـ/ ٨٥٦ـ ٨٦١ م.



بردية عربية بدار الكتب المصرية، برقم سجل ٤١١،
تُنسب إلى القرن ٣ هـ/ ٩م.
موضوعها: إحصاء أعداد الحيوانات في قرى مختلفة.



بردية عربية، محفوظة في مجموعة ناصر خليلي بإنجلترا، تنسب إلى القرن ٣ هـ/ ٩ م. موضوعها: سجلات أراضٍ زراعية وحاصلات مختلفة.



بردية عربية بدار الكتب المصرية، برقم سجل (الطراز رقم ٣٨٠٧)،
مؤرخة بما بين العامين ٢٥٢ - ٢٥٥ هـ/ ٨٦٦ - ٨٦٩ م.
موضوعها: التماس مرفوع من بعض أهل الذمة إلى الخليفة العباسي المعتز بالله.

وصفة طبية تنسب للقرن الأول الهجري، السابع الميلادي.
محفوظة بمتحف الفن الإسلامي بالقاهرة، برقم سجل ٢٥٢٤٩٩.
من مجموعة الدكتور «هنري أمين عوض» المهداة للمتحف.



جزء من رسالة الوالي «قُرَّة بن شريك» إلى عامله؛ لمحاربة جشع التجار.


بسم الله الرحمن الرحيم

رسالة من امرأة إلى أحد الخدم - أو العمال - تطلب فيها حوائج للمنزل.

من رواد دراسة البرديات والوثائق الإسلامية



سلفستر دي ساسي

كارل فسلي



جوزيف فون كاراباتشيك

تمثل وثائقُ البرديات العربية نصوصًا تاريخيةً بالغةَ الأهمية في مجال التاريخ والآثار والحضارة والفكر والفنون واللغة والنُّظُم والدراسات الإسلامية؛ نظرًا لأنها تضرب بجذورها في عمق التاريخ، ومن ثَم لا يمكن أن يتطرق إليها أدنى شك؛ إذ إنها كُتبت في زمن الخلافة الراشدة، ثم في العهديْن الأموي فالعباسي.

واعتمادًا على الوثائق البردية، فإن هذا الكتاب يوضح مدى احترام المسلمين ـ عبر تاريخهم الطويل ـ للـ(آخر).. سواءً أكان هذا الآخَرُ من أصحاب الرسالات (أي من اليهود أو النصارى)، أو ممن لا يَدِين بأي ديانة مطلقًا.. فلقد كشفت نصوصُ هذه الوثائق التاريخية المهمة احترامَ الإسلام وخلفائه ووُلاَته وعماله وسائر المنتسبين إليه لآدمية الإنسان ومشاعره، والحرص الشديد على عدم الاعتداء على حُرُماته وأمواله وأعراضه، حتى وصل الأمر في كثير من الأحيان إلى الاستعانة بخبرات (الآخر) في أعمال الدولة من منطلق الثقة المتبادَلة بينهم وبين غيرهم.

وبداخل الكتاب مزيدٌ من الرصد الكاشف للعلاقات الودية بين والمسلمين والآخر مما يَصْعُبُ سَرْدُهُ في هذا المقام.


ISBN 978-977-495-124-4